الوعي الاسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٥١ - ذو القعدة ١٤١٥هـ/ ابريل (نيسان) ١٩٩٥م

براعم الايمان

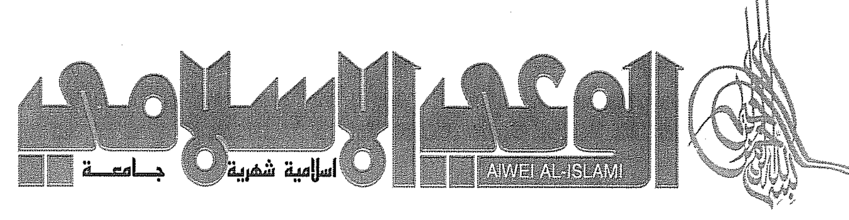
التنمية الاجتماعية بين الشعار والالتزام

آثار المخدرات الضارة تفوق الخطر النووي

الصحوة الاسلامية في تركستان

التلقيح الصناعي في الانسان

هــذا خلـق اللـــه ...



تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥١ - السنة الحادية والثلاثون - ذو القعدة ١٤١٥هـ/ ابريل (نيسان) ١٩٩٥م

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

ساعة تفكّر وتدبّر وعمل

(تفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة) أثر يتناقله الناس، وفيه حكمة، فالإنسان يحتاج – مهما بدت مسؤولياته صغيرة – إلى ساعة تأمل يقضيها في دراسة ما مضى وما هو آت، ذلك لأن الحياة الإنسانية السليمة مزيج متوازن بين الجد والهزل، والعمل والراحة، والعطاء والإمساك.. توازن يؤدي إلى الاستفادة من الحياة مع تحقيق المصالح التي اقتضتها حكمة الله تعالى باستخلاف الإنسان في الأرض..

والإنسان في حمأة الصراع اليومي وراء لقمة العيش، يحتاج إلى لحظات يلتقط فيها أنفاسه، ويدرس بشكل موضوعي ونقدي مواطن الضعف والقوة، ونقاط التقدم والتراجع في حياته، والخاسر هو الذي يراوح مكانه فلا يدري وراءه من أمامه، ولا إفلاسه من ربحه..

وأمتنا المسلمة أمام براكين الأحداث التي تواجهها كل يوم، وأمام الساحات الملتهبة التي تكتوي بنارها كل ساعة، وأمام الفتن التي تكاد لا تتوقف، تحتاج إلى لحظات هدوء لالتقاط الأنفاس من جهة، ودراسة واقعها وما تحتاجه لمواصلة مسيرة البناء وأداء الأمانة التي في عنقها من جهة أخرى..

قد يبدو الواقع أصعب من القدرة على التحمّل، مع قلة الصبر والمجالدة، وقد يرى البعض فيما يجري حالة مستعصية على المعالجة، فما من فتيل يطفأ في مكان إلا ويشتعل بدله فتيل في مكان آخر، إلا أن ذلك كله يسهل أمام إرادة مؤمن بالله حقيقة الإيمان، وبرنامج مدروس وخطوات ثابتة، ولنا في رسولنا الكريم ﷺ أسوة حسنة فقد واجه ﷺ وعصبة مستضعفة أهوالاً أين منها ما نواجهه اليوم، فكان للصبر والإخلاص والمصابرة أكبر أثر في النجاح الذي عرفناه قرونا.. يكفي أن نعقد العزم ونخلص العمل، وفي الحديث: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

أوليس التدبّر من إتقان العمل؟■

المراسلات:
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

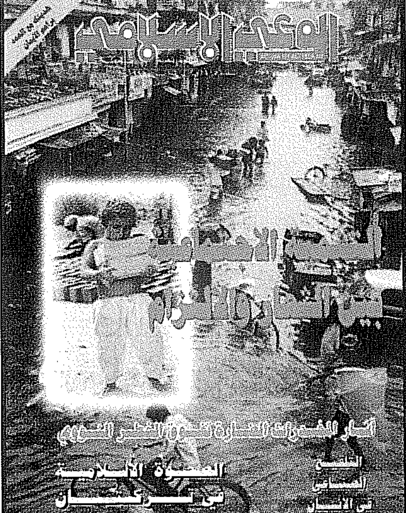
داخل الكويت: للافراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (او مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٤٨١٦٨٨٤/٥-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

أقـــرأ في العـــدد

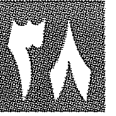


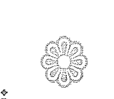
شهدت العاصمة الدانمركية كوبنهاغن الشهر الماضي وقائع جلسات مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية الذي حدد هدفه بـ(وضع خطة إيجابية وعملية تتضمن إجراءات وطنية ودولية لتشجيع جميع الدول على تحقيق مستويات معيشية أفضل، وسبل كسب اكثر انتاجية، وترابط اجتماعي قوي).. وكان حضور صاحب السمو أمير دولة الكويت جلسات المؤتمر دلالة واضحة على اهتمام هذا البلد المسلم المعطاء في ميدان التنمية الاجتماعية، وهو الذي لم يدخر وسعا في تقديم المساعدة الممكنة من خلال (الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية)..

وتجربة الكويت وحجم مساهماتها في ميدان التنمية وتقديم يد المساعدة للدول الشقيقة والصديقة تجربة غنية تستحق الدراسة والتعميم.

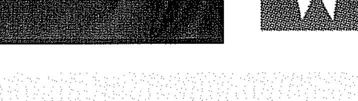
الوجود الإسلامي في جزر البحر الأبيض

بهيج سكيك بأسلوبه السلس الرقراق يأخذنا في رحلة تاريخية - حضارية لنعيش حالة الانتشار الإسلامي في جزر البحر الأبيض المتوسط، ومساهمات هذا الوجود الحضاري والثقافي.



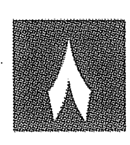


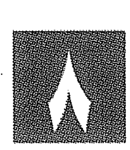
حوار بروفسور غلام أعظم



كثيرا ما توجه أصابع الاتهام للعاملين في الحقل الإسلامي دون رويّة ولا إنصاف، وكثيرا ما يستفيد المتهمون من التعتيم الإعلامي الذي يلف عملَ الدعاة وأفكارهم، وفي الوقت الذي يرفع فيه البعض شعارات العنف واستخدام القوة نرى أنموذجا في الدعوة يسير على هدي الحكمة والموعظة الحسنة مستخدما كل وسائل الحضارة والبناء الحضاري.

حديث هذا الشهر عن العنف والأقليات والمرأة ووسائل التغيير مع أمير الجماعة الإسلامية في بنغلاديش.



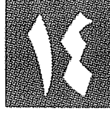


اقرأ في الأعداد القادمة

- الحجب والحرمان في الميراث / رفعت محمد مرسي طاحون
- ما هو ادب الاطفال الاسلامي / اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- التاريخ لمراحل تعليم الطب عند العرب / أ.د. مصطفى رجب
- الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدّي الزائف / د. محمد مورو
- واقع التعليم الاسلامي بين الاقليات الاسلامية في اوروبا الغربية / د. احمد جاء بالله
- الحج وبيوت العرب المنظمة في الجاهلية / طه الولي
- حوار الأديان / د. عطاد الله صدّيقي
- بعث الاشعاع الحضاري الاسلامي / محمد علي وهبة المحامي
- حواء ام البشرية / خالد سيد علي بلاسي

تقدير عمر الارض بين الأمس واليوم

يناقش د. ماهر خليل نظريات عمر الأرض بين الأمس واليوم، عارضا النظريات المختلفة ومستجدات العلم فيها، وعلاقة ذلك بالمفهوم الاسلامي ونظرته للكون والحياة.





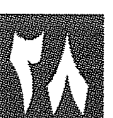
جاك بيرك والجدل حول ترجمته الاخيرة للقرآن الكريم

ما زال القرآن الكريم حجة الله على خلقه، وآياته الباهرة، ومعجزته الخالدة، لا تبلى على مدى الأيام ولا تتأثر بكثرة الردّ، ومازال الاستشراق يسعى حولها ما بين منصف ومتحامل. ومحمد القاضي يتعرض بالشرح والإيضاح لخصائص ترجمة المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) الأخيرة للقرآن ومميزاتها.



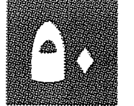
تجربة تنموية ناجحة

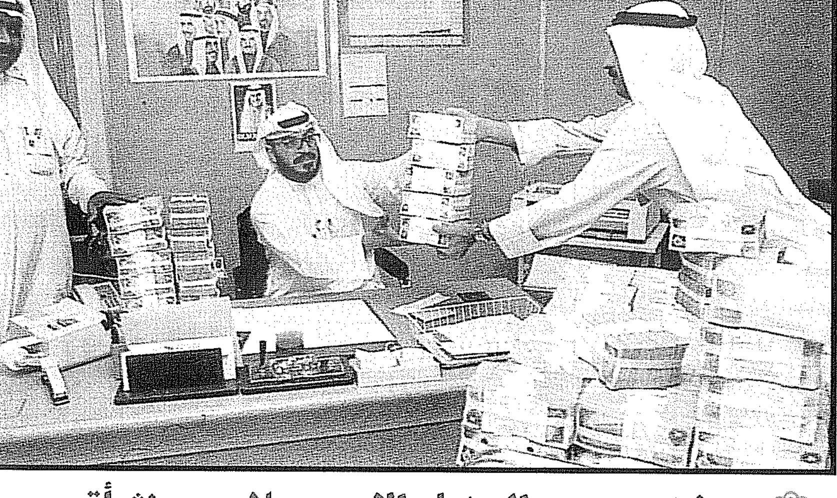
ساهمت العبادات الإسلامية في بناء الحياة، ولم يقتصر أثرها على الآخرة وإنما امتد لإصلاح الدنيا وعمارتها، والوقف أحد أبرز مظاهر مساهمة العبادة في إنماء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. و(مساحة رأي) لهذا العدد تتطرق إلى تجربة (مؤسسة الحج) الماليزية، ويبين د. صلاح الدين أرقه دان عوامل النجاح وأهمية تعميم التجربة.




كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس

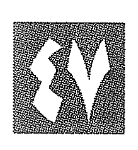
للإعلام دور كبير لا ينكره عاقل في توجيه الفكر البشري المعاصر، وهو سلاح ذو حدين قادر على الإفساد كمقدرته على التوعية، ونشر الخبر انعكاس للتوجه الفكري والعقدي الذي يحمله رجل الإعلام، وكثيراً ما تنتشر الجريمة وتستساغ من خلال طريقة العرض نفسها. في هذا المقال يعالج نور الدين بليبل ذلك كله من منظور إسلامي.



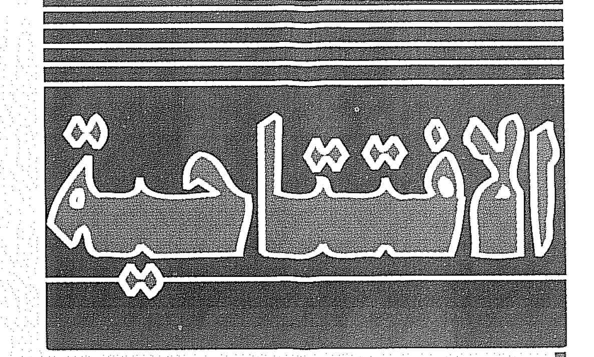


مفهوم البنك الاسلامي ونشأته

حققت المصارف الإسلامية نجاحات دامغة في مضمار المال والتعامل المالي، مما دفع بالمصارف الغربية الكبرى إلى دراسة هذه الظاهرة والاستفادة منها، والعمل على افتتاح فروع مخصصة للمسلمين والراغبين بالتعامل المالي على الطريقة الإسلامية لحوقا منها بالمؤسسات التي استقطبت المساهمات الشعبية. والأزهري مولاي عبد العزيز في مقاله هذا يلقي الضوء على مفهوم المصارف الإسلامية ونشأتها.



الفهرس



الابتلاء

شهدت العاصمة الدانمركية كوبنهاغن – مطلع الشهر الماضي – وقائع جلسات مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية بدعوة من الأمين العام للأمم المتحدة، الذي حدد هدفه بـ(وضع خطة إيجابية وعملية تتضمن إجراءات وطنية ودولية لتشجيع جميع الدول على تحقيق مستويات معيشية أفضل، وسبل كسب اكثر انتاجية، وترابط اجتماعي قوي)..

وقد أجمع المشاركون في القمة على أن الجانب الإنساني للتنمية والتقدم الاجتماعي، ظل مهملا أكثر مما ينبغي، وكان الأمين العام للأمم المتحدة قد صرح بأن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، باتت تمثل خطورة على السلام العالمي تفوق ما تسببه الحروب بين الدول، وأن أمن البشرية في أزمة، فهناك ١٢٠ مليون عاطل عن العمل، وثلث القوّة العاملة في العالم لا يعمل بوظائف منتجة، وبالتالي فهناك نحو ١,١ بليون نسمة – معظمهم في دول جنوب آسيا – يعيشون تحت خط الفقر، و٦٠٪ من سكان العالم يعيشون على الزراعة، كما يوجد حوالي ٣٠٠ مليون نسمة – معظمهم من النساء – يعملون في المدن الكبيرة بدول العالم الثالث بوظائف غير منتجة، ودون ضمان اجتماعي، ولا تأمين، ولا دعم..

وتُظهر إحصائيات متخصصة أنه كلما ازداد عدد الاقتصاديين في العالم الصناعي، ازداد عدد العاطلين عن العمل. ففي الفترة بين عامي ١٩٦٠–١٩٩٠م، دخل نحو ٤٠٠ مليون شخص سوق العمل في الدول النامية، ويتوقع دخول ٢٦٠ مليونا آخرين خلال العقد الجاري، وبالتالي فالمطلوب إيجاد ما لا يقل عن بليون وظيفة جديدة حتى عام ٢٠٠٠م، إذا أردنا القضاء على البطالة بشكل تام..

وكان حضور صاحب السمو أمير دولة الكويت جلسات المؤتمر دلالة واضحة على اهتمام هذا البلد المسلم المعطاء في ميدان التنمية الاجتماعية، وهو الذي لم يدخر وسعا في تقديم المساعدة المكنة للدول الشقيقة والصديقة من خلال (الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية) وقد بلغت قروضه ٨ بلايين دولار أمريكي لـ٧٢ دولة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا..

وقد اعتبرت الكويتُ هذا المؤتمرَ فرصةً للبحث والنظر بصورة جدية في موضوع التنمية الاجتماعية، وقد جاء استجابة للضغوط الجديدة التي يتعرض لها الأمن البشري، وللتأكيد وبوضوح تام على استحالة تحقيق أي هدف من أهداف التقدم البشري والرخاء الإنساني إن لم يتمكن المجتمع الدولي بالتعاون والتعاضد بين مؤسساته ودوله من تعزيز دور التنمية ومحورها الأول (الإنسان)، وهو الثروة الحقيقية القادرة على التنمية والتغيير، فالإنسان هو موضوع التنمية وهدفها.. والمؤتمر فرصة لاعتراف المجتمع الدولي بضرورة التصرف الجاد وإيجاد سبل العلاج لمشاكل البشرية قبل أن تستفحل إلى الأسوأ..

والقضايا التي طرحها المؤتمرون باتت بالفعل من الإشكالات الرئيسة، التي تتطلب حوارا ودراسة عميقة من أجل بلورة مفاهيمها وآلية تنفيذها، والعمل على إيجاد نظام متكامل لمواجهة هذه الإشكالات. فإذا نظرنا إلى خارطة العالم، وما يقع فيها من أحداث ووقائع وإشكالات، أدركنا أهمية تسليط الأضواء على المشاكل التي تعاني منها قطاعات وساحات واسعة تتطلب مزيدا من البذل والجهد والصراحة للخروج من دوامتها.



وأبرز ما نلاحظه:

– اتساع الفجوة بين الدول الصناعية والدول النامية، مما يترتب عليه مزيدا من الهوّة بين الأغنياء والفقراء، فنرى قلة قليلة تنعم بثروات مالية وصناعية، وتقطف جنى التقدم التقني والعلمي متسارع التطور، بينما نرى في الجهة المقابلة مزيدا من المعاناة بسبب الفقر والتخلف والحرمان وانخفاض مستوى المعيشة والبطالة، الأمر الذي ينعكس على ميزان العدالة بمفهومها العام، ويشكل تهديداً للسلام العالمي..

– وإن مما يدق ناقوس الخطر تلك المعاناة الواضحة لمجموعات واسعة من المحرومين في عالم اليوم من الرعاية الصحية والتعليمية وحق العمل والضمان الاجتماعي، وعدم التمتع بتكافؤ الفرص والمساواة على قدم وساق مع إخوان لهم في البشرية يرفلون بما تحلم بها نفوسهم، وأكثر القطاعات حرمانا – بحسب بعض الدراسات – نساء وأطفال وعجزة الدول النامية المعروفة اصطلاحا باسم (العالم الثالث)..

– ومن المخيف كذلك مظاهر انتهاك حقوق الإنسان والتمييز بين البشر، وانحسار الممارسة الديمقراطية والشورية، وبروز فتنة التمييز العنصري بأشكاله المتعددة – العرقية والدينية

والطائفية إلخ – ولجوء البعض إلى استخدام العنف وأساليب القهر والسيطرة، بل إن هناك حكومات باتت تتميز بسوء السمعة في تعاملها مع شعوبها وحرمانها من حق التعبير والحريات الأساسية، وعدم توفير الحماية القانونية والواقعية للأفراد والمؤسسات، مما يشكل انتهاكا صارخا للكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان..

والمتأمل في ممارسة هذه الحقوق يجد تفاوتا بين الدول في الاهتمام بها تنصيصا وتطبيقا، وقد تجد في البلد الواحد مفارقات تبتعد بالإنسان عن ميدان التطبيق، وتدفعه إلى زاوية الإحراج لعدم ارتباط الشعار بالعمل..

والكويت حرصا منها على تحقيق قواعد الشرع الحنيف في رعاية الانسان وتحقيق كرامته وحفظ حقوقه، والتزاما بالقرارات القانونية والأعراف الدولية المستندة إلى وثيقة حقوق الانسان، راعت حفظ ذلك بالقانون وبالممارسة، فالحكومة توفّر التعليم المجاني في جميع مراحله، وتقدم الرعاية الصحية، والإسكانية، وتولي عناية خاصة بالرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة، وتقدّم المساعدات المادية للعاجزين عن الكسب..

وكنتيجة لذلك تغطي الخدمات التعليمية والصحية ١٠٠٪ من السكان، ويعادل متوسط عمر الفرد في الكويت ٧٤,١ سنة، مما يعتبر مماثلا لما هو عليه في الدول المتقدمة، وفي الخطة الخمسية الأخيرة [١٩٩٥–٢٠٠٠م] أهداف كبيرة تتعلق بتحقيق أمن المواطن، ودعم الترابط الأسري، وبناء الإنسان وحماية كرامته، وتلبية احتياجاته الروحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية..

ونتيجة للاهتمام الرسمي بالتنمية، نلاحظ أن الكويت إحدى أبرز مناطق جذب العمالة الأجنبية، نظرا لارتفاع الأجور بها، وتقدُّم الخدمات الصحية والتعليمية، والاستقرار السياسي الذي يسود البلاد، ويبلغ عدد الوافدين حوالي مليون شخص معظمهم من دول نامية، يسهمون في رفع مستوى معيشة أسرهم في بلادهم الأم..

وقد ركزت الكويت بشكل كبير على الإنفاق في مجال التنمية الاجتماعية، قناعة من مؤسساتها المسؤولة بأهمية هذا الميدان، وحرصا منها على تنمية المجتمع بكل قواه ومؤسساته الخاصة والعامة، وذلك سعيا منها إلى إقامة بناء اجتماعي يحقق التوازن والتكافل بين أفراد الشعب، وتوفير الأمن الاجتماعي والاستقرار لأبنائها والمقيمين فيها، وتسخير الثروة لخير الإنسان..

ولم تحصر الكويت اهتمامها بالمجتمع الكويتي فقط، ففي إطار المبادىء الإسلامية الحنيفة، سعت منذ أفاء الله عليها من نعمه إلى مشاركة الإخوة والأصدقاء هذه النعمة، فسعت إلى إمداد جميع الدول المعوزة بكل أنواع الدعم والمساندة، بإقامة مشروعات تنموية، وتقديم مساعدات إنسانية، والإسهام في حركة التنمية والبناء وإقامة المنشآت الاجتماعية والانتاجية في مختلف المناطق، ودول العالم النامية على وجه الخصوص، مساهمة منها في تخليصها من مشكلات التخلف الاقتصادي، وهموم البناء الاجتماعي المتقدم، وأصبحت نسبة ما تقدمه من مساعدات خارجية يصل إلى ٣٪ من إجمالي الناتج القومي..

وتموّل هذه التقديمات مشاريع زراعية وصناعية وكهربائية ومصادر المياه وميادين النقل والمواصلات، ومن الجدير بالذكر أن (الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية) بالإضافة إلى القروض – المذكورة آنفا – قدّم مساعدات لمؤسسات إقليمية ودولية بلغت قيمتها ٦٩٦٣ مليون دولار أمريكي، ودول نامية بلغت قيمتها ١٠,٨ بليون دولار أمريكي، وتميزت هذه المساعدات بعدم اقترانها بالشروط المعقدة التي تفرضها المؤسسات الدولية والدول المانحة في العادة، كما انها لا تقترن بأطماع عسكرية ولا هيمنة سياسية، وإنما تتلخص أهدافها بالمشاركة في التنمية الدولية وتحقيق المصالح المشتركة، وهي إذ تسعى لتحقيق التنمية الدولية إنما تنطلق من سعيها الدائب لتحقيق السلام العالمي والرخاء لكل أفراد المجتمع الدولي. ومن نفس المنطلق ألغت الكويت الديون عن أكثر الدول فقرا، كما ألغت الفوائد عنها..

ولا يسع العاقل إلا أن يرى في الحروب والاعتداءات المسلحة والاحتلال الأجنبي أهم معوقات التنمية والاستقرار، ولقد مرت الكويت بتجربة مرّة تمثلت في الاحتلال العراقي لأراضيها ومحاولة مصادرة إرادة أهلها، وطمس هويتها الوطنية، ومع ذلك تعالت على الجراح وعادت سيرتها الأولى في البذل والعطاء والتعاون ضمن حدود الإمكانات المتاحة، ولو كان ما تنفقه البشرية على الحروب ومعالجة آثارها متجها إلى التنمية، لأمكن معالجة الأوضاع الخطيرة التي تعاني منها معظم المناطق النامية من الفقر والجوع والبطالة والمرض، فلقد شكلت النفقات العسكرية عبئا ثقيلا على كاهل الشعوب المبتلاة، وأدخلت المجتمع الدولي كله في دوّامات كان في غنى عنها..

ولقد تبنت الكويت – في المؤتمر المذكور – الدعوة إلى نبذ العنف، واجتناب اللجوء إلى القوة في حل المنازعات الإقليمية، والوقوف بحزم ضد المغامرات الطائشة والعدوان الذي تلجأ إليه بعض الحكومات، وإجبارها على الالتزام بمبادىء ميثاق الامم المتحدة والشرعية الدولية..

ودعت إلى الافراج عن الأسرى والمحتجزين المدنيين والعسكريين بعد وقف اطلاق النار، وإعادتهم إلى أهلهم وذويهم، وعدم اللجوء إلى المساومة أو إدخال هذه القضية الإنسانية في أساليب تتسم بالابتزاز..

كما كررت دعوتها إلى وقف سباق التسلح، ووضع حد للنزاعات الحدودية واللجوء إلى التحكيم الدولي وقرارات الامم المتحدة، وتخصيص الاعتمادات التي تنفق على العمليات العسكرية لكي توجّه إلى التنمية الاجتماعية، وبناء المدارس والمستشفيات، وإيجاد فرص العمل ورخاء الشعوب بصفة عامة..

إن موضوع التنمية الاجتماعية على رأس أولويات المهتمين والمسؤولين في العصر الراهن، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن دائما هو مدى المصداقية في الالتزام والتطبيق، ذلك لأن النظرية والشعار مما يسهل رفعه، ولكن المحك الصحيح هو اقتران الفعل بالقول، ولئن تمكنت الكويت بالوعي والحرص والمتابعة أن تحافظ على التزاماتها وقناعاتها تجاه مواطنيها وجيرانها وأشقائها وأصدقائها، فإن المطلوب تعميم التجربة حتى تتحقق عالمية التنمية وشمولها، والله الموفق إلى كل خير■

بروفسور غلام أعظم

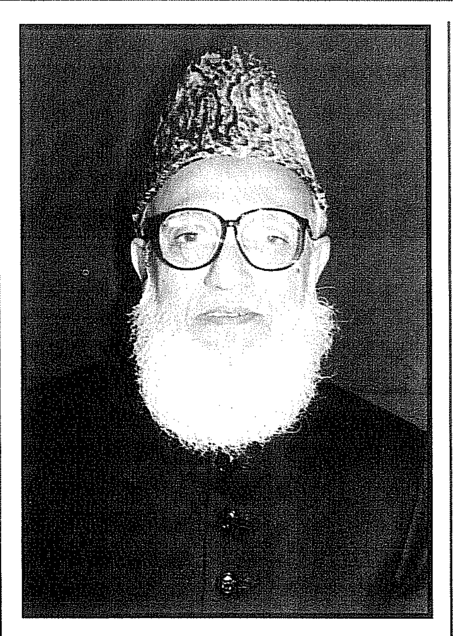
(أمير الجماعة الإسلامية ببنغلاديش):

التعدد قوّة عند التعاون وضعف عند التحزّب

البروفسور غلام أعظم، أمير الجماعة الإسلامية ببنغلاديش، شخصية بارزة ومعروفة في العالم الإسلامي، فبالاضافة إلى علومه الشرعية يعتبر داعية وعالما ومفكرا وأديبا، وهو استاذ جامعي وامام وخطيب الجامع الكبير في منطقة مونج بازار بمدينة دكا..

أعلنت بنغلاديش عام ١٩٧١م سحب جنسيته، وسلب حقوقه المدنية، وقضى حياته في المنفى في كل من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وباكستان وبريطانيا، ثم عاد إلى بنغلاديش عام ١٩٧٨م مطالبا باسترجاع جنسيته، واعتقل وطالب البعض بإعدامه، وقد قضت المحكمة العليا ببنغلاديش مؤخراًبعدم مشروعية سحب جنسيته وعدم شرعية اعتقاله، فخرج ليزاول نشاطه الدعوي والعلمي المعتاد..

التقيناه خلال زيارته الأخيرة للكويت، وكان هذا الحوار:



●غلام أعظم

حاوره: د. صلاح الدين أرقه دان

نتدرب على خدمة المجتمع بجميع فئاته وبكل احتياجاته، من منطلق الواقع والممارسة والتجربة، لا من منطلق التنظير البحت

■ يعيش شباب العالم الإسلامي اليوم صراعا مكشوفا بين النظرية والواقع، ويوجه البعض أصبع الاتهام لغياب برامج استراتيجية واضحة لدى الحركات الإسلامية العاملة على الساحة.. فهل توجد لدى (الحركة الإسلامية) المعاصرة برامج واضحة تلبي حاجة العصر، وحاجة المجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص؟

●● في الحقيقة، يعاني عالم اليوم نقصا وفراغا واضحا في العقيدة، لا سيما بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، فلا توجد عقيدة معاصرة يمكن ان تجذب معظم الناس، والاسلام هو الدين الوحيد الذي يمكن ان يسد الثغرة ويلبي حاجة البشرية جمعاء..

وأنا لا أعلم تفاصيل خطة عمل كل قطر إسلامي، ولكن بإمكاني عرض برامجنا في بنغلاديش، فالعمل السياسي يقوم هناك على (الاقتراع) وأي حكومة غير منتخبة تعتبر حكومة غير مقبولة، وقد طرحنا الإسلام – من خلال الانتخابات – بديلا، وأعلنا برنامجنا الانتخابي على هذا الأساس، حيث إننا لا نؤمن بالعمل العسكري (الثورة) أداة للتغيير..

وفي برنامجنا الانتخابي الذي طرحناه، وفزنا بناء عليه، إيضاح لخططنا المستقبلية في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية والاجتماعية إلخ.. فهو برنامج متكامل ولله الحمد، ونحن نلتقي بالجماهير في لقاءات مفتوحة،

نسمع منها وتسمع منا كل ما يتعلق بمشروعنا الإسلامي..

والجماعة الإسلامية تملك اليوم برامج تغطي مساحات واسعة من ميادين النشاط الإنساني، بنتها على رؤية إسلامية، وأبرز ما فيها: الدعوة، وتنظيم العناصر المستجيبة والمقتنعة برؤانا، والنشاطات الاجتماعية، والاقتصادية، والعمل السياسي..

وحتى نصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس العاملين للإسلام أنشأنا أربع منظمات: (١) للعامة (٢) للطلاب (٣) للطالبات (٤) للعمال..

وبشكل طبيعي تظهر النشاطات السياسية من خلال وسائل الاعلام، ويظن الناس اننا حزب سياسي فقط، مع العلم أن السياسة جزء من برامجنا قد لا تتعدى الربع مما نقوم به.

■ بمناسبة ذكر البرامج الاجتماعية والاقتصادية، ما أبرز معالم نشاطكم في بنغلاديش، والمعروف انها تنوء بأعباء الميدانين الاجتماعي والاقتصادي؟

●● تقوم الجماعة الإسلامية من خلال برامجها بدعوة الناس للمساهمة الاجتماعية، فنحن ندرب اخواننا على العمل الاجتماعي التكافلي، بحيث لو وصلت الجماعة إلى الحكم نكون على استعداد لخدمة المجتمع بجميع فئاته وبكل احتياجاته، من منطلق الواقع والممارسة والتجربة، لا من منطلق التنظير البحت..

وفي مجال الاقتصاد عندنا مؤسسة البحوث الاقتصادية الاسلامية (ISLAMIC ECONOMIC RESEARCH BOROUGH) التحضير اساتذة في مجال الاقتصاد، وفي سنة ١٩٧٨م عقدنا مؤتمرا اقتصاديا عالميا، خرج بتوصيات تخدم نفس الهدف، وبعض رجال الأعمال الملتزمين أسسوا أعمالا مصرفية، وابتدأ المصرف الإسلامي عمله الفعلي منذ عام ١٩٨١م وهو المصرف الاسلامي الوحيد في بنغلاديش، وأداؤه أفضل أداء مالي مقارنة بغيره من مصارف بنغلاديش، ومن خلال مجمل الممارسة الاقتصادية والمالية الاسلامية بدأ المثقفون يفقهون كيف يمكن للإسلام أن يدير الأمور الاقتصادية، لأنهم يرون تجربة عملية حية..

وبذلك تكون الجماعة الإسلامية مهيأة للحكم في حال اختيار الناس لها.

■ بما ان المثقفين هم النخبة التي تقوم على أكتافهم دول ومجتمعات اليوم، فكيف يتم إعدادهم، وما برامج الجماعة الإسلامية تجاه أسلمة المعرفة، أو أسلمة التعليم؟

حرية التعبير والتفكير لا تعني حرية الإيذاء والبذاءة والتهجم على معتقدات ومقدسات الملايين من المسلمين، الحرية شيء وما كتبه سلمان رشدي وتسليمة نسرين شيء آخر

●● التعليم في بنغلاديش رسمي، وهو يخضع لبرامج الحكومة، وليس بمقدورنا التدخل في مناهج التعليم، أو إيجاد مؤسسة تعليمية بديلة، أو إنشاء مدارس خاصة بنا، لها مناهجها التربوية والتعليمية المستقلة، لكننا نستعيض عن ذلك بإقامة دورات ومحاضرات، ويعمل اخواننا المتخصصون في ميدان أسلمة المعرفة وتأليف الكتب الدراسية في كل المراحل وكل المواد من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية، بما في ذلك مواد العلوم والرياضيات، نحاول صياغة المعرفة فيها من خلال نظرة اسلامية..

وفي بنغلاديش عموما نوعان من التعليم، التعليم الديني التقليدي من خلال المدرسة (MADRASA)، والمثقفون ثقافة عصرية من خلال المدارس النظامية الرسمية، وبالنسبة للفريق الأول يتناول طلابه علومهم العصرية في حلقات الجماعة الاسلامية من خلال دوراتها التخصصية، ومن خلال هذه العملية يمكن للعلماء أن يوصلوا الفكر الاسلامي للمثقفين ثقافة عصرية..



● مظاهرة طلابية تندد بالغزو العراقي للكويت

البروفسور غلام أعظم

والناس في بلدنا مؤمنون بشكل عام، وإن كانت معلوماتهم عن الإسلام قليلة، وهذا مما يجعل عملنا سهلا بينهم..

ويمكنك القول إننا نسعى منذ الآن لنكون مستعدين إذا ما اختارنا الشعب – من خلال الانتخابات البرلمانية – لحكم البلاد.

■ وماذا عن برامجكم السياسية؟

●● نريد من خلال برامجنا السياسية تصحيح أوضاع الدستور، والانتخابات، نريد للناس أن يعبروا عن انتمائهم للإسلام وتمسكهم بالكتاب والسنة..

■ في ميدان السياسية بالذات يتخوّف الآخرون، وأقصد بهم أولئك الذين هم داخل الصف الإسلامي، ولكن لهم رؤيتهم وفهمهم الخاص، أما الذين هم خارج الصف الإسلامي من حملة العقائد والأفكار المغايرة أو النقيضة، فهم يتخوفون على (الحرية)، ويسألون عن مستقبل (الحريات العامة والخاصة) في حال وصولكم إلى الحكم؟ لاسيما ومطالبتكم بمحاكمة تسليمة نسرين ما زالت ماثلة للعيان؟ وكذلك الموقف الاسلامي العام من سلمان رشدي؟

●● تسليمة نسرين سلمان رشدي آخر، وكثير من الإعلاميين يلوموننا على المطالبة بمحاسبتها، ولكنني أسأل بدوري: هل حرية التعبير تعني أن أشتم شخصا بعينه؟ حتى بريطانيا – التي أثارت أكبر ضجة حول هذا الموضوع – تمنع التهجم على الكنيسة والملكة.. وفي الكويت، هنا، هل من المقبول لشخص ما – تحت شعار حرية التعبير – أن يقول إن الكويت جزء من العراق لأنها كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية؟!

وإنني أكاد أجزم أنه لا توجد دولة واحدة، تسمح لأي فرد منها – حتى في الدول الديمقراطية – أن يطرح موضوعا ضد استقلال البلد..

وحريتك لا يجوز أن تؤثر على حريتي، فسلمان رشدي وتسليمة نسرين يمكن أن يعتقدا ما شاءا، ويمكن أن يكفرا بالعقيدة الدينية، وبالإسلام، وبالقرآن، وبالسنة، فهذا شأنهما الخاص، ولكن في الوقت الذي يعلنان فيه بكلمات بذيئة ضد العقيدة الإسلامية وضد القرآن والسنة، فهما بهذا يسيئان إلى ملايين المسلمين في العالم، وهذا هو منطلق مطالبتنا بمحاسبة تسليمة نسرين، فهي حرة فيما تعتقده ولا شأن لنا عليها، ولكنها ليست حرّة في توجيه الشتائم وإيذاء ملايين المسلمين في معتقداتهم ومقدساتهم..

ولقد سألت صحفية فرنسية في معرض إجابتي عن سؤالها الشبيه: لم لا تسمحون في بلدكم للفتيات المسلمات بلبس (الإشارب) غطاء الرأس مع انكم تدّعون تقديس الحرية والديمقراطية، ولم تمنعون المسلمات من ارتداء الزي الإسلامي؟!

■ وماذا عن الأقليات غير المسلمة في بلد مسلم تحكمه برامج الجماعة الإسلامية؟

●● في بنغلاديش حوالي ١٢٪ من غير المسلمين، أكثرهم هندوس ثم النصارى فالبوذيون ثم الوثنيون..

ويسرني أن أعلن أنني نشرت في ١٩٨٣م كتابا لغير المسلمين سميته: (الجماعة الإسلامية وغير المسلمين)، والفكرة الأساسية في الكتاب تتلخص فيما يلي:

أنتم في دياناتكم القديمة متقون لأنه لا يوجد فيها شيء غير أخلاقي، ولكن لم تريدوننا رأسماليين أو اشتراكيين إذا كان الإسلام يقدّم لنا جميعا نظاما اقتصاديا فدينكم ليس فيه نظرية اقتصادية..

وللعلم فإن جموعا من الهندوس يؤيدون برامج الجماعة الإسلامية السياسية والاقتصادية، وإحدى المنظمات الهندوسية عملت على إطلاق سراحي حين كنت معتقلا، وقامت بحملة اعلامية من أجل ذلك، وقالوا: لو



● مسيرة للجماعة الاسلامية ضد الغزو العراقي للكويت

كان هذا الرجل في السلطة لكنّا في أمان، لأن المؤمن لا يُخشى منه، ونحن أقلية لا يمكننا الحكم، فحقوقنا ستكون محفوظة إذا حكمت جماعة مؤمنة كـ(الجماعة الإسلامية)..

وعندما تدرك الأقليات أن حقوقها محفوظة لا يمكن أن تقف ضد الإسلام أو القانون الإسلامي.

■ وماذا عن رؤيتكم لمشاركة الأقليات غير الإسلامية في الحكم؟

●● نعم؛ يمكن ان يشاركوا في الوزارات والإدارات التي لا تتطلب معلومات إسلامية، وبالطبع لن يصل غير المسلم إلى مسؤولية تستلزم إيمانا بالإسلام ومعرفة بأحكامه، فيمكن لغير المسلم أن يكون نائبا، أو عضوا في الإدارات المحلية، أو وزيرا مختصا إلخ.. ولا تنس أن بعض المواقع تحتاج مواصفات معينة للشخص، قد لا يصلح لها مطلق مسلم.

فالأمر متعلق بمواصفات المسؤولية وواجباتها كما لا يخفى عليك.

■ يطرح البعض، لاسيما في الغرب، أن العلاقة بين الحضارات علاقة تناحر وتضاد وتصارع، كيف ترون العلاقة بين الحضارة الإسلامية وسواها من الحضارات؟

●● لابد من الحوار بين المسلمين وغيرهم، ومن خلال هذا الحوار سنجد قواسم مشتركة كثيرة، فليس من الممكن تحطيم الحضارات، والفهم ضروري للتعاون..

والحضارة الغربية في موقع القوّة اليوم، وأقطابها يقودون العالم، فمن السهل عليهم أن يدفعوا الآخرين لاتباع قيمهم وقوانينهم ومفاهيمهم..

وفي بلدنا منظمات غير حكومية (O.G.N) تقوم بأعمال خيرية واجتماعية وصحية، وأكثرهم من النصارى، وكثير منهم تحت قيادة منصّرين، ولأن قيمهم الاجتماعية مختلفة وتجيز لهم لقاء البنات والشباب فسنجد في اجتماعاتهم الاختلاط المرفوض إسلاميا بين الجنسين، ونحن من جانبنا نقوم بدورنا الخيري التطوعي، ولنا قيمنا التي تنعكس على ممارساتنا وأعمالنا بشكل يتناسب مع مفاهيمنا وشعاراتنا الإسلامية..

ومثل هذه الاختلافات وانعكاساتها

عندما تدرك الأقليات أن حقوقها محفوظة لا يمكن أن تقف ضد الإسلام أو القانون الإسلامي

الميدانية يصعب حلها، فهم لا يضيرهم – مثلا – إقامة علاقات جنسية خارج دائرة الزواج الشرعي أو القانوني، ولكن في الإسلام – كما هو المعروف – لا يجوز ممارسة الجنس إلا داخل مؤسسة الزواج الشرعي.. فنظام الخليل والخليلة (BOY & GIRL FRIEND) مرفوض في الإسلام..

وبين الحضارة الاسلامية والحضارات الغربية هناك اختلافات –وبخاصة– في ميدان القيم والأخلاق، ولا يمكن للمسلم أن يقبل بالمفهوم الغربي لهذه القيم الأخلاقية والاجتماعية.. فالأسرة ممزقة هناك، والزواج والطلاق ألعوبة بأيديهم، بينما الطلاق في الإسلام هو الخيار الأخير (أبغض الحلال).. ومع ذلك فهناك نقاط لقاء بين الحضارتين، كالحرية الفردية، والتمثيل السياسي، وقوّة القانون ودوره، والمساواة في الحقوق والواجبات، والأمن الشخصي، إلخ..

■ يرى البعض في ظاهرة التعدد على الساحة الإسلامية عنصر ضعف، ويرى آخرون انه عنصر قوّة للمجتمع المسلم، كيف ترون المسألة من جانبكم، ضعف أم قوّة؟

●● التعدد التنظيمي على الساحة الإسلامية عنصر قوّة إذا كانت التنظيمات تعمل لتحقيق الإسلام بإخلاص، ولكن إن كانت تعمل من أجل مصالحها فسوف تصطدم بعقبات وتكون عندئذ نقطة ضعف..

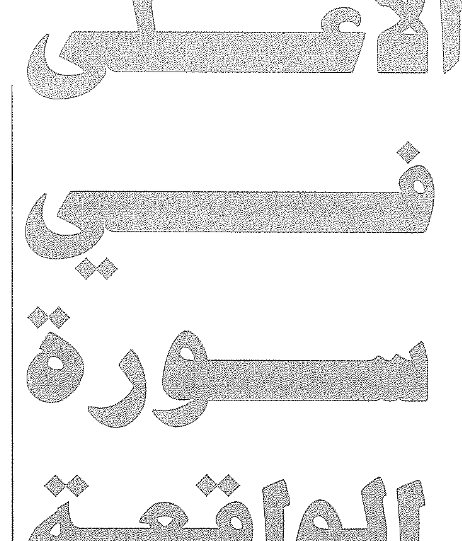
ينبغي أن يكون الهدف (الإسلام) لا (التنظيم)، وأوضح مثال يمكن الاستشهاد به ما يجري في أفغانستان اليوم، فسبعة تنظيمات تعمل ضد بعضها البعض، وتفشل في إيجاد حكومة واحدة وإنهاء المشاكل..

• التنظيمات المتعددة المتعاونة عنصر قوّة، والتنظيمات المتعددة المختلفة المتصارعة عنصر ضعف.

■ هل من كلمة أخيرة لجمهور قراء (الوعي الإسلامي)؟

●● فهم الإسلام هو الأساس الذي يحتاجه المجتمع المسلم المعاصر، حتى المثقفين يحتاجون أن يفهموا ويعلموا الإسلام، ومن خلال مواقعهم يمكنهم خدمة الإسلام لو فهموه بشكل سليم..

ومع الفهم يحتاج الفرد والجماعة إلى ممارسة صحيحة ومخلصة للإسلام بعيدا عن الرياء والمراء، واختلاف القول عن العمل من الآفات التي تشكل خطرا على الأفراد والأمم والعياذ بالله □



المثل الأعلى في سورة الواقعة

بقلم: د. محمد رجب البيومي*

سورة الواقعة.. سورة مكية .. قال عنها ﷺ في حديث رواه ابن عساكر وأبو يعلى: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

في رحاب هذه السورة الكريمة وما تتضمنه من معان ومثل عليا كان هذا المقال: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون. في جنات النعيم﴾ [الواقعة: ٧-١٢].

تشتاق النفوس الراقية إلى مطامح عالية نبيلة، تسعى جاهدة إليها حتى تصل أو تكاد، وهي في سعيها الدائب تستمد من مشاعرها الراقية عزيمة تدفعها إلى الجهاد المتواصل، حتى تتكاثف الصعاب، وتقوم العوائق، هذه النفوس ذات مثل عليا تتجسد أمامها، وتراوحها في الغدو والعشي، حتى تملك عليها منطقة التفكير فلا تهدأ حتّى تبلغها.

فالمثل الأعلى معنى من معاني الإنسانية النبيلة. يتمثل في أغراض سامية تستدعي الكفاح مثل التضحية والفداء وردع الظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. في ملأ تعاون على البغي والعقوق، وصاحب هذا المثل إنسان عرف طريق الحق فآلى ألاّ يحيد عنه أو يستشهد دونه. ومن ثمّ كان المثل الأعلى عزيز المنال ولكنه يتحقق بعد النضال والكفاح.

وقد ذهب بعض الأخلاقيين إلى أن المثل الأعلى فكرة خيالية. تعشق فقط، ولا تتحقق، فهي حلم جميل يراود المخلصين فيتوقون إليه، ولايبلغونه، وفي هذا المنحى يقول القائل:

ما شرّف المثل الأعلى وعظّمه
في أعين الناس إلاّ أنه حُلم
ولو تمثّل فيما بينهم رجلا
لحطّموه وقالوا يسقط الصّنم

وهؤلاء متشائمون لايعبرون عن الواقع المشاهد، لأن المثل الأعلى تحقق فعلاً في الحياة على فترات كثيرة. وقام بتحقيقه الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. وكل مصلح كانت وجهته خالصة لوجه ربّه، وما أثمرت جهود الإنسانية في سعيها الدائب نحو النور إلاّ بجهود أصحاب المثل العليا ممن تعاظمهم أن تكثر المصائب، وتغشى الظلمات سماء الحياة فهبوا يعملون على الانقاذ حتّى قطفوا ثمار ما غرسوه، فالمثل الأعلى هدف منشود، وليس سراباً يلوح.

*كلية اللغة العربية بالمنصورة

نصّ قرآني كريم

وقد قرأت قول الله عز وجل في سورة الواقعة: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون. في جنات النعيم﴾. ثم قرأت ما جاء في تفسيري القرطبي والزمخشري عن بعض العلماء: «إن الناس ثلاثة فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه ثم دوام عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا هو السابق المقرَّب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طوّل الغفلة حتى رجع بتوبته فختم له بها، فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم بها فهذا من أصحاب الشمال» [تفسير القرطبي، ص٦٣٦٩، ط. الشعب].

قرأت ما جاء في تفسيري القرطبي والزمخشري عن الطرائف الثلاث، وتذكرت ما قاله الأخلاقيون عن الطائفة المثالية التي وجهت عزمها إلى نصرة الفضيلة فقضت حياتها في كفاح الشر لنصرة الخير، ومازالت تعمل في مضمارها غير وانية حتى بلغت الشاطىء بسلام، فقلت إن هذه الطائفة المثالية جديرة بأن تكون السابقة المقرّبة، لأنّها ارتفعت عن نزوات الغرائز الهابطة. واستشرفت أفقاً يفيض بالنور، وقد تكلّل مسعاها بالنجاح فحازت النصر في الحياة ورضا الله في الآخرة، فمن يكون السابق المقرّب غيرها، ومن أفرادها النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وإذا كافح المكافح ولم يهن ولم يضعف ولكنه لم يبلغ ما يرجو إذ كانت العقبات فوق طوقه البشري فهو سابق مقرّب، لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى.

رحمة الله

ننظر إلى السياق القرآني في قوله عز وجل: ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة﴾، فنلمس رحمة الله البالغة في هذا التقسيم، إذ لو كان المشرّع إنسانا بشريا لجعل الناس طائفتين، طائفة الشر، وطائفة الخير فللأولى سوء المصير، وللثانية حسن العقبى، ولكن خالق الإنسان وبارئه يعلم مناحي ضعفه، ويعرف أنه يقارف الذنب، ويأتي المعصية، ومن الخير أن يفتح له سبيل الغفران فيتوب، عَلِمَ ذلك خالق الإنسان فشمله برحمته وفسح له باب المغفرة، فَجُعِلَ من أصحاب الميمنة، ممن يرتكبون الآثام، ثم يقلعون عنها نادمين، ولم يصروا على ما فعلوا، يقول الله عز وجل في سورة آل عمران عن هؤلاء: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾. [آل عمران: ١٣٤و١٣٥]

ويقول تعالى في سورة الزمر: ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون﴾ [الزمر: ٥٣و٥٤].

وهذه الطائفة من التوّابين ليست هي الطائفة المثالية. ولكنّها الطائفة الواقعية، التي اصطدمت بغرائز الشّر فاستسلمت لها حيناً. ثم استيقظت من غفلتها فأدركت ماينفرج تحت أقدامها من هوّة سحيقة توشك أن ترتطم في غورها، فسارعت إلى المغفرة دون

إصرار على المعصية، وكان مصيرها الجنّة مع أصحاب الميمنة.

السابقون المقرّبون

تحدثت سورة الواقعة عن الطوائف الثلاث في موضعين. تحدثت عنهما في أولها بعد أن تقع الواقعة، وترج الأرض رجا، وتبث الجبال بثا، ويقوم الناس لرب العالمين، ينتظرون الثواب والعقاب.

ثم تحدثت السورة الكريمة عن هذه الطوائف في خاتمتها، إذ صوّرت حشرجة الموت، حين تبلغ الروح الحلقوم حيث يقول الله عز وجل في سورة الواقعة: ﴿فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلام من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذّبين الضالين. فنزل من حميم. وتصلية جحيم﴾ [الواقعة:٨٨-٩٤]. فالسورة الكريمة وحدة متماسكة لا انفصام بين آياتها، بل تتسلسل في نسق منتظم وطبيعي أن يختلف الثواب لدى السابقين، وأصحاب الميمنة، فإذا نَعِم كلاهما بثواب الجنة، وما تضمّه من متع دانية وهناءات وارفة، ففرق شاسع بين نعيم مكتمل، ونعيم يترقب الكمال ويتمناه، وأجمل ما حظي به السابقون أنهم المقربون.

ويقول المفسرون إنهم مقربون من عرش الله، دانون من جواره، وتلك أعظم مكافأة للمؤمن إذ يُرى في المنزلة العليا، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وما يلي القرب من طرائف المتع المشتهاة أقل خطراً منه لدى من يلتمسون وجه الله في كل لحظة مهما حفل بالنعيم الرافه، والسعادة المورقة! أجل، إن السابقين المقربين هم المثل الأعلى للإنسانية الكريمة، يتكئون على سُرر منسوجة، وسائدها وحشياتها بالذهب، يطوف عليهم الولدان المخلدون بأنفس ما يشتهى من المطعم والمشرب، والمرأى، يحملون أكواب الشراب حافلة بما يبهج ولا يصدع ولاينزف، وأطباق الطعام مليئة بالفاكهة المتخيرة، واللحوم المشتهاة. ولديهم الحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون، ومع ذلك كله فالنفوس سعيدة قريرة لا تسمع غير ما يسر ويبهج إذ لا لغو ولا تأثيم جزاء بما كانوا يعملون.

هذا الثواب الجزل صورة تقريبية لما ينتظر من فضل الله، ولكن متعه الحسية على جلال شأنها، وحسن أثرها، لا تُقاس بالمتعة المعنوية الأولى، وهي القرب من عرش الله. القرب معنوي لا حسي إذ يصور غاية الاطمئنان، ونهاية السرور، كما لا يُقاس بالراحة النفسية حين يبتعد المؤمن عن ترهات اللغو والسوء من القول، وأي كدر تحيق بالإنسان حين يفاجأ بأن يسمع ما يكره إن كلمة نابية واحدة تنغص عليه أعظم ما يلقى من المتع، فإذا أمن اللغو فقد ضمن الهناءة والصفاء.

أصحاب الميمنة

يقول بعض المفسرين، إن ما أعد للسابقين المقربين شبيه بما يعد لسكان الحواضر إذ هُيِّئت لهم ملاذ المدن المتحضرة من حيث السرر المصفوفة، والولدان والحور، والرغد الرافه في المسكن والمخدع والمشرب والمطعم، وما أعد لأصحاب الميمنة شبيه بما يعد لسكان البوادي من نزولهم الأماكن المخصبة، بين الظل الممدود، والماء المسكوب. والفاكهة الدائمة، لامقطوعة ولاممنوعة، وأنا أقول إن هذا القول مجرد اجتهاد من قائله. فالفرق بين نعيم السابقين المقربين. ونعيم أصحاب الميمنة واضح، لأن الثواب على قدر المشقة.

ولكن تصوير الفرق بما بين الحضارة والبداوة بعيد بعيد، وأصحاب الميمنة على الرغم من هذا الفارق يتمتعون بأحسن ما يتمناه الإنسان، فهم في سدر مخضوض، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة، وفرش مرفوعة! وليت شعري أكانت الفكاهة الدائمة والفرش المرفوعة والظل الممدود من لوازم البادية!؟

إن أصحاب الميمنة في مرتبة ثانية! ولكن ثانويتها لا تمنع ما يتدفق فيها من خير ونعيم، وماذا نقول فيمن دخل الجنة، وهي كما نعلم تحفل بما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وأسأل الله أن يجعلنا من أصحاب اليمين، لأننا لانطمع أن نكون من السابقين المقربين، إلا بفضل من الله، وهو ذو الفضل العظيم.

أصحاب المشأمة

هل يوجد مايسمى بالمثل الأدنى!؟ إن الأخلاقيين لايعرفون هذه التسمية، لأن ذوي الجرائم من أصحاب المشأمة لايعترفون بنقائصهم، وكل مجرم فيما بينه وبين نفسه يندم ندما شديدا في بعض أوقات حرجة، ويود أن يكون شريفا في عين نفسه قبل أن يشرف في أعين الناس، وإذن فهو لايتخذ مثلا أدنى يحتذيه، وقد يحاكي المجرم مجرما سبقه إلى الإجرام متفننا متمكنا، فهو يستفيد من مواقفه الشريرة، ولكنه مع احتذائه إياه يبغض كل البغض أن يكون هذا الشرير مثله المنشود! فهواتف الارتقاء في أعماق النفس تتألب صارخة بين الفينة والفينة في أعماق المجرم، ولكن غرائز الشر في نفسه أقوى من هذه الهواتف، فتسكتها مرغمة ذليلة.

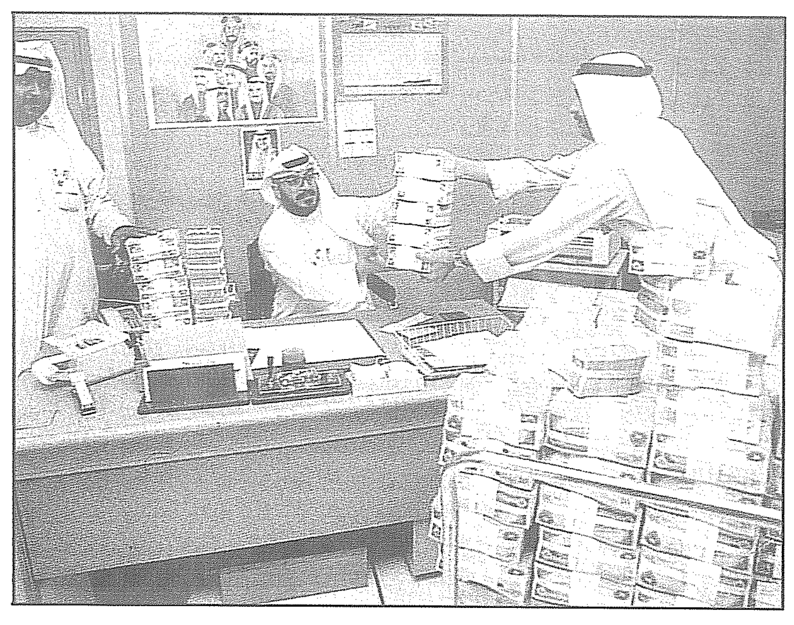
وأصحاب المشأمة يمثلون المثل الأدنى في سورة الواقعة لثلاثة أوصاف سجلها عليهم النص القرآني حين قال جل ذكره: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين. وكانوا يصرون على الحنث العظيم. وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاما أإننا لمبعوثون. أوآباؤنا الأولون﴾ [٤٥-٤٨]، فالترف مفسدة، لأنه يطغي صاحبه: ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق:٧] وهذه واحدة، أما الثانية فهي الإصرار على الذنب العظيم، وصاحب هذا الإصرار لا تُرجى منه توبة ما، لأن التائب يخاف الله، ويحذر عقابه حين يقوم الناس لرب العالمين، أما من لايثق في بعث ويكذب أن ينشره الله بعد أن يصير ترابا وعظاما، وتلك هي الثالثة، فمحال أن يفيء إلى توبة، ولماذا يتوب؟ ولاحساب عنده ولاعقاب! فإذا اجتمعت هذه الثلاثة فإنها تصور المثل الأدنى للإنسان المنحدر، وهو بذلك مستحق عذاب الله حين يكون في أصحاب الشمال!

إن إنكار البعث داعية الفجور حيث لارادع ولا محاسب، ومن هنا يسأل أحد هؤلاء: ﴿أيان يوم القيامة﴾ [القيامة:٦] لأنه يريد أن يفجر أمامه دون أن يخشى عقاب الفجور، ولذلك كان مستحقا أن يكون من آكلي شجر الزقوم، إذ يملؤون منها البطون، ويشربون شرب الهيم من الحميم! وهذا نزلهم يوم الدين.

عند الاحتضار

حددت سورة الواقعة موقف الطوائف الثلاث لدى الاحتضار في آخر السورة، كما حددت موقفهم عند البعث في أوّلها، فإذا كان الإنسان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم، وإذا كان من أصحاب اليمين فسلام عليه من إخوانه المؤمنين، وإذا كان من أصحاب المشأمة، فنزلٌ من حميم. وتصلية جحيم. وهذا هو حق اليقين.

وإذن فقد تحدثت السورة الكريمة عن الناس أجمعين، حين جعلتهم أزواجاً ثلاثة، وحددت كل زوج بصفاته الدقيقة وسماته المطابقة، وأعدت له ما يستحق من ثواب أو عقاب في ضوء ما أسلف من عمل، حين ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، وهنالك تبلو كل نفس ما أسلفت، وردوا إلى الله مولاهم الحق□



التعامل المالي العصري يتطلب مؤسسات قادرة ومؤهلة

نظراً لما يلعبه المال في الحياة والمؤسسات التي تشرف على تنظيم المعاملات المالية والتي تتمثل في البنوك خاصة، قررت أن أذكر الإنسان المسلم بالنظام البنكي الإسلامي، ومدى أهميته في حياته حياة كريمة تبعده من التناقض الموجود في بنية المجتمع الاسلامي. المعاملات المالية المعتمدة على الربا، وحصر الإسلام في العبادات فقط..

مفهوم البنك الإسلامي ونشأته

■ الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الإستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي

بقلم: الأزهري مولاي عبد العزيز

مفهوم البنك الإسلامي ونشأته

أولا: تعريف البنك الإسلامي:

أ- لغة البنك جمع بنوك. وهو المحل الذي توضع فيه الأموال لأعمال مخصوصة تحت إدارة مخصوصة وعربيتها (المصرف)(١).

ب- اصطلاحا: تعرف البنوك بصورة عامة بأنها مشروعات تتلقى أموالا من الجمهور على شكل ودائع، تستعمل فيما بعد على عمليات حسم أو اعتماد عمليات مالية، فهي بهذه الصفة مجرد مشروعات وسيطة تقوم بدور الوساطة ليس إلا. لكن من المعلوم أن «الوديعة تتيح الإعتماد» كذلك فإن «الإعتماد يضع الوديعة» وذلك وفق معامل يمكن أن نطلق عليه «مضاعف الاعتماد» وهذه السلطة التي تتمتع بها البنوك في إصدار النقد الخطي أو الكتابي تمنحها مركزا أكثر أهمية وخطرا من مجرد كونها وسيطة، فهي أيضا «خالقة» أو مصدرة للنقد وهذا الدور الذي انتزعته من سلطة الدولة أو المجتمع أثار فكرة تدخل السلطات العامة من مجرد توجيه ومراقبة الائتمان (الإعتماد) إلى التأميم الكلي وذلك حسب المذاهب والأنظمة السياسية المتبناه. وهذا التعريف عام للبنوك(٢). وهناك تعريف آخر، اختلفت بشأنه الآراء، ولعل أطرفها هو الذي يقول: إنها المؤسسات التي تقوم بالأعمال المصرفية. وأما البنوك الإسلامية بوجه خاص فإنها تختلف اختلافا جذريا عن البنوك التقليدية باعتباران علاقة هذه الأخيرة بالطرفين (المودع ومستخدم الأموال) تقوم على أساس القرض بفائدة. فالبنوك الإسلامية هي تلك البنوك التي تلغي الفائدة(٣).

ثانيا: نشأته

لنأخذ مثالاً البنك الإسلامي للتنمية، فهذا البنك لم ينشأ إلاّ لأسباب متعددة منها على سبيل المثال:

– إن الحكومات الموقعة على اتفاقية إنشاء هذا البنك. إذ تنظر بعين الإعتبار إلى الحاجة للنهوض بمستوى المعيشة لشعوب الدول الإسلامية، وإلى تحقيق تنمية اقتصادية متجانسة ومتوازنة للدول الإسلامية على أساس المبادىء والمثل الإسلامية. – وإذ ترى أن أحسن السبل لتحقيق هذه التنمية هو التعاون المالي والاقتصادي المتبادل بين الدول الإسلامية الأعضاء في المؤتمر الإسلامي.

– وإذا أخذنا في الإعتبار أن من بين أهداف المؤتمر الإسلامي – كما ينص عليها ميثاق هذا المؤتمر – تنمية ودعم التعاون بين الدول

الأعضاء في المجالات الإقتصادية والإجتماعية وغيرها من ميادين النشاطات الأخرى.

– وإذ نذكر الحاجة إلى تعبئة جميع الموارد المالية وغير المالية من داخل الدول الأعضاء ومن خارجها وتشجيع المدخرات المحلية والاستثمارات وزيادة تدفق الأموال إليها.

– ونظرا لاقتناعها، على ضوء ما تقدم، فإننا بحاجة إلى إنشاء مؤسسة دولية مالية مختصة بالتنمية والاستثمار والرفاهية الاجتماعية تستمد توجيهاتها وأصولها من المبادىء والمثل الإسلامية، وتكون تعبيرا عمليا عن وحدة الأمة الإسلامية وتضامنها، قررت – نتيجة لكل هاته الأسباب – بموجب هذه الاتفاقية إنشاء مؤسسة مالية دولية يكون اسمها على سبيل المثال: «البنك الإسلامي للتنمية»(٤).

ومن أهم الأسباب الأخرى التي أدت إلى نشأة البنوك الإسلامية في نظر الدكتور النجار(٥) نذكر ما يلي:

– أن البنوك الإسلامية أصبحت ضرورة اقتصادية لاجدال فيها ولا مفر منها وذلك من خلال الوظائف التي تقوم بها والخدمات التي تنجزها. – دور اتفاقية علماء مؤتمر البحوث الإسلامية الثاني في شأن المعاملات المصرفية، حيث قرروا ما يلي:

١– الفائدة على أنواع، القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي أو ما يسمى بالقرض الإنتاجي، لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.

٢– كثير الربا وقليله حرام، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح لقوله تعالى: ﴿يايها الذين آمنو لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ [آل عمران/ ١٣٠].

٣– الإقراض بالربا محرم ولا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والإقتراض بالربا محرم كذلك، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة.

٤– تحريم الكتاب القاطع لمكافأة رأس المال بواسطة الفائدة المحظورة. لهذا فيبدو أن فكرة البنك الإسلامي أول ما ظهرت عند الدكتور النجار كانت بمناسبة دراسة لتاريخ بنوك الأدخار المحلية في ألمانيا منذ القرن التاسع عشر.

مجالات عمل البنوك الإسلامية ونماذج منها

أولا: مجالات عمل البنوك الإسلامية:

لقد تأسست البنوك الإسلامية بهدف تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات الإقتصادية وإتاحة الفرصة للمسلمين لمزاولة الأنشطة الإستثمارية والإستفادة من الخدمات المصرفية بعيدا عن دائرة الربا المحرم في الإسلام، حيث إن تحريمه جاء صريحاً وواضحاً في القرآن الكريم ولنقرأ قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنو لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران/ ١٣٠]، وقول جل من قائل: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة/ ٢٧٥].

وقول جل من قائل: ﴿ياأيها الذين آمنو اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة/ ٢٧٨].

لذلك فإن البنوك الإسلامية أصبحت ضرورة في المجتمعات الإسلامية: لتقوم بخدمة المسلمين في المجال المصرفي والإستثماري بعيدا عن شبهة الربا فالتحريم الذي ورد في الآيات الكريمة المبينة لا يدع مجالا للمسلم – الذي يسعى للالتزام بشرع الله – بأن يتعامل بالربا، وبالنظر إلى حاجته الى الخدمات المصرفية والإسلامية فإنه لا بديل للبنك الإسلامي لتقديم هذه الخدمات(٦).

ومن أهم المجالات الأخرى التي يتجسد لنا فيها عمل البنوك الإسلامية نذكر صيغ معاملات هذه البنوك:

أ– فالقوانين التي تحكم عمل البنوك في كل البلاد تمنع هذه الأخيرة من أي نشاط تتعرض معه أموال المودعين للخطر، فعملية الاتجار شراء وبيعا، وكذلك عمليات المشاركة في الربح والخسارة ممنوعة على البنوك، وإنما المباح لها فقط هو الإقراض بفائدة. بحيث يكون أصل القرض وفائدته مضمونين. وتأتي البنوك الإسلامية ملتزمة بحكم القرآن الكريم: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾. المناقض في شقيه للقواعد التي تحكم نشاط البنوك التقلدية وأمام هذا الفارق الجوهري يلزم أن تنص القواعد الحاكمة لنشاط البنوك الإسلامية على التصرفات التي يجوز لها أن تباشرها. والتصرفات التي لا يجوز لها أن تباشرها.

ب– الناحية الهامة الأخرى التي يجب التنبيه إليها هي أن البنوك شيء والشركات التجارية والصناعية والزراعية شيء آخر.

فما هو غرض البنك ووظيفته الرئيسية ياترى؟

إن وظيفة البنوك الرئيسية هي الوساطة بين المدخرين والمستثمرين...

جـ– وإذا استبعدنا علاقة الدائنية والمديونية التي تتسم بها أعمال البنوك التقليدية، فمن الممكن تصور قيام البنك الإسلامي بوظيفة(عمل) الوساطة من خلال الإطار بين التاليين:

١– إطار الوكالة الخاصة: حيث يتلقى البنك المدخرات كوديعة مخصصة لاستثمارها في مشروع معين أو قطاع معين، بعد أن يقتنع المودع له ويوكل البنك في الإشراف نيابة عنه على هذا الإستثمار.

٢– إطار الوكالة العامة: أو المضاربة إن أخذنا بالصيغة الفقهية المعروفة بهذا الإسم. حيث يتلقى البنك المدخرات لاستثمارها فيما يراه من وجوه الإستثمار.

ودون أي قيد من جانب المودع سوى قيد المدة التي يرغب بعدها في استرداد ماله(٧).

د– وإذا نظرنا إلى علاقة البنك الإسلامي بمستخدمي الأموال وجدنا أنها لا تكاد تخرج عن الأطر الثلاثة التالية:

١– الإطار التقليدي: حيث يقوم البنك بتمويل عملائه الذين يقومون بالنشاط الاقتصادي من تجارة وصناعة وخدمات.. الخ. والفارق هنا بين البنك الإسلامي والبنك التقليدي أن الأول لايمول عملاءه في صورة قروض بفوائد، وإنما من خلال إحدى الصيغ الجائزة شرعا.

٢– الإطار الذي يقوم به البنك بإنشاء شركات تابعة متخصصة في مختلف القطاعات الإقتصادية، ويقوم البنك بتمويل عملياتها.

٣– الإطار الذي يقوم فيه البنك بالعملية الإقتصادية مباشرة لحسابه، سواء في مجال تجارة السيارات أو المواد الغذائية أو العقارات أو الإسكان أو غير ذلك. حيث يكون البنك هو المشتري والبائع والمؤجر.. الخ.

هـ– إن المقياس المطلوب من البنك الإسلامي مراعاته هو مقياس من الرجل الخبير الحريص وليس مقياس الرجل العادي.

و– يتحتم على المؤسسات الوسيطة أن تقوم بمهمة ترتيب استثماراتها بصورة تمكنها من رد الودائع إلى أصحابها في موعد استحقاقها

مفهوم البنك الاسلامي

والبنوك الإسلامية لا تقدم الأموال لآجال محددة، بل تقوم بتمويل مشروعات حقيقية يصعب في معظم الأحيان انضباط مواعيد تصفيتها وتحصيل ناتجها إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة والمشروعة التي تقوم بها هذه البنوك اللاربوية(٨).

مجالات أخرى

وهناك مجالات أخرى مثل:

ز- مشروعات البنك الإسلامي: نرى أن هذا النوع من البنك (مصرف التنمية الإسلامي) يسمح بالمشاركة في مختلف المشروعات عند توفر مجموعة من الشروط. ١- عند قيام البنك بالإستثمار عن طريق المشاركة في رأس المال.

٢- يجب أن يتأكد من المؤسسة أو المشروع من شأنه أن يحقق عائدا ملائما حاليا أو مستقبلا وانه يدار بشكل سليم.

٣- يضع البنك شروط المشاركة - كما قلنا - التي يراها ملائمة آخذا بعين الاعتبار متطلبات المؤسسة أو المشروع والمخاطر التي يصطدم بها البنك وكذلك الشروط التي يلتمسها في غالب الأحيان المستثمرون بالمشاركة في حالة التمويل، بما في ذلك حقوق التصويت وحق اختبار مدير أو أكثر في مجلس إدارة المؤسسة أو المشروع الذي يشارك فيه.

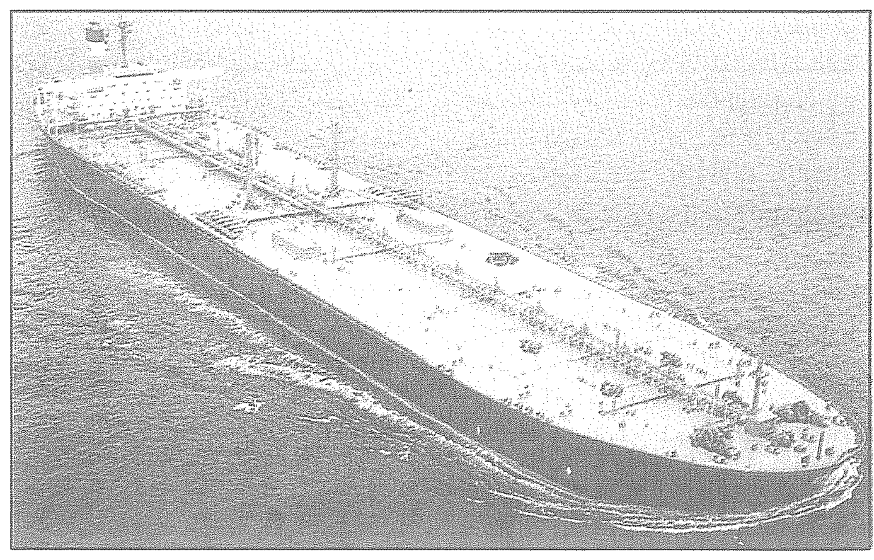
٤- يحتفظ البنك لنفسه بالحق في بيع حقه في رأس المال في الملابسات وبالشروط التي يراها ملائمة.

٥- لا يتولى البنك مسؤولية إدارة المشروع الذي ينمي فيه أمواله إلا عندما يكون ضروريا لرعاية استثماراته.

٦- لا يقدم البنك قروضا لمشروع يكون مشاركا في رأس ماله إلا في حالات خاصة بعد موافقة أغلبية تمثل تلثي الأصوات في مجلس المدراء التنفيذيين.

٧- يسعى البنك لتجديد موارده عن طريق بيع استثماراته كلما وجد ذلك مناسبا له.

٨- يسعى البنك إلى المحافظة على التنوع الملائم في استثماراته بطريق المشاركة في رأس المال(٩).



● لمصارف اليوم الدور الأول في تمويل العمليات الاقتصادية المختلفة

ثالثا: نماذج منها

ومن أهم نماذج البنوك الإسلامية نذكر ما يلي: بنك دبي الإسلامي، بنك فيصل الإسلامي السوداني وبنك فيصل الإسلامي المصري.

نظرا لضيق المجال نعطي لمحة عن البنك الأول، «بنك دبي الإسلامي». تأسس هذا البنك بموجب مرسوم صادر في ١٢/٣/١٩٧٥م من سمو حاكم أمارة دبي الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم.

١- وقد نص المرسوم المذكور على ضرورة موافقة حكومة دبي على:

* قبول مساهمة غير مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة في رأس مال البنك.

* أنشاء فروع مكاتب أو وكالات للبنك في إمارة دبي أو خارجها.

* انضمام البنك أو اندماجه في أية شركة أو هيئة أخرى.

* تعديل عقد البنك التأسيسي أو نظامه الأساسي أو وضع أية أنظمة أخرى مغايرة لأحكام مرسوم التأسيس.

* إنهاء عمل البنك أو التوقف عنها.

٢- كما نص المرسوم على ضرورة اقتطاع نسبة لا تقل عن ١٠٪ من أرباح البنك الصافية لحساب الاحتياطي القانوني، حتى يساوي رأس مال الشركة المصرح به.

٣- وكذلك نص المرسوم على ضرورة تقديم قائمة بأسماء أعضاء مجلس الإدارة والعضو المنتدب الى الحكومة، وتبليغها خلال ثلاثة أشهر من ختام السنة الميلادية بصورة من تقريرها السنوي وميزانيتها السنوية مصدقة من محاسب قانوني.

٤- وأخيرا نص المرسوم على خضوع البنك لأحكام القوانين والأنظمة المعمول بها في إمارة دبي(١٠).

آفاق البنك الإسلامي، مميزاته وحقوقه

أولا: آفاق البنك الإسلامي.

يعتبر البنك الإسلامي مؤسسة حكومية أو خاصة مختلطة - في نظرنا - حسب الظروف المحلية لكل بلد إسلامي وهي ذات طابع محلي،ومتعددة النشاطات تستثمر الأموال الموضوعة تحت تصرفها لتحقيق أرباح مشروعة، وأحداث أو دفع عجلة التنمية الإقتصادية والاجتماعية في فلك عملها.

والبنك الإسلامي بإسمه الخاص وإصالة في حدودأمواله الفردية التي يتمتع بها (رأس المال والإحتياطات)، وباسم المودعين وكالة، في حدود المبالغ المودعة من جهتهم وفي هذه الحالة الأخيرة يلعب البنك دور «وكيل مأجور بحيث يشرف على العمل لحساب المدخرين المستثمرين، في مقابل أجر يتمثل في رواتب وأجور موظفيه وعماله التي يجري تنزيلها من الأرباح المتحققة.

كما يستطيع هذا البنك أن يقوم بكل الأعمال المصرفية مستبدلا فيها المشاركة، ويمكن تصنيف عملياته في الأنواع الأربعة التالية:

أ- جمع واستقطاب المدخرات النقدية.

ب- تقديم المساعدة المالية.

جـ- تقديم المساعدة الفنية.

د- وخدمات أخرى كثيرة لا يمكن حصرها..

فالبنك يمكن أن يقدم لزبنائه خدمات أخرى مثل تحصيل السندات التجارية وتسليم القسائم (الكوبونات) وتأجير الصناديق الحديدية والتوسط في الإكتتابات لحساب الشركات مثل هذه الخدمات لا تثير مشكلات خاصة، لأنها مأجورة لا بواسطة الفوائد الربوية ولكن عن طريق العمولات المشروعة(١١).

ثانيا: مميزات البنك الإسلامي

يتميز البنك الإسلامي بما يلي:

– هو بنك محلي (ذو اختصاص جغرافي).

– هو بنك شعبي، أو ذو نزعة اجتماعية.

– هو بنك غير ربوي.

– هو بنك متعدد الأعمال، له علاقات مع المزارعين والتجار والعمال وأصحاب المهن الحرة، ويقدم تسهيلات ائتمانية لآجال قصيرة ومتوسطة وطويلة لأغراض وغايات استهلاكية وأخرى إنتاجية(١٢).

ومن مميزات البنوك الإسلامية أيضا نذكر ما يلي:

أ- استبعاد التعامل بالفائدة (الربا) بأي شكل من الأشكال.

ب- توجيه المجهودات نحو التنمية عن طريق الإستثمارات ويساهم في رأس مال المشروع الإنتاجي بصفة شريك في الملكية والإدارة والإشراف وفي كل ماينتج من ربح أو خسارة، وفي الحالتين تخضع استثماراته ومساهماته كلها لمعايير الحلال والحرام.

جـ- ربط التنمية الإقتصادية بالتنمية الإجتماعية نتيجة انطلاقه من التصور الإسلامي في الحياة الذي يرتكز على الشمول والتوازن حيث لا ينفصل فيه طرف عن طرف آخر بل يعتبر التنمية الإجتماعية هي الأساس الذي لاتزدهر التنمية الإقتصادية إلا بمراعاته. كما يتميز عن البنوك الربوية التي تعتمد طريق تمويل المشروعات عن طريق الأقراض بالفائدة من غير أي حرص على مصلحة الجماعة، وإنما انطلاقا من مصلحة الفرد والحرص على تحقيقها، ورعايته، لذلك فهي لا تعتني بجوهر المشروع الذي تموله بمقدار اعتنائها بالربح، أو العائد الفردي الذي سيلحقها منه(١٣).

ثالثا: حقوق البنك الإسلامي

إن العنصر الثاني يتمثل في البنك وهو في الواقع ليس عضوا أساسيا في عقد المضاربة، لأنه ليس هو صاحب المال ولا صاحب العمل أي المستثمر، وإنما يتركز دوره في الوساطة بين الطرفين، فبدلا عن أن يذهب رجال الأعمال إلى المودعين يفتشون عنهم واحدا بعد آخر ويحاولون الإتفاق معهم يقوم البنك بتجميع أموال هؤلاء المودعين ويتيح لرجال الأعمال أن يراجعوه ويتفقوا معه مباشرة على استثمار أي مبلغ تتوفر القرائن على إمكان استثماره بشكل ناجح.

وهذه الوساطة التي يمارسها البنك تعتبر خدمة محترمة يقدمها البنك لرجال الأعمال ومن حقه أن يطلب مكافأة عليها على أساس الجُعَالة.

والجُعَالة التي يتقاضاها البنك كمكافأة على عمله ووساطته تتمثل في أمرين:

الأول: أجر ثابت على العمل يمكن أن يفرض مساويا لمقدار التفاوت بين سعر الفائدة التي يعطيها البنك الربوي وسعر الفائدة التي يتقاضاها، مطروحا منها زيادة حصة المودع من الربح على سعر الفائدة الوديعة.

وهذا المقدار بقطع النظر عن الطرح منه هو الذي يمثل الإيراد الإجمالي الربوي للبنوك، فإن إيرادها الربوي يتمثل في الفارق بين الفائدة التي تدفعها للمودع والفائدة التي تتقاضاها لدى تسليف الودائع.

غير أن البنك اللاربوي الذي نبحث عن صيغته الإسلامية لا يكفي أن يحصل على هذا المقدار، لأن هذا البنك يختلف عن البنوك الربوية في نقطة جوهرية هي أن ضمان رأس المال المتكون من الودائع يقع على عهدته هو بينما لا تتحمل البنوك الربوية شيئا من الخسارة في نهاية الشوط وإنما الذي يتحملها رجل الأعمال المقترض من البنك، ولهذا يجب أن يزيد الجعل الذي يتقاضاه البنك لقاء عمله على المقدار الى يحصل عليه البنك الربوي من التفاوت بين سعر الفائدتين كما سنرى.

الثاني- (أي العنصر الثاني في الجعالة المفروضة للبنك) أن يكون للبنك زائدا على ذلك الأجر الثابت جعالة مرنة على العامل المستثمر تتمثل في إعطاء البنك الحق في نسبة معينة من حصة العامل في الربح ويمكن أن تقدر هذه النسبة بطريقة تقريبية تجعلها مساوية للفرق الذي ينعكس في السوقين النقدي الربوي والتجاري بين أجرة رأس المال المضمون، وأجرة رأس المال المخاطر به، فإن رأس المال المضمون تتمثل أجرته في الأسواق الربوية في مقدار الفائدة التي يتقاضها البنك الربوي من مؤسسات الأعمال التي تقترض منه، ورأس المال المخاطر به تتمثل أجرته في الأسواق التجارية في النسبة المئوية التي تعطي عادة لرأس المال إذا اتفق صاحبه مع عامل يستثمره على أساس المضاربة، وفي العادة تكون النسبة المئوية التي تعطى لرأس المال في حالة المخاطرة بدرجة يتوقع لها أن تكون أكبر من الفائدة التي يتقاضاها رأس المال المضمون عن طريق القرض.

وهذا الفارق بين الأجرتين يجعل للبنك كجعالة على عمله ووساطته(١٤).

يمكن للبنك أن يدخل إلى مجال الإستثمار على أساس المضاربة بالأموال التي تعتبر مِلكا خاصا به إلى جانب الودائع الثابتة التي يعتبر البنك وكيلا عليها من قبل مودعيها(١٥).

الهوامش:

١) المنجد في اللغة والإعلام.. ص٥٠.

٢) مصرف التنمية الإسلامي.. د. رفيق المصري ص٣٨.

٣) البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. التقليد والإجتهاد النظرية والتطبيق (من كتاب الأمة) ص٨٠، د. جمال الدين بن عطية.

٤) نظام التبرعات في الشريعة الإسلامية.. محمد الحبيب التجكاني. ص٢٠٥.

٥) مصرف التنمية الإسلامي.. ص٣٢٨-٣٣٠.

٦) مجلة الأمة، عدد ٥٩، السنة ٥، ذو القعدة ١٤٠٥ (يونيو).

٧) كتاب الأمة: البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. ص٧٩-٨١.

٨) البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. ص٨٢-٨٤.

٩) نظام التبرعات في الشريعة الإسلامية.. ص٢١٤-٢١٥.

١٠) البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. ص٢١. ولمن أراد الإطلاع على النماذج الأخرى. ينبغي، الرجوع إلى نفس المرجع. الصفحات: ٢٢-٢٣.

١١) مصرف التنمية الإسلامية.. ص٤١٠.

١٢) نفس المرجع.. ص٣٧٤.

١٣) من مجلة الأمة.. العدد٥٩، ص٦٢، السنة ٥.

١٤) البنك اللاربوي في الإسلام.. محمد باقر الصدر. دار من المذهب الشيعي التعاون لمطبوعات بيروت لبنان. ط. الثامنة. ١٩٨٣/١٤٠٣هـ. ص٤١-٤٣.

١٥) نفس المرجع.. ص٤٧.

استأثرت الدراسات الاستشراقية في السنوات الأخيرة باهتمام الكثير من الباحثين الدراسين والمفكرين، واتسع مجالها وكثر الجدل حولها بين ناقد ورافض ومتهم ما دام الاستشراق في نظر بعضهم(١) علماً غربياً يقدم التصور الغربي للعرب، التصور الغربي للإسلام. وهو في نظر إدوارد سعيد كذلك عبارة عن رد الفعل الغربي اتجاه الشرق، وهو أمر له جذوره في السياسة ولكنه مع ذلك يعتبر ظاهرة ثقافية(٢).

جاك بيرك والجدل حول ترجمته الأخيرة لمعاني القرآن الكريم

تناول المستشرقون القرآن الكريم بالدرس والتحليل والتمحيص، واعتنوا بترجمته الى لغاتهم ليتقربوا اليه اكثر

آراء وانتقادات

كثيرة هي الآراء والانتقادات، ولها ما يبررها، فهي قائمة على خلفيات فكرية وتوجيهات قومية، ولكن برغم ذلك فإن الجدل يبقى مستمراً والحوار مفتوحاً. وللدكتور شكري محمد عياد رأي خاص في الموضوع بحيث يرى: (لولا أننا ابتعدنا عن مصادر ثقافتنا الأصلية الغنية ما احتجنا اليهم، ولولا اننا تعودنا ان نسمع ونقرأ فنحفظ ونردد، ولانتأمل أو ننقد، ماجعلنا لما يقوله القوم أو يكتبونه كل هذا الخطر لاحين يصيبون ولا حين يخطئون.

ولماذا لا أقول إننا رأينا انصراف القوم إلى الدرس وعكوفهم على البحث وصبرهم على النبش في الوثائق، والتتبع للجزئيات، ومرونة أذهانهم إذ يجمعون ماتفرق، وينظمون ماتشابه، ويطرحون الأسئلة، ويقدمون الفروض، وعز علينا أن نجاريهم في شيء من ذلك، فاكتفينا بترديد ماقالوه، وخيرنا من ترجم وعقب، وشرنا من خطف وانتهب. ثم رأيناهم يتنكبون الصواب، ويتجافون عن الحق، وعز علينا مرة أخرى ان نباريهم صبراً ودأباً فظننا أن ننصر حقنا على باطلهم بالمهاوشة والسباب وديننا يأمرنا بغير ذلك)(٣).

لقد عرفت حركة الاستشراق تطوراً وذلك

إعداد: محمد القاضي

تمشياً مع طبيعة المرحلة والوضع الجديد الذي تشهده الأمة العربية والاسلامية واختلف غرب القرن الثامن عشر والتاسع عشر عن غرب النصف الثاني في القرن العشرين اختلافاً شديداً، وتغير الرأي الذي كان سائداً بين المستشرقين في القرنين الماضيين والذي كان قائماً على العصبية وانكار فضل العرب ودورهم في الحضارة الانسانية، فقد عصف بهم التعصب الأعمى، إلى انه لايجب انكار ماقام به البعض الآخر من مجهود جبار في خدمة العرب حضارة وثقافة وفكراً، ومسحوا غبار الاهمال والنسيان عن كثير من آثار التراث العربي والاسلامي.

وعلى العموم فإن المستشرقين اليوم غيرهم بالأمس إذ يلاحظ ان أعداداً متزايدة من المستشرقين في مختلف اقطار اوروبا وامريكا يتجهون الى الدراسات المعاصرة والتاريخ المعاصر والادب المعاصر كل حسب تخصصه، وترى المستشرقة الفرنسية كلود أودبير (أن الاستشراق بمعناه القديم ليس موجوداً، بل يتعلق الاستشراق اليوم بالتخصصات، فهناك تخصص في علم الاجتماع أو اللغة أو التاريخ ثم يتجهون للعربية يتفاعلون معها. فالاستشراق عندهم ليس هدفا بقدر مايعتبر امتدادا لتخصصهم الأصلي ومتعلقا به. أشك ان مفهوم الاستشراق الكلاسيكي مازال موجوداً بالمفهوم الحديث)(٤).

ومهما يكن هذا التطور الذي طرأ على البحث الاستشراقي في السنوات الاخيرة، وظهور مناهج جديدة في ميدان البحث العلمي والميل الى ابراز الحقيقة العلمية الخالصة، فإن النشاط الاستشراقي حسب رأي بعض الباحثين العرب يبقى (عملية معقدة جدا، انعكست اثارها على السياسة والاجتماع والحركة الفكرية بل على الحياة العربية والاسلامية كافة، واختلفت فيها الآراء وتباينت حتى اختلط الحق بالباطل، وكان من نتاج كل ذلك بلبلة فكرية واجتماعية لاتزال الأمة تعاني من اثارها)(٥).

المستشرقون والقرآن الكريم

تناول المستشرقون القرآن الكريم بالدرس والتحليل والتمحيص، واعتنوا بترجمته الى لغاتهم ليتقربوا اليه اكثر. هذه الترجمات التي اختلف في تقويمها المهتمون بالدراسات الاستشراقية في المشرق والمغرب بعد أن أتيح لهم الاطلاع عليها، فوقفوا على جوانب الضعف فيها والمطعون، ما ظهر منها وما بطن، ورصدوا الأخطاء التي ارتكبوها عمداً وبسوء النية أو بغير عمد وكثيرة هي القضايا التي تطرحها ترجمة القرآن الكريم كاستحالة نقل

إعجازه الى لغة اخرى ومسألة الكتابة والقراءة بصفتها تأويلات والفرق بين الترجمة والنقل والحد والتجاوز الى غير ذلك من القضايا الفلسفية.

ولكن مهما اختلفت آراء وأهداف المستشرقين حول هذا الموضوع يبقى عملهم محاطاً بالحذر واليقظة والموضوعية العلمية والنزاهة لأنه كما يرى الدكتور حسن حنفي (أن جميع المستشرقين أوجلهم من أهل الكتاب ينكرون الوحي الإسلامي ومن المستحيل بالنسبة اليهم ارجاع الظواهر الفكرية التي يدرسونها الى أصولها في الكتاب والسنة عن اعتقاد أو عن تعود. بل يرون ان الوحي ذاته نتاج التاريخ واتصال المبلغ اليه بالبيئات اليهودية والنصرانية المعاصرة له، بل إنه لم يحسن فهمها، وجمعها بلاترتيب أو منطق، قد يفترض البعض منا سوء النية في ذلك لأن المستشرق يعرف في قرارة نفسه أن التفسير الوحيد للظاهرة هو ارجاعها الى أصولها في الوحي، ومع ذلك يدير ظهره ويحاول إيجاد أصول تاريخية واجتماعية لها)(٦).

هل يترجم القرآن الكريم؟

لم يحظ كتاب بما حظي به القرآن الكريم من عناية وحفظ دون اكراه، وظل هو هو كما أوحي به الى النبي ﷺ لفظاً ومعنى عبر الاجيال دون أي تحريف. وقد نص القرآن الكريم صراحة على أنه ﴿قرآن عربي﴾ و﴿بلسان عربي مبين﴾ ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ [فصلت:٣] ﴿إنا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [يوسف:٢] ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربياً﴾ [الشورى:٧] ﴿وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا﴾ [الاحقاف:١٢].

فالقرآن الكريم أنزل باللسان العربي، فكان نزوله أعظم تحول تاريخي في اللغة العربية وآدابها ومعجزاتها الكبرى في كل موضوع من المواضيع التي حفل بها القرآن الكريم. وقد اتفق الفقهاء على أن القرآن هو (الكلام المنزل على سيدنا محمد حتى المتعبد بتلاوته) لذا فإن ترجمة القرآن الكريم الى أي لغة غير العربية ليس قرآنا سواء أكانت الترجمة حرفية أم معنوية(٧) والترجمة الجيدة يجب أن تكون ترجمة للمعاني تنطلق في فهم الخصائص البنيوية للغة التي تتم الترجمة منها، واللغة التي يترجم اليها، وتأخذ بالاعتبار الموقف أو الحال الذي يقال الكلام فيه(٨).

وقد حاول العديد من المستشرقين الخوض في ترجمة معاني القرآن الكريم وكانت أول ترجمة للقرآن باللاتينية بإيعاز رئيس ديركلوني بجنوب فرنسا الراهب بطرس المبجل وذلك سنة ١١٤٣م، وقد جابهت الدوائر الدينية هذه الترجمة واتخذت موقفاً حازماً لمنعها من الظهور، بحيث لم تظهر الا عام ١٥٤٣م في (القرن السادس عشر) بمدينة (بال) السويسرية، فأمر البابا بولي الثالث بإتلافها، ولم تسمح الكنيسة بطبع ترجمة القرآن الكريم الا في عهد البابا الكسندر السابع (١٥٥٥-١٥٦٧) والغريب في الأمر أن ترجمة القرآن الكريم في أوروبا سبقت طبع القرآن نفسه والصفة البارزة لكل هذه الترجمات انه عمل لم يكن قائماً على مبدأ البحث العملي النزيه. إضافة الى جهل هؤلاء المترجمين ببلاغة كتاب الله وقصور فهمهم لمعانيه.

مقدمات في التشويه والاستفزاز

والمتتبع لمقدمات الترجمة يجد التشهير بالإسلام والمسلمين وبالنبي بشكل تقزز منه نفس العلماء الباحثين المنصفين. ومما يدل على سوء نية هؤلاء ومحاولتهم إثارة ترجمة القرآن حسب النزول لايجاد الخلاف والبلبلة عند الشباب المسلم المثقف، ونشر الترجمات المضللة التي تنطوي على الحقد والتعصب الأعمى.

وحاول الاستاذ صلاح الدين كشريد ترجمة معاني القرآن بشكل دقيق فقال: إن اكثر الترجمات من صنع المستشرقين الذين لايدينون بالاسلام. وأما التراجم القليلة التي قام بها المسلمون فأعيب على بعضها لغتها الفرنسية الضعيفة، فحاولت جهدي أن أتقمص الجملة القرآنية واحافظ على ترتيب سوره وآياته(٩).

ويبين ريجيس بلالشير المستعرب الفرنسي في مقدمة كتابه عن القرآن كيف عمد بعض المؤلفين القدامى الى ترجمة القرآن ترجمات مشوهة بدافع من روح صليبية معادية للاسلام. يقول بلاشير: (من المرجح أن بطرس المبجل الذي رحل الى اسبانيا بين ١١٤١ و١١٤٣م هو الذي فكر؛ بتأثر من روما ومن البابا، في ترجمة القرآن الى اللاتينية فأوعز بذلك الى روبيرد ريتين الذي تولى عمل الترجمة بمساعدة بعض الرهبان. وقد جاءت هذه المبادرة بدافع من روح صليبية تدل على ذلك رسالة بطرس المبجل الى القديس برنار مع نسخة من الترجمة المنجزة، كما كان الداعي الى هذا العمل الحاجة الى محو اثر الإيمان في نفوس معتنقي الاسلام)(١٠).

جدل حول جواز الترجمة

لقد ثار جدل كثيف وكتب الكثير حول جواز ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأعجمية وعدم جوازها، سواء من طرف اشخاص أكفاء أو من طرف هيئات علمية إسلامية متخصصة.

يرى الدكتور زكي نجيب محمود في هذا الموضوع (ان ترجمة القرآن لي فيها رأي قديم وهو ان تترجم أفكار القرآن، بمعنى أن المترجم ليس ملزما بالنص خشية ان يقع في سقطات أو مستحيلات أو صعوبات تحول بينه وبين حقيقة المعنى المراد. وحين كنت استاذاً زائرا ومستشاراً ثقافياً في أمريكا جاء خطاب من مصر يطلب من سفارتنا هناك تحديد الموقف إزاء مفكر قام بترجمة القرآن وارسلوا قوائم بما رأوه من أخطاء وملاحظات إلا أنها كانت ملاحظات متعنت متجبر لايعرف صعوبات ومشكلات الترجمة، فنحن كمسلمين حفظنا القرآن وسمعناه وقدسناه وآمنا به..يجب أن نفهم أن القرآن معجزته عربية كيف أنقل هذه المعجزة الى الانجليزية أو الى أية لغة أخرى؟ رغم ذلك فالتحدي المطروح لكل من يعيب على هذه الترجمات أن يثبت جدارة واستحقاقاً وينهض هو لترجمة القرآن)(١١).

ونشير هنا الى دراسات عديدة تعرضت الى هذا الموضوع طارحة مشاريع مختلفة لايجاد ترجمة علمية دقيقة يشرف عليها علماء أكفاء وتحت اشراف الجهات الاسلامية المسؤولة بدلاً من الاعتماد على ترجمات المستشرقين (الذين يتجشمون - الى يومنا هذا - مشقة ترجمة القرآن سواء عن حسن نية أو سوء نية دون ان نقوم بالدور الحضاري المنوط بنا. ويكفي أن نشير بهذا الصدد الى أن فرنسا وحدها شهدت في الموسم الادبي لسنة ١٩٩١م ميلاد ثلاث ترجمات: ترجمتي رينيه خوام وأندريه شوراكي، وآخرها ترجمة شيخ المستشرقين جاك بيراك الصادرة عن دار سندباد في طبعتين واحدة مجلدة وممتازة ومرقمة في ١٨٠٠ نسخة واخرى عادية في (١٣) الف نسخة. وعلى الرغم من أن صاحبنا عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الا انه فضل الالتصاق في ترجمته بالأصول

ترجمة القرآن لجاك بيرك

الفرنسية، والجميل أنه صرح في عنوان فرعي على صفحة الكتاب الأولى ان عمله مجرد محاولة في الترجمة.وتضاف الى تلك الترجمات الثلاث أربعون ترجمة فرنسية سابقة مقابل ستمائة في العالم)(١٢).

جاك بيرك والجدل حول ترجمته للقرآن

يعتبر المستشرق الفرنسي جاك بيرك أحد الأعلام البارزين في ميدان الاستشراق الفرنسي المعاصر وصديق العرب، المنصف لهم ولحضارتهم، ، المدافع عن قضاياهم، عايش الكثير من العلماء والمفكرين العرب، وهذه أكسبته المقدرة والتجربة على التحليل والتعمق في قضايا الاسلام والعروبة الى درجة جعلته كثيراً مايمتلكه شعور عميق بأنه شرقي أصيل ويرى أن (الاستشراق الفرنسي الذي تأثرتأثرا كبيراً بالنقاش التاريخي الذي وضعه في علاقة خاصة وثيقة مع العالم الاسلامي والعربي ثم عاش تجربة التحررمن الاستعمار كظاهرة داخلية، وقد ظهر هذا الجانب اكثر واكثر بسبب الهجرة الغربية، ولأن اكثر من مليون مواطن فرنسي يعتنقون الإسلام الآن. هاتان الظاهرتان حيتان على ترابنا الوطني وتؤثران تأثيرا مباشراً على استشراقنا)(١٣).

وعلى العموم فإن مكانته في ميدان الاستشراق تحظى باهتمام المفكرين والمثقفين في العالم العربي والإسلامي فمؤلفاته كثيرة عن حاضرة العالم العربي والحضارة الاسلامية إضافة الى مشاركته في اللقاءات الفكرية ومحاضراته بكلتا اللغتين العربية والفرنسية، ورحلاته العديدة الى العالم العربي والاسلامي كل هذا أهله ليصبح عضوا في اكاديمية القاهرة للغة العربية.

لقد احتل الاسلام مكانة مهمة في فكر جاك بيرك برغم تشبثه بمسيحيته، ويرى فيه ملاذا وخلاصا للانسانية من شقائها وعذابها وحرمانها، وان تقدم المجتمعات الاسلامية لن يتحقق الا بتقدم الاسلام نفسه وتطبيق اصوله السمحة وغاياته الانسانية النبيلة.

(إن الاسلام يمتلك حضوره المتجدد داخل الانسان وعلى الارض وبشكل ديناميكي وهو مثل الجواد الأصيل الذي لاتقف امامه الاسوار العالية، والاسلام لم يكن في أي يوم عدو الديانات الاخرى بل إنه الديانة الوحيدة التي حافظت على حقوق أبناء الديانات الاخرى. وقلما شاهدنا في تاريخ الديانات هذا المستوى من السحر الذي نشاهده في الاسلام)(١٤).

قرأ جاك بيرك القرآن الكريم كثيرا وقام بترجمته الى اللغة الفرنسية (اعتنى المستشرقون الفرنسيون بترجمة القرآن، ومن أبرز هذه الترجمات ترجمة دوربيه (باريس ١٦٣٤) وترجمة سفاري (باريس ١٧٨٣) وترجمة كازيميرسكي (باريس ١٨٤٥) وترجمة ماردروس، باريس (١٩٢٦) وترجمة مونتيه باريس (١٩٢٩) وترجمةبلاشير (باريس ١٩٤٩-١٩٥٠-١٩٦٦) وترجمة حميد الله (باريس ١٩٥٩-١٩٦٦).

ويرى بيرك ان الترجمات التي قدمت حتى الان الى اللغة الفرنسية كانت من قبل مترجمين يحسنون اللغة الفرنسية اكثر من العربية أو العكس، ولذلك فان هذه الترجمات كانت معرضة لبعض الخلل أو النواقص. أما من ناحيته فقد تعلم اللغة العربية وأتقنها بشكل جيد لأنه درسها لسنوات طويلة وعاش في البلاد العربية لسنوات طويلة كذلك، ولعله يتقنها اكثر من المستشرقين الفرنسيين الآخرين الذين ترجموا القرآن قبله الى اللغة الفرنسية فمعرفته باللغتين هي معرفة متوازية ومتعادلة كما يقول(١٥).

وبطريقة موضوعية يقول: (لاحظت فيما اعتقد أن معظم الترجمات السابقة قد اغفلت منطق السياق. كانت الترجمة لعبارات أو بمقارنة عبارات دون التسلسل بينها.. وهذه سمة مشتركة في كل الترجمات في العربية الى اللغات الاوروبية وترجع الى أن العربية لاتفصل الجملة بحروف النصب كما هو الحال في اللاتينية والفرنسية بل تتجاورفيها العبارات وربطها بحروف العطف (الواو والفاء) والواقع انه لايوجد تجاور فقط بل عطف.. لقد حاولت ترجمتي ان تأخذ في الاعتبار منطق القول، وبوجه عام حاولت إبراز دعوات القرآن الى العقل والتسامح والانسانية. كنت أعمل من أجل فهم متبادل بين الحضارات، وكان هذا هو الهدف الرئيسي من محاولتي)(١٦).

والنص القرآني بالنسبة اليه يجمع بين كل صفات الاعجاز في بناء لغوي واسلوبي فريد في نوعه ومتكامل، إنه يجمع كل هذه الجوانب في بناء لغوي كلي حي، وهذا مايسمونه بالاعجاز. فالقرآن علاوة على ذلك هو نص قديم وحديث في وقت واحد، اي انه حديث بالنسبة لكل زمان فهو يمتلك (دينامية) أزلية(١٧). وقد أشار القاضي الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) الى ثلاثة أوجه في اعجاز القرآن وهي:

١) الاخبار عن الغيوب وذلك ممالا يقدر عليه البشر.

٢) الاخبار عما تقدم منذ خلق الله آدم عليه السلام، مع ان النبي كان أميا ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين.

٣) ان القرآن بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه(١٨).

منهجية بيرك في ترجمته

ويؤكد جاك بيرك ان لكل كتاب مقدس عدة تفسيرات، وكما هو الحال عند الفقهاء يميز الإسلام بين الظاهري والباطني، والواقع أن القرآن الكريم وذلك هو ثراؤه يستطيع أن يشرع عدة قراءات عقلية او صوفية تقليدية أو تجديدية.. وبطبيعة الحال ليس لي أي صفة لأن احكم على هذه القراءة او تلك بالرغم من أن القراءة العقلية فيما يبدو يدعمها المعنى الحرفي للكتاب والأكثر اتفاقاً مع روح العصر(١٩).

لقد وضع جاك بيرك مقدمة طويلة في مائة صفحة لترجمته يوضح فيها الكثير من الجوانب الخاصة بالنص القرآني، لكن الفكرة العامة لهذه المقدمة ترتكز على نقطة مهمة وهي أن البعد التاريخي موجود في القرآن الكريم، لأن الكثير من الناس والمفكرين الآن ينبذون الصورة المادية للحياة المعاصرة ويرفضون مجتمع الاستهلاك، هذا المجتمع المادي المحض، ويفضلون على المدنية المادية المعاصرة مدنية الاسلام الروحية وينادون بالعودة اليها. ومن خلال القراءة المتعمقة للنص القرآني وللشريعة الانسانية التي يطرحها، يظهر لنا بأن هنالك قدراً كبيراً من المرونة الملائمة لكل زمان ومكان، وهذا الجانب هو الذي يخلق شمولية القرآن ومطلقيته وزمانيته الأزلية. هذا ماحاول ان يوضحه في المقدمة إضافة الى بعض القضايا الأساسية الاخرى التي تتعلق ببنية النص القرآني أو بمضمونه الفلسفي والروحي.

(وكان لمبادرة بيرك، أو إقدامه على الترجمة هذه ضجة كبرى ليس اقلها كون بيرك،

المعروف بتقدميته المشوبة بشيء من الماركسية ينصرف الى روحانية الاسلام وكتابه الأول بعد أن قضى العمر في دراسته التاريخية والاجتماعية في الحداثة العربية! يقول بيرك: راودتني فكرة الإقدام على الترجمة في نهاية الستينات، حينما كتبت مقدمة خاصة بالترجمة التي قام بها (جان غروجان) لمعاني القرآن الكريم.

وكان من الطبيعي ان انشغل بهذه الامور الروحانية في شيخوختي، لافي مرحلة الشباب، عدا ان هذا الأمر يندرج في تتابع دراساتي: فبعد ان درست سابقاً المصير التاريخي للمجتمعات العربية، عدت لتبين جذورها القيمة خاصة. فنحن نستطيع بعد دراستنا للقرآن الكريم، الاجابة عن الاسئلة التالية: ما موقف الإسلام من التاريخ، من العقل، من مسؤوليات الانسان؟)(٢٠).

تنويه العلماء وانتقادهم

وقد نوه بعمله هذا العديد من الباحثين المهتمين، كما تعرض في نفس الوقت لانتقادات عنيفة من طرف الآخرين، نورد هنا بعضها.

يقول الاستاذ قاسم الزهيري (باحث مغربي) (من خلال ما اطلعنا ودققنا النظر فيه، عمل جليل يستحق التنوية وبالتالي فهوعمل علمي دقيق يأخذ بالاعتبار كل العلوم المتصلة بالذكر الحكيم والرجوع الى الاحاديث النبوية والاجماع والمذاهب الأربعة والتفاسير الكبرى التي أثبت الكثير منها في شروحه وتعليقاته وذكر منها على الأخص جامع البيان في تفسير القرآن للطبري والكشاف في حقائق التنزيل للزمخشري ومحاسن التأويل للقاسمي وتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي..زيادة عن استئناس المترجم بكتاب في ظلال القرآن لسيد قطب وصفوة التفاسير للصابوني والمختار في تفسير القرآن لمحمد متولي الشعراوي، وجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي وأضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي وتفسير الحديث لعزة دروزة)(٢١).

أما الكاتب محمد سنكير (كاتب جزائري مقيم في فرنسا) فقد علق على هذه الترجمة قائلاً: (إن قراءة ما اسميناه:محاولة لترجمة معاني القرآن الكريم (لجاك بيرك) تترك لدينا انطباعاً بأن النصوص القرآنية التي يتوجه بها الله عز وجل إلى الانسان تستخدم الفاظاً تتميز بالرقي والسمو البعيد عن المعنى المتداول لتلك الكلمات وأنها تحتوي على روح الالهام الجديرة بالرسالة التي أعادت تأكيد معاني الألوهية والتوحيد.

وتتميز ترجمة (بيرك) قبل كل شيء بسهولة قراءتها وفهمها فهي ليست ترجمة الى اللغة الفرنسية بل هي لو أجزنا قبول هذا التعبير، القرآن الكريم باللغة الفرنسية، وهي ليست خدمة تؤدى الى اللغة الفرنسية بل هي هدية مهداة الى المسلمين والى المثقفين الذين يعجزون عن قراءة النص العربي بلغته الأصلية والذين يتمكنون، بفضل ترجمة بيرك، في التعرف على جمال الاسلوب وعمق التفسيرات وجمال الموسيقى الداخلية للألفاظ في القرآن الكريم.. وعلى ذلك فإنه يجب علينا أن نحيي هذه الترجمة التي قد تكون الأولى من نوعها والتي تفتح باب النقاش فيما يتعلق بدور الاسلام في العالم وكذلك وجهة نظر الغرب في القرآن الكريم والعقيدة الاسلامية)(٢٢).

ولعل اعنف انتقاد وجه لجاك بيرك وترجمته لمعاني القرآن الكريم هو ماكتبته الدكتورة زينب عبدالعزيز من مصر حيث ترى أن هذه الترجمة جاءت مليئة بالمغالطات والأخطاء التي لا يقع فيها أي ملم باللغة العربية، بل الاكثر من ذلك أن بيرك قدم لها بمقدمة طويلة تعج بالمغالطات والمزاعم التي تشكك في نزول القرآن وترتيبه وجمعه، وتزعم أنه قد تأثر بالشعر الجاهلي والفكر اليوناني ومزامير داود!! بل ويستبعد أن يكون للفقة الاسلامي الحالي أي أصل في القرآن الكريم.

وترى أن وجه الخطورة في هذه الترجمة هو أن ما يصدر عن جاك بيرك يلاقي مصداقية كبيرة في الغرب لأنه معروف بصداقته للعرب والمسلمين فضلا عن انه عضو في مجمع اللغة العربية ولذلك فقد اختبأ وراء كل ذلك ليوجه للاسلام أعتى طعنة بتحريف معاني القرآن الكريم عمداً. وقامت برصد العديد من الاخطاء اللغوية التي وقعت في بعض الآيات القرآنية، والمغالطات التي أوردها في مقدمته لهذه الترجمة. وتناشد المسؤولين في الأزهر وفي المؤسسات الاسلامية المختصة الحد من هذا التقصير الذي طال مداه، وتكوين فريق عمل للقيام بترجمة معاني القرآن باللغة الفرنسية، منعاً لكل هذه العناصر التخريبية(٢٣) ويبقى السؤال مطروحاً وباب النقاش مفتوحاً حول ترجمة القرآن ترجمة ترضي جميع المسلمين!

الهوامش:

١) الدكتور غالي شكري/ ندوة حول الغزو الثقافي الامبريالي للوطن العربي/ مجلة المعرفة السورية/ عدد ٢٢٧/ ص ١١٠.

٢) انظر لقاء معه في جريدة الجزيرة السعودية عدد (٤٠٦٩) ١٩نوفمبر ١٩٨٣م.

٣) انظر مقالة المستشرقون مالهم وماعلينا/ جريدة الرياض السعودية عدد (٦٠٣٨) ٣/١/١٩٨٥م.

٤) انظر لقاء معها في جريدة الرياض (مرجع سابق).

٥) انظر مقدمة كتاب: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية/ للدكتور قاسم السامرائي/ ص٦.

٦) انظر كتابه التراث والتجديد/ ص٦١/ الطبعة الرابعة.

٧) انظر مجلة التراث العربي السورية/ العدد السابع/ السنة الثانية/ ابريل ١٩٨٢م/ ص٧٨. (اعجاز القرآن وترجمته/ د.جعفر دك الباب.

٨) نفس المرجع/ ص٨٠.

٩) انظر مجلة رسالة الجهاد الليبية/ عدد٥١/ ص١١١ (المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن) د .محمد شيخاني، -PARIS -p.u.f-Le coran -Regis Blachere ١٩٦٦.

وانظر كذلك مجلة (المناهل) المغربية/ عدد١٠/ ص١٨و١٩ (من أجل حواربين الحضارات) د. محمد العربي الخطابي.

١١) انظر حواراً معه في مجلة روز اليوسف/ حاوره السيدمحمد حسين (نقلته صحيفةالعلم المغربية) عدد يوم ٧/١٠/١٩٩٣م/ ص١٢.

١٢) انظر الملحق الثقافي لصحيفة العلم المغربية/ عدد:٨٢٤ (٨ يونيو ١٩٩١م/ ص٦). (إشكالية نقل المعنى في ترجمات القرآن الكريم) د. عبد النبي ذاكر.

١٣) انظر حواراً معه نشر في صحيفة الاتحاد الاشتراكي المغربية عدد ٧/١/١٩٩٢م/ ص١٠.

١٤) انظر حواراً معه نشر في الملحق الثقافي لجريدة الأنباء المغربية عدد٣٢ (٢٧/٥/١٩٨٥م) ص٤.

١٥) انظر مجلة رسالة الجهاد الليبية/ عدد١٥٥/ ص ١٨٣ (المستشرقون والقرآن الكريم من خلال مجلة رسالة الجهاد)د. محمد القاضي.

١٦) انظر صحيفة الاتحاد الاشتراكي/ مرجع سابق/ ص١٠.

١٧) انظر مجلة رسالة الجهاد/ مرجع سابق/ ص١٨٣.

١٨) انظر مجلة التراث العربي/ مرجع سابق/ ص٧٠.

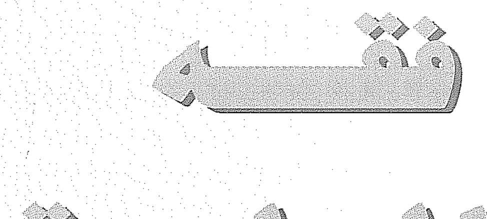
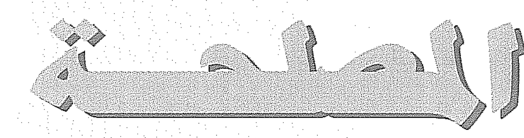
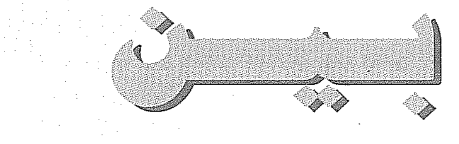
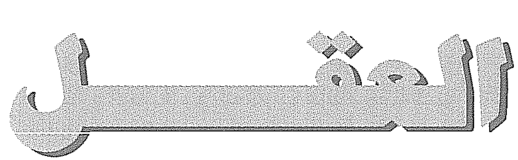
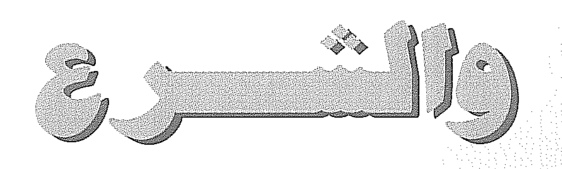
١٩) انظر صحيفة الاتحاد الاشراكي/ مرجع سابق/ ص١٠.

٢٠) انظر مجلة (المجلة) السعودية/ عدد٦٩٥ (٦-١٢/٦/١٩٩٣) ص٧٠ و٧١، حوار معه بمناسبة صدور كتابه (ويبقى المستقبل).

٢١) انظر صحيفة، العلم المغربية، عدد ١٩/٥/١٩٩١م، ص١٢.

٢٢) انظر مجلة (القاهرة) حيث نشرت ملفاً خاصاً بجاك بيرك بمناسبة صدور ترجمته لمعاني القرآني الكريم/ عدد اغسطس (غشت) (١٢٩) السنة ١٩٩٣م ص١٦و ١٨.

٢٣) انظر دراستها المهمة التي تنتقد فيها ترجمة جاك بيرك في مجلة رسالة الجهاد/ عدد مزدوج ١٠٨/١٠٩ ص١٠٨ الى ١١٦. وانظر كذلك حواراً مهما حول نفس الموضوع في مجلة (زهرة الخليج) عدد ٧٨٦ (١٦/٤/٩٤م) ص١٠٠و١٠١.

فقه المصلحة بين العقل والشرع

بقلم: سالم البهنساوي

قـد يختلف حكم العقل مع الشرع الـذي يسمى بـالنقل أي النص الشرعي وهــو القـرآن الكـريم والسنـة النبـويـة فهل نغلب حكم العقل أم حكـم الشرع؟ وفي أي من ذلك تكـون المصلحة؟ يـرى جمهور العلماء أن لاسبيل ســوى التسليم بصحـــة النقـل (الشرع) مع الاعتراف بالعجز عن فهم النص الشرعي وتفويض الأمر في علمه إلى الله تعالى.

ويرى الشيخ محمـد عبده في كتابـه الإسلام والنصرانيـة أنه يلزم تأويل النقل مع المحـافظة على قـوانين اللغـة حتى يتفق معنـاه مع مـا أثبتـه العقل، ويــوضــح في تفسير المنـار [ص٥]، أن الشرع يعـد من الموازين التي وضعها الله للعقل ليرد شططـــه ويقلل خلطـــه وخطأه.

إلا أنـــه في التطبيق العملي لم يلتزم بهذه القاعدة ففي تفسيره لقول الله تعـالى بشأن أصحاب الفيل: ﴿ألم يجعل كيـدهم في تضليـل. وأرسـل عليهـم طيرا أبابيل. تـرميهم بحجـارة من سجيـل. فجلعهم كعصـف مأكول﴾ [سورة الفيل].

قـال إن الطير الأبـابيل هي مرض الجدري والحصبـة الذي جعل الجيش يولى هارباً(١).

ولقد أخـذ هذا عن محمـد بن بحـر الاصفهـاني وهــو من المعتزله، وهذا التفسير لم يقل به احـد مـن العلماء ولا يقبل من عالم مثلـه صحيح الايمان لانه يخالف صريح القرآن الكـريم، ويخالف الـواقع الذي شهـد به المؤمن والكافر.

أسباب التعارض بين العقل والشرع

إن ظـاهـرة التعـارض بين العقل والشرع، وجدت في أوروبا حيث كـان البـابوات يحرمـون البحث في علوم الطب والهندسـة والكميـاء وغير ذلك من الأمـور الكـونيـة والتجـريبيـة، وزعم البـابـوات ان لهم حق التحليل والتحـريـم ومن ثم بيـدهم صكوك الغفران والحرمان،ومن هنـا نشأ التعـارض بين العقل وهـذا الشرع الذي هـو شريعـة البـابـوات، وليست الشريعـة الموحى بها من عند الله تعـالى، هـذا التعـارض أدى إلى أن أمـر البابوات، بحرق كل من خالفهم زاعمين انــه يمارس السحـر الأسود ويعـارض الرب، فمثـلا حرم البابوات استخدام التخدير في العمليات الجراحية زاعمين أن ذلك يخالف المشيئـة الإلهيـة، بينما تـوجـد مصلحـة عـاجلـة وملحـة للنـاس في استخـدام التخدير في العلميات الجراحية لهذا غلب الاوربيــون هـــذه المصلحـة على الشرع البـابـوي وانتهى الأمر بينهم بعزل الدين هناك عن الدنيا.

أما في بلاد المسلمين فلم تنشأ هـذه المشكلـة في أي عصر من العصـور لأن النبـي صلى اللـه عليه وسلم وضع قاعدة هامة في هذا الشأن ففصل بين مايخضع للعقل ومـــا يخضع للشرع أي الوحي فجعل الأمـور التجريبية كلها من اختصـاص العقل حيث قال: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» [رواه مسلم].

المصلحة والتجديد العصري

ولكن للأسف الشـديد بعض من يسعـون للتجـديـد قلـدوا الأوروبيين في هذه المسألـة وهي مسألة أوروبيـة بحتة ولا وجود لها بين المسلمين فكان تجديدهم قيـاسـاً مع الفـارق يبطلـه كل مثقف.

لقـد كتب الـدكتـور إبـراهيم اللبان في مجلة الأزهـر(رمضان ١٣٣٩ – نـوفمبر١٩٧٠) تحت عنـوان (القـرآن وتجديـد المجتمع):

(ان الاجتهاد بمعناه التقليدي كان يتم باستنبـاط الأحكام من أدلتهـا الشرعيـة وبخـاصـة نصوص الكتـاب والسنة وهـذا الاستنبـاط كـان احيانـا يتم على أســاس النص وحـــده دون استشـارة مقـاصـد التشريع الإسلامي العليا وهـي صيانـة الحيـاة والمال والعقل والعـرض والدين، وقـد اتجهت الأنظار إلى المصلحـة كأســاس للتشريع، وظهـر للمجـددين ان تجديـد الشريعة على أساس المصلحة هو الطـريق الصحيح لتطـورهـا وجعلهـا كفيلـة بتحقيق الخير الإنساني المنشود)..

ثم ينهي الكاتب مقاله بقوله: (إن هـدف عمليـة التجديـد قـد اقترنت بظهور المدنية الغربية في العالم الإسلامي معتزة بعلومها

ونظمها وشرائعها،فقد كانت علومها تمتاز بأنها مطابقة للعقول مستندة إلى الأدلة العلمية التي لاتقبل النقيض كما كانت شرائعها ونظمها تعتز بأنها قادرة على تحقيق المصلحة والخير للجماعات والافراد. فوضعت بذلك معيارا تقاس به الشرائع والنظم والعقائد والآراء، وليس هذا المعيار الا مقياس العقل والمنطق في ميادين الكونيات ومبدأ الخير والمصلحة في دائرة الشرائع والنظم فكان على الأمم التي تريد أن تعيش طبقاً لعقائد دينها وشريعتها أن تصل بدينها إلى هذا المستوى العقلي الرفيع وإلا تعرض الدين للإهمال والانزواء).

إن هذا التعميم في اعتبار المصلحة بالمقياس الأوروبي هي المقياس للشرائع، يؤدي إلى استحسان الفواحش كما فعلت، أوروبا، ولا يخفي على أحد أن جميع الفواحش قد حرمها الله في كتبه المقدسة، على لسان رسله جميعا وقد ثبت للجميع انها تضر بالفرد وبالمجتمع وهذا ماجعل الكاتب يختم مقاله بقوله:

(بهذه الروح يواجه المجددون المدنية الغربية، فيفرقون بين الصحيح والسقيم من مقوماتها والفاسد والضار من عناصرها، ولهذا رفضوا حياة التهتك والاستهتار التى جاءت بها مدنية الغرب وكان معيار القبول والرفض هو الدين فما طابق الدين قبلوه وماناقضه رفضوه وهذا الاستثناء ينسف مقولته السابقة بأن المعيار ليس إلا المصلحة في دائرة العقائد والشرائع).

المصلحة والفقه السلفي

إن دعوى التعارض بين الدليل العقلي والدليل النقلي والسمعي يردها شيخ الإسلام ابن تيمية، ومهما كتب الباحثون في ذلك فبحوثهم قطرة من بحر بالنسبة لما دونه في كتابه الكبير، العقل والنقل وما ذكره عن التعارض بينهما فمن اقواله:

١) أن هذا باطل من أصله والتقسيم الصحيح أن يقال:

إذا تعارض دليلان سمعيان أو عقليان أو سمعى وعقلي يجب اتخاذ الآتي:

أ- فإما أن يكونا قطعيين وإما أن يكونا ظنيين وإما أن يكون أحدهما قطعيا والآخر ظنيا.

فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما لان الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلولا قطعيا ولو تعارضا لزم الجمع بينهما، إن هذا لايشك فيه احد من العقلاء لانه مبني على أن العقل من مخلوقات الله والنقل أي ماجاء به الوحي هو من أوامر الله ومن ثم فلا تعارض بينهما طالما أن كلا منهما قطعي الثبوت.

ب- وان كان أحدهما قطيعا والآخر ظنيا تعين القطعي سواء أكان عقليا أم سمعيا أي (نقليا).

ج- وان كانا ظنيين صرنا إلى الترجيح ووجب تقديم الراجح بينهما. وهذا التقسيم واضح ومتفق على مضمونه بين العقلاء.

لما كان كذلك أني لقول التعارض بين الدليل العقلي والنقلي والجزم بتقديم العقلي مطلقا خطأ واضح معلوم الفساد لكل العقلاء.

ومن حيثيات عدم التعارض أنه اذا تعارض العقل والنقل فإما أن يريد به القطعيين فلا نسلم بإمكان التعارض وإما أن يريد به الظنيين فالتقديم للراجح مطلقا وليس العقلي وحده.

واذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لانه قطعي لا لأنه عقلي، فعلم أن تقديم العقل مطلقا خطأ وأن جعل جهة الترجيح كونه عقليا خطأ وأن جعل سبب التأخير كونه نقليا خطأ كذلك.

وقال: أيضا أما القول بأنه ان قدمنا النقل لزم الطعن في اصله وهو العقل لان العقل أصل النقل، فهو باطل لأن العقل ليس أصل النقل بل به نفهمه فما أخبربه الصادق والمصدوق هو ثابت في نفسه سواء علمناه أم لم نعلمه وسواء صدقه الناس أم لم يصدقوه، كما أنه رسول الله حقا وان كذبه من كذبه كما أن وجود الرب تعالى وثبوت اسمائه وصفاته حق سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه فلا يتوقف ذلك على وجودنا فضلا عن عقولنا وعلمنابالشرع المنزل من عند الله مستقل بنفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه وإلى ان نعلمه فإذا علم العقل ذلك حصل له مالم يكن له قبل ذلك وإذا نقده كان ناقصا جاهلا(٢).

وقد لخص الشيخ حسن البنا هذه القضية فقال: وقد يتناول كل من العقل والشرع ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي فلن تصطدم حقيقة علمية - صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي فان كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حيث يثبت العقلي أو ينهار. [البند ١٩ من رسالة التعاليم].

فقه المصلحة في القانون والشرع

المصلحة في الفقه القانوني: هي المنفعه ولهذا قال الفيلسوف بنتام في كتابه اصول الشرائع: ان المنفعة هي أقرب المذاهب لتكون اساسا للقوانين الوضعية(٣).

وقد قرر فقهاء الشريعة الإسلامية أن المصلحة هي أساس الأحكام الشرعية حيث جاءت الشريعة لحماية المصالح الإنسانية الحقيقية وجعلت الاعتداء على هذه المصالح جريمة توجب العقاب حيث جاء النص في القرآن والسنة بالعقوبات المختلفة لحماية هذه المصالح، وخوَّل ولي الأمر بوضع العقوبة المناسبة وهو مايسمى بالتعازير.

فالمصلحة في فقه الشريعة الإسلامية تختلف عما عرف باسم (فقه المصالح) في القانون الوضعي وهو مذهب أو مدرسة ترجع إلى كتابات(فيليب هيك) خلال نصف قرن من الزمان(١٨٨٩-١٩٤٣)- وكان للفقيه القانوني (اهرنج) الفضل في هذا الفقه حيث انتهى إلى ان الحق مصلحة يحميها القانون(٤).

انه طبقا لفقه المصالح يجب على القاضي الفقيه تطوير النص القانوني فيما يسمى بضرورات القيام بالتجديد والتطوير الاجتماعي لتحقيق المنفعة (باسم المصلحة).

إن هذه النتيجة في الحقيقة تعرض مع المصالح التي وجد القانون لحمايتها وهي هدف القاعدة القانونية الحقيقي، حتى أصبح فقه المصالح ومن قبله فقه الأفكار معارضا للعدالة بسبب المغالاة في السعي وراء المصلحة حتى نتج عن ذلك الكثير من الضرر(٥).

المصلحة الحقيقية

إن المصلحة الحقيقية لاتعارضها النصوص القطعية ومن ثم أخذ الصحابة بهذه

فقه المصلحة بين العقل والشرع

المصلحة دون خروج على النص فان موقف عمر ومن وافقه في مسلكه في قسمة الأراضي المفتوحة على الفاتحين أي الجنود انتهى إلى تفسير قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾ [الأنفال: ٤١] تفسيره بأن غنائم الحرب للمنقولات وليست للأراضي.

هذا ماصنعه سيدنا عثمان، حين رأى التقاط ضوال الابل وحفظها في بيت المال حتى لاتضيع على أصحابها، ولم تكن تلتقط على عهد النبي ﷺ.

وهو ماصنعه بعض فقهاء التابعين في حديث امتناعه ﷺعن التسعير حين شكا اليه اصحابه الغلاء فقال: «إن الله هو المسعر القابض الباسط»، إذ حملوا ذلك على حالة الغلاء الطبيعي وليس الغلاء الناتج عن احتكار التجار والعمل على اغلاء الاسعار ولهذا قالوا بوجوب التسعير في هذه الحالة.

ان التعارض بين نص قطعي ومصلحة وهمية ليس إلا تدليسا واستخفافا بالعقول.

فلا توجد مصلحة حقيقية في «إيقاف حدود الله» التي اوجبتها النصوص القطعية الدلالة.

ولا توجد مصلحة حقيقية في (إباحة الخمر) التي حرمتها نصوص القرآن الكريم.

ولاتوجد مصلحة حقيقية في (إباحة الربا) الذي حرمته النصوص القرآنية.

ولاتوجد مصلحة حقيقية في (إباحة التبرج) الذي حرمه القرآن.

ولاتوجد مصلحة حقيقية في (تعطيل الزكاة) التي فرضتها النصوص القرآنية وفصلتها السنة النبوية.

ولا توجد مصلحة حقيقية في (إباحة البغاء) الذي حرمته النصوص القطعية.

ولاتوجدمصلحة حقيقية في التسوية بين الابن والبنت في الميراث الذي حرمته النصوص القطعية.

حيث يوجد شرع الله فثم المصلحة

والعجيب أن هؤلاء كثيرا مايذكرون الكلمة التي نقلت عن الامام ابن القيم ويرددونها في كل مناسبة وهي: (حيث توجد المصلحة فثم شرع الله). ثم يستدلون بها، بما يهدر المصلحة الشرعية.

والحق أنهم يقطعون هذه الكلمة عن سياقها الذي وردت فيه،فقد قالها ابن القيم ردا على الذين يحصرون (البينة) الشرعية في شهادة الشهود وحدها ويرفضون الاخذ بالقرائن وان بلغت مابلغت من الوضوح والدلالة على وجه الحق في القضية. فقد قال في (الطرق الحكمية)(٦).

(ان الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به الارض والسموات، فإذا ظهرت إمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه) ونحو ذلك قاله في أعلام الموقعين.

أما اطلاق هذه الكلمة على النحو الخاطيء عن ابن القيم أو شيخه ابن تيمية فلم يثبت عنهما، ولا يتصور منهما، وهما أشد الناس تمسكا بالنصوص والدعوة إلى الاتباع وترك الابتداع(٧).

وانما تقبل هذه الكلمة: (حيث توجد المصلحة فثم شرع الله) فيما لا نص فيه أو فيما فيه نص يحتمل تفسيرات عدة أو فيما عدا ذلك فالواجب أن يقال: (حيث يوجد شرع الله فثم المصلحة).

وجدت ظاهرة التعارض بين العقل والشرع في أوروبا بسبب تحريم الباباوات البحث في علوم الطب والهندسة والكمياء وغيرها، بينما يدعو الإسلام إلى البحث العلمي

ضابط المصلحة

والجدير بالذكر هنا أن البحث عن المصلحة واللجوء إليها لايكفي في جميع حالات تفسير النص الشرعي، بل فقط عندما يجد الفقيه أن المفتي أوالقاضي أن فهم النص يتوقف على معرفة العلة أو الحكمة من النص، أي المصلحه منه.

يقرر الامام الشافعي أن للفقيه أن يستنبط المعنى أو الحكمة أو المصلحة التي حكم الشارع فأجلها من الحكم نفسه أو من غيره من أحكام الله تعالى أو أحكام رسوله ﷺ ثم يفسر النص على ضوء الحكمة (٨).

كما أنه ليس للعقل دخل في إيجاد حكم شرعي بالوجوب أو النهي، وانما ينحصر عمله في فهم النصوص الشرعية واستنباط العلة من النص والتي بمقتضاها ينتقل حكم هذا النص إلى الشيء المسكوت عنه إذا اشترك في هذه العلة.

وهذا الاختصاص للعقل يحكمه قول الله تعالى﴿وماختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم﴾ [الاحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ولاتقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ [النحل: ١١٦]□

الهوامش:

١) الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جمع الدكتور عمارة، ج ٤، ص٧٧٨.
٢) الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية، ص٩٦ ومابعدها.
٣) نقلا عن الجريمة في الفقه الإسلامي، للشيخ محمد ابو زهرة، ص٣٢.
٤) مبادىء القانون، ثروت الاسيوطي بيروت ١٩٧٥، عن فقه المصالح لمؤلفه فيليب هيك (بالألمانية بند٢، ص٧).
٥) المرجع السابق ص٣٨٤ نقلا عن هيك في التطبيق للقانون المدني سنة ١٩١٤.
٦) الطرق الحكمية لابن القيم ص١٤، ط: السنة المحمدية.
٧) المرجعية العليا للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص٣٥٧-٣٥٩.
٨) تفسير النصوص في القانون والشريعة الإسلامية، د. محمد صبري السعدي، ص٥٥، دار النهضة العربية بمصر، سنة ١٩٧٩م. ود.حسين حامد حسان: نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، ص١٧٥، دار النهضة، سنة ١٩٧١.

الخوف والرجاء

بقلم: أحمد الأمين محمد علي رشدان

الخوف والرجاء من الله عز وجل صفتان من الصفات التي يتحلى بها المؤمنون الأتقياء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. يقول الامام الغزالي: «الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كئود» [إحياء علوم الدين، ج٤، ص١٤٢] فماذا عن الخوف والرجاء؟!

الخوف.. فزع القلب

الخوف هو فزع القلب من مكروه يناله أو محبوب يفوته، والخوف من الله يتوقف على الصلة به سبحانه، والشعور بخشيته وخشيته تدفع إلى كل صلاح وتنهي عن كل انحراف وتجعل العمل والعبادة خالصاً لله وحده، والخوف من الله محمود، وقد وعد الله من خاف مقام ربه جنتان: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن:٤٦]، ومن كان في معية الله لايخاف من شيء وكيف يخاف ومعه الطمأنينة؟ ولا يضطرب من شيء وكيف يضطرب وعنده الأستقرار؟ لايخشى مخلوقاً وكيف يخشى ومعه الله؟

ولولا خشية الله لاسترسل الناس في شرورهم وانكبوا على شهواتهم، وإن مايعانيه العالم اليوم من تدهور في الأخلاق وانكباب على الرذائل وانتشار للإجرام إنما ذلك بسبب ماران على قلوبهم من الغلظة والقسوة وغفلتهم عن خالقهم وعن استحضار عظمته التي تجعل في القلب رهبة تحول بين الإنسان والميل إلى الشر..

قال تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [الملك:١٢]، وقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ [النور:٥٢].

وخشية الإنسان لله تهبه قوة، وتخلق شجاعة أدبية وهى من محاسن الصفات التي يتحلى بها الإنسان، قال الفضيل: (من خاف الله دله الخوف على كل خير). ويكفي فضلاً للخوف من الله وثمرة له أن من خاف نجا من دخول النار، قال ﷺ: «لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع» [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

ماذا عن الرجاء؟

أما الرجاء فهو ارتفاع لانتظار ماهو محبوب عند الإنسان، ورجاء العبد دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، وتقرب إلى الله يرجو أن يحظى به. عن أنس، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يابن آدم، إنك مادعوتني و رجوتني غفرت لك على ماكان منك ولا أبالي، يابن آدم، لوبلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك» [رواه الترمذي].

والحديث يبين لنا أن المؤمن إذا اتجه إلى الله بقلبه ورفع أكفه إلى السماء في ضراعة، فإن الله يحقق له الرجاء ولايرده خائباً. فعن سلمان الفارس، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبتين» [رواه أبو داود والترمذي].

وليس الرجاء كلمات تقال أو عبارات تردد فإن من يرجو الله ويطمع في مغفرته لابد أن يكون صادقاً مع الله فقول بلاصدق كذب كبير ومقت. فمن كان يرجو ثواب الله ورضوانه، ويتطلع إلى القرب من الله وجواره فليأخذ الوسيلة والأساس.

الوسيلة التي لاوسيلة سواها وهي العمل، والأساس الذي لا أساس غيره وهو الإيمان بالله وعدم الاشراك به: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف:١١٠].

الرجاء ضرورة

إننا في أمس الحاجة إلى الرجاء في الله، فالرجاء عبودية والله سبحانه يمقت اليائسين ويحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه، فهو أجود من سئل، وأرأف من ملك، وأوسع من أعطى، ومن لم يسأل الله يغضب عليه.

لولا الرجا يحدو المطي لماسرت
بحمولها لديارهم ترجو اللقا

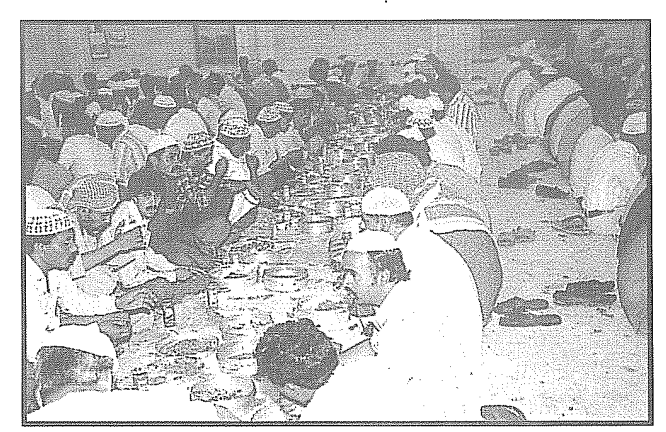
ولابد للعبد أن يجمع بين مقامي الخوف والرجاء لأنه إن غلب عليه الخوف حتى فقد رجاء الله فقد وقع في طريق اليأس ولاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولايقنط من رحمة ربه إلا الضالون، وإن غلب عليه الرجاء حتى فقد الخوف وقع في طريق الأمن من مكر الله، ولايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

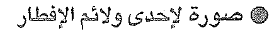
وما أفقه يحيى بن معاذ حينما قال: (ما من مؤمن يعمل سيئة إلاويلحقها حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو.. كثعلب بين أسدين)، لقد جعل السيئة من المؤمن تثمر ثمرتين.. الخوف من عقاب الله عليها، ورجاء الله في العفو عنها وقبول توبة المؤمن منها..

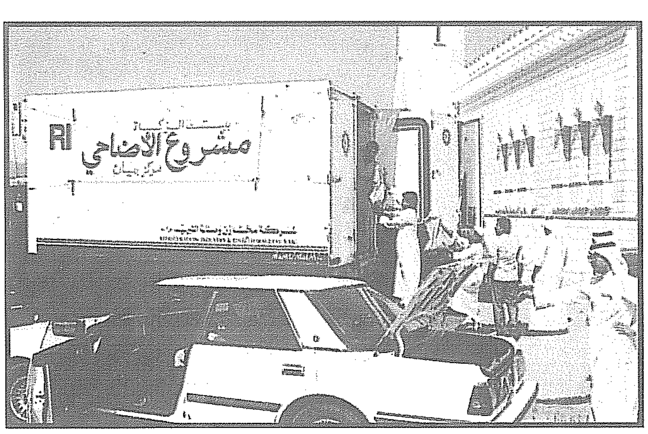
وبعد.. فإن خشية الله المقرونة بالرجاء لهى أقوى المؤثرات في أعمال الإنسان، لأنها تربي الضمير في الانسان وتجعله فرداً صالحاً في المجموعة الإنسانية وبها يحيا الناس حياة طيبة.. يعيشون في صفاء من نعيم النفس، وراحة القلب.. والله من وراء القصد□

بيت الزكاة يحتفل بالذكرى الثالثة عشرة لتأسيسه

من إنجازات بيت الزكاة




صورة لإحدى ولائم الإفطار



مشروع الاضاحي داخل الكويت

مدير بيت الزكاة بالنيابة: البيت يتفوق بمميزاته على غيره من المؤسسات

احتفل بيت الزكاة خلال شهر رمضان الماضي، بالذكرى الثالثة عشرة على تأسيسه بحضور عدد كبير من الموظفين ومديري الإدارات، وقد بدأ الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم، رتلها فضيلة الشيخ علي سعود الكليب مدير مكتب الشؤون الشرعية في بيت الزكاة، ثم ألقى السيد عبد القادر ضاحي العجيل مدير عام البيت بالنيابة، كلمة نقل من خلالها تحيات وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الدكتور علي فهد الزميع للعاملين في بيت الزكاة، وشكره وتقديره لهم في هذه المناسبة.

وفي معرض حديثه، أشاد العجيل بمنجزات البيت خلال السنوات الثلاث عشرة الماضية، وعبّر عن شكره وتقديره لجهود الموظفين التي جعلت بيت الزكاة من المؤسسات الرائدة في هذا المجال على مستوى العالم الإسلامي، التي ينظر لها بعين الاعتبار، والتي تتمتع بالصيت الحسن. وذكر أن جميع الحضور – بعد حضور مؤتمرات الزكاة الثلاثة – أبدوا إعجابهم بهذه المؤسسة وإنجازاتها، وأكد تفوق البيت الكبير بهذه المنجزات على غيره من مؤسسات الزكاة الأخرى، حسب الإحصائيات والأرقام.

استراتيجية عامة

وقال إن البيت خلال العام الماضي ١٩٩٤م، بدأ مرحلة التحول بوضع استراتيجية تبدأ عام ١٩٩٥م، إلى عام ٢٠٠٠م، وهي نقلة نوعية كما وصفها، ينتقل فيها بيت الزكاة من العمل المركزي في مبنى واحد تقريبا، إلى العمل من خلال فروع منتشرة في محافظات الكويت المختلفة، مشيرا إلى أن بيت الزكاة قام مؤخرا بفتح عدد من الفروع، وأوضح أن العمل جارٍ الآن لأخذ الموافقات الرسمية لفتح فروع أخرى في مختلف مناطق الكويت، تسهيلا على المتبرعين والمستفيدين.

وذكر أن هذه الاستراتيجية التي بدأ تنفيذها منذ أواخر عام ١٩٩٤م، تضم عددا من المشاريع التي استطاع بيت الزكاة تحقيق جزء منها في فترة قياسية جدا، وذكر أن من أهمها – وعلى رأسها – مشروع قانون الزكاة المعدل الموجود حاليا لدى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة، والذي سبق عرضه على مجلس الأمة، وأعرب عن أمله بأن يرى هذا القانون – الخاص بتطبيق فريضة الزكاة

على الشركات – النور في هذا الصيف إن شاء الله.

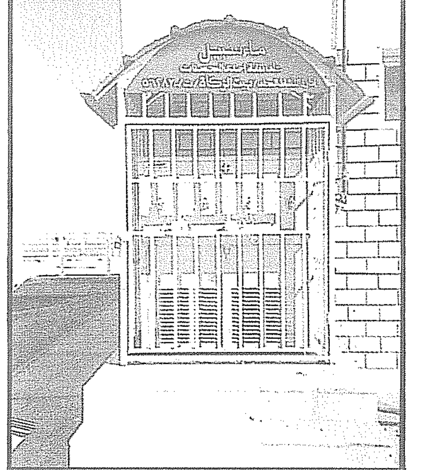
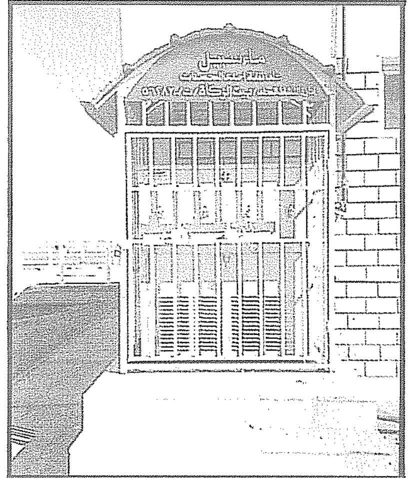
وقال إن من المشاريع المهمة لهذه الاستراتيجية هو تنظيم العمل الخيري داخل الكويت، وعلاقة بيت الزكاة بالمؤسسات الخيرية خارج الكويت، والتنسيق في هذا المجال مع وزارة الخارجية، وسفارات دولة الكويت في الخارج، مؤكدا أن البيت حقق جزءا كبيرا من هذا المشروع، الذي ما زال العمل فيها جاريا.

تطوير النظام المحاسبي

وذكر أن من أهداف الاستراتيجية كذلك تنفيذ مشاريع تطويرية للنظام المحاسبي والهيكل التنظيمي في بيت الزكاة، خصوصا بعد تطبيق قانون الزكاة، بالإضافة إلى المشاريع الأخرى التي أعرب عن أمله في تحقيق الجزء الكبير منها خلال هذا العام ١٩٩٥م.

وعن المبنى الرئيسي لبيت الزكاة المزمع إقامته في جنوب السرة، ذكر العجيل أنه تم إرساء مناقصة على بعض الشركات، وتوقع أن تبدأ أعمال البناء في نهاية السنة الحالية، أو مع بداية عام ١٩٩٦م، مشيرا إلى أن البيت سينتقل من مبناه الحالي إلى مبناه المؤقت في إحدى المدارس الواقعة خلف مبنى جوازات حولي، وذلك خلال الشهور القليلة القادمة.

وعن المنجزات التي حققها البيت خلال العام الماضي ١٩٩٤م، أكد العجيل أنها

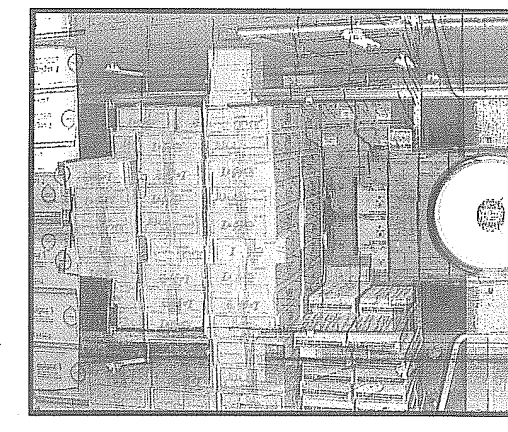



ماء سبيل على نفقة إحدى المحسنات

استراتيجية فاعلة للبيت ومشروع قانون الزكاة على رأسها

كانت كثيرة ومتنوعة، وأن التقرير السنوي لبيت الزكاة – والمنتظر صدوره قريبا – سوف يلقي الضوء على الإنجازات الكبيرة جدا والعظيمة التي حققها بيت الزكاة.

وشكر مدير عام بيت الزكاة بالنيابة في ختام كلمته، لجنة النشاط والضمان الاجتماعي، التي قامت بتنظيم هذا الحفل، ثم شكر الحضور. وأعرب عن أمله في تحقيق إنجازات أكثر وأكبر خلال العام القادم، وأن يتم الاحتفال في هذه المناسبة من جديد من خلال المقر المؤقت في المبنى الرئيسي بإذنه تعالى.



تبرعات عينية

تكريم الموظف المعطاء

ألقى بعد ذلك رئيس لجنة النشاط والضمان الاجتماعي صباح عنان كلمة قال فيها: إن هذا الحفل الذي تقيمه إدارة البيت كل عام في هذه المناسبة العزيزة، إنما يشكل حافزا للموظفين الذين سموا بأعمالهم إلى أعلى درجات الخير والعطاء، نظرا لما يقومون به من مساعدة المحتاجين والفقراء والمساكين. وأضاف أن اللجنة حين تعد مثل هذا الحفل، فإنما تهدف إلى تكريم هذا الموظف المعطاء الذي بذل كل ما لديه من جهد وعمل، وتحثه في الوقت نفسه على مواصلة العطاء وإخلاص العمل لله لنيل الخير الكثير. وتوجه في نهاية كلمته بالشكر الجزيل للأخ يوسف الكندري مسؤول الحفل، ولكل الذين قاموا بإعداد الحفل، راجيا للجميع التوفيق والسداد في أعمالهم.

ثم ألقى بعد ذلك محمد أبو عيشة – من إدارة العلاقات العامة والإعلام – قصيدة بالمناسبة أشاد من خلالها بجهود بيت الزكاة المباركة، وآثاره الإيجابية في المستويين الداخلي والخارجي، وتوجه إلى الله بالدعاء بأن يجزي كل من أسهم في دفع مسيرة البيت خير الجزاء، وأن يوفق العاملين فيه للمزيد من العطاء، ويسدد خطاهم.

وقد تتابعت بعد ذلك الفقرات الترويحية، وقام مدير عام بيت الزكاة بالنيابة، ومديرو الإدارات بتكريم إدارة التطوير الإداري والتدريب وإدارة النشاط الخارجي لفوزهما بلقب الإدارة المثالية مشاركة فيما بينهما، وتم توزيع الجوائز على الموظفين القدامى، وأصحاب الاقتراحات الجيدة والأعمال المميزة، وأكثر الموظفين انضباطا بالدوام الرسمي، وتناول الجميع بعد ذلك الغبقة الرمضانية □

تجربة ماليزية تنموية ناجحة

بقلم

د. صلاح الدين أرقه دان

ترتبط العبادة في الإسلام بمصلحة (الإنسان) فرداً كان أو جماعة، وترفل عليه بظلالها ليتفيأ تحتها بعيدا عن منغصات الدنيا المادية، وما أكثرها.. وآثار العبادة الإسلامية غير محصورة في الروحانيات فقط، وإنما تمتد لتلامس كل ميدان يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا وفي التهيء للحياة الآخرة، ولذلك لم تكن العبادات في الإسلام مجال ابتلاء واختبار ولو على حساب النفس والمال والعقل والعرض، كما يحصل في أديان وفلسفات قديمة ومعاصرة، وقاعدة (الدين يسر) تؤكد هذا المفهوم، حيث لم يبتلينا الله سبحانه ولا رسوله ﷺ بما تعيى العقول عن فهمه أو الأجساد عن القيام به: ﴿لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾..

ولقد انعكست العبادات في الإسلام على ميدان العلم، فكانت حافزا للبحث والمقارنة والتقرير والابتكار، أولم يوضع علم اللغة وفقهها – بما في ذلك الألسنية والمقارنة – خدمة للقراءات القرآنية؟ ألم يكن التنقيط والتحريك ووضع رموز الأصوات خدمة لفن التجويد وإتقان مخارج الحروف؟ ألم يكن اهتمام علماء المسلمين الأوائل بالفلك والهيئة خدمة لتحديد مواقيت الصلاة واتجاه القبلة؟ ويصدق الأمر على فن الجغرافيا ومعرفة الأقاليم.. ومثل هذا يطول شرحه ويكثر ذكره، حتى يمكننا القطع أن أصل الاهتمام بالعلوم الإنسانية والمخبرية انطلق من خدمة هذه الدعوة الكريمة وهذا الدين العظيم حتى بلغت الأمة المسلمة من الشأن ما دفع الأمم المعاصرة للعباسيين ومن بعدهم للسعي والإقبال على التتلمذ والتلقي كما يشهد التاريخ والمنصفون من علماء الغرب المعاصرين..

وأثر العبادة يمتد – بالإضافة إلى ما ذكرنا – إلى تنظيم الحياة الاجتماعية وترابطها، فصلاتي الجماعة والعيد، من أهم المواسم التي تجمع القلوب والأجساد، وتقلل الفجوة والجفوة، وتعيد اللحمة بعدما تكاد الحياة الدنيا ومتطلباتها أن تفصل بين الناس وتفرّق جمعهم، فكم من فقير التفت الناس إلى حاجته مما رأوه من رقة وضعه وهو بينهم في الصف، وكم من مريض افتقده أهل المسجد وقد اعتادوا رؤيته يوميا، وكم من متخاصمين استرشدوا بما يتلى عليهما من كتاب الله فقام كلٌ إلى صاحبه يسأله العفو وفتح صفحة جديدة..

والحج – ونحن على أبوابه – كم قرّب من بعيد العادات، وكم قارب الشقة بين تقاليد وعادات الشعوب المتعددة، وكم أدى إلى معرفة أحوال الأمم، لاشك أن لرحلة الحج من الفوائد المادية والروحية والاقتصادية والمعرفية ما ينوء بذكره وشرحه المجلدات الضخمة، وقد كتب في ذلك جمهرة من أهل العلم والفضل في مختلف ميادين المعرفة..

وهو إضافة إلى كل المنافع التي أسهب علماء الإسلام في شرحها ما زال يؤدي دورا كبيرا في بناء المجتمع المسلم كلما توافرت المناسبة لتحقيق ذلك، ولا تخفى أهمية الاستقرار الأمني والاجتماعي وقيام المؤسسات الحية الفاعلة لتحقيق خطوة متقدّمة في ميادين الحياة، ومن التجارب التنموية الناجحة التي تدل على حيوية الإسلام وتفاعله مع متطلبات المجتمع المسلم بعيدا عن الضوضاء والأضواء ما توصلت إليه (مؤسسة التوفير وشؤون الحج الماليزية) التي باتت علَماً يُضرب به المثل وتستحق الدراسة والاحتذاء..

فقد باتت تعتبر مؤسسة التوفير وشؤون الحج الماليزية واحدة من أهم تجارب الاستثمار والتنمية في العالم الثالث خصوصا في علاقتها بصغار المدخرين..

وقد نشأت هذه المؤسسة عام ١٩٦٢م بمبادرة من اقتصادي ماليزي هو البروفسور (اونكر عبد العزيز) الذي انطلق من فكرة مبتكرة وهي إنشاء مؤسسة تساعد الماليزيين على الادخار وتوفير المال اللازم للقيام بفريضة الحج، وفي الوقت نفسه استثمار هذه الأموال لحساب المدّخرين والمساهمين في مشاريع منتجة ومفيدة للاقتصاد الماليزي..

وقد نمت المؤسسة خلال السنوات الـ٣٢ التي عملت خلالها لتصبح الآن إحدى أكبر المؤسسات المالية في ماليزيا، كما اكتسبت المؤسسة خلال تلك الفترة خبرة متزايدة في استثمار أموالها في مجالات منتجة خصوصا في القطاع الزراعي وتنمية الريف،

ولعبت دورا مهما في حماية الاقتصاد الماليزي لاسيما في ميدان استقرار المواطنين في الريف لأنها ساعدت هؤلاء على توفير مؤونة السفر لأداء الشعائر المقدسة تدريجيا، بينما كان الحجاج يضطرون إلى بيع أراضيهم أو مزارعهم لتوفير المال اللازم للحج..

وتعدت نسبة الأرباح التي ستوزع عن عام ٩٤ على المودعين، ٩٪، ويتوقع أن ترتفع هذه الأرباح في السنوات المقبلة مع اكتمال نمو أشجار المزارع التي تمتلكها..

ويقوم المواطن الماليزي بالادخار في المؤسسة منذ وقت مبكر، وقبل سنوات من اعتزامه القيام بفريضة الحج، حتى إذا وصل حجم توفير الفرد إلى المبلغ الكافي للحج - وهو ٥,٧ ألف دولار ماليزي (حوالي ١,٠٢ ألف دولار أمريكي) - يعطى المودع فرصة الذهاب للحج إذا رغب، مع القيام بترتيب كل ما يلزمه من جواز سفر إلى تأشيرة زيارة السعودية، واستراحات المطار، ورعاية صحية واجتماعية، وحماية في كل أماكن وجوده من مطار ماليزيا إلى الديار المقدسة وحتى العودة..

فمن استثمار بدأ عام ١٩٦٢م بشراء عقارين ومحلات تجارية تدرج النمو في مؤسسة التوفير وشؤون الحج ليصل اليوم إلى استثمارات في أسهم بلغ مجموع أسعار تكلفتها ٩١٨ مليون دولار ماليزي (حوالي ٣٦٧,٢ مليون دولار أمريكي)..

وبلغ مجموع الاستثمارات في مجالات أخرى عقارية وبنوك إسلامية، وأوراق مالية إسلامية ٧٨٣,٥ مليون دولار ماليزي (حوالي ٣١٣,٧ مليون دولار أمريكي)، اما الاستثمار في المجال الزراعي والذي يتم من خلال شركة تابعة للمؤسسة (T.H.P.C) فيصعب تقدير قيمته حيث تمتلك المؤسسة حاليا مساحات أراض زراعية تصل إلى ١٧,٥٢ مليون هكتار، ومزارع لأشجار نخيل الزيت في أماكن متفرقة من ماليزيا، ومعصرتين ومصنعين لانتاج زيت النخيل، الى جانب نشاطات زراعية أخرى..

ومع نجاح فكرة هذا المشروع التوفيري تسعى كل من بنغلاديش ودول شرق افريقيا واندونيسيا لتطبيق تجارب مماثلة في بلادها، ويتمتع المودع او الموفر من هذه المؤسسة بعدة امتيازات منها امكانية السحب من امواله الموفرة مرة كل ستة أشهر، والحصول على الربح العائد على استثمارات المؤسسة للأموال المودعة (بعد توزيع زكاة التجارة) بشكل سنوي، وتسهيل عملية التوفير وذلك من خلال الخصم من راتبه حسب رغبته دون التقيد بنسبة معينة.

إن عبادة الحج التي قال الله فيها ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ تحقق هذه المنفعة على أكثر من صعيد، وفي التجربة الماليزية المذكورة ما يبين للمنصفين كيف تساهم العبادة الحية الموصولة بالأهداف الإسلامية العليا في بناء الحياة نفسها، وكيف ترد بشكل عملي وفاعل على مجمل المشاريع غير المرغوب فيها، والتي تشكل خطرا على مفاهيم التنمية والاستقرار الاجتماعي..

لقد تحولت الفكرة البسيطة إلى مؤسسة كبيرة وساهم في نجاحها عدد من العوامل الموضوعية على رأسها القناعة بالمشروع وجدواه.. فالقناعة بأي مشروع والثقة بالقائمين عليه وبجدواه الاقتصادية على رأس الأسس المطلوبة لتخرج الفكرة من الورق إلى الواقع، ولتتدرج صعدا حتى تصل درجة النضوج والإثمار..

ولابد أن نسجل هنا أهمية التواصل والتلاحم مابين المؤسسة الرسمية متمثلة بالدولة وأجهزتها والمؤسسة الشعبية متمثلة بالوقف -في هذه الحالة المحددة - الذي يساهم فيه عدة آلاف من صغار الكسبة والمساهمين، ولا ننسى أن الطلاق النكد الذي وقع بين المؤسستين في بعض أجزاء العالم الإسلامي لم يعد بالخير على أي منهما، بل أدى إلى سلسلة من الكوارث والماسي مما نرى آثاره المرّة كل يوم، ومما أفسح المجال أمام المحذور والمرفوض من مخططات الخصوم..

والاستقرار السياسي والأمني والاجتماعي ضرورة لازمة لتحقيق أية خطوة باتجاه المستقبل، وما كان للتجربة الماليزية أن تنجح لو وقع الخصام والصراع بين (الرسمي) و(الشعبي)، وإنني أذكر تجربة مشابهة في بلد عربي مسلم لم يكتب لها الاستمرار ولا النمو بسبب انعدام الثقة بين المؤسسة الحكومية و(المسجد)، حيث كان كل طرف ينظر إلى الآخر نظرة ريبة وشك، ولا يتعامل معه إلا على أساس (الخصومة) حتى وقعت الواقعة وتفجرت الأمور وانعكست سلبا على الجميع، فلا الدولة استفادت من مؤسسة يمكنها تخفيف العبء الاقتصادي، ذلك الغول الذي لا يعف عن أحد، ويبلع الأخضر واليابس، ولا (المسجد) استطاع أن ينصرف إلى دوره المطلوب في بناء المجتمع وإعادة الثقة بين أفراده والانطلاق من حيّز النظرية إلى أفق التطبيق الرحب الواسع..

لابد أن نسجل اعتزازنا بالتجربة الماليزية داعين إلى دراستها - وهي أهل لذلك - ودراسة ميادين أخرى تقدم فيها العبادة خدمات تنموية غير تقليدية، فبناء المساجد والمدارس والمياتم والمكتبات، وإقامة السبيل والإفطارات، والمساهمة في تكاليف الأفراح والأتراح والمناسبات الاجتماعية، كل ذلك حقل واسع من حقول مساهمة العبادة في التنمية، ولكنها تبقى في إطار الإنفاق ولا تلج باب الإنتاج، والتجربة الماليزية - بهذا المعنى - تكون قد تجاوزت عملية الإنفاق لتحقق عملية إنتاج يحتاجها المسلم المعاصر في وقت تتطلع فيه المؤسسات المالية العالمية والإقليمية إلى مشاركته في لقمة عيشه بما تبتكره من أساليب التعامل مع أكبر قدر ممكن من المساهمات المالية مهما بدت صغيرة، فاجتماع نقاط الماء يؤدي إلى الفيضان..

إن الخير الكامن في هذه الأمة أكبر وأوسع من أن يدّعي حصره فرد أو جماعة أو مؤسسة، وإن العاقل هو الذي يتفكّر فيما قدّم وأخّر ويستفيد من (الحكمة) حيث كانت، بعيدا عن حساسيات (الأنا) و(القوم) و(المذهب) و(الإقليم) فالتجربة الإنسانية ملك الجميع، ونحن مؤاخذون بما نضيّع..

والخير الكامن في هذه الأزمة يستحق أن يخرج إلى الناس ،،كل الناس، لأن الإسلام نفسه للعالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين□

نافذة على العالم

أدوية الكويتية للبوسنة

صرح رئيس اللجنة الطبية المنبثقة من اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة – ومقرها صندوق إعانة المرضى – عن تحرك أكبر شحنة أدوية إلى البوسنة والهرسك تزن ٣١ طنا، بها أكثر من ثلاثين صنفا من مختلف أنواع الأدوية، وتأتي هذه الشحنة في توقيت مهم بالنسبة للبوسنة والهرسك، لحاجتهم الماسة لكميات كبيرة من الأدوية، نظرا لصعوبة توفيرها في ظل الأوضاع المتردية بسبب الحرب الطاحنة هناك، مع تدهور الأحوال الصحية، وزيادة الضغوط على جمهورية البوسنة والهرسك في ظل الأوضاع الراهنة، والحرب التي لم تظهر لها نهاية حتى الآن. وأضاف رئيس اللجنة أن شحنة الأدوية تم اختيارها بعد دراسة وافية للأمراض المنتشرة هناك، ومنها الأنيميا، والجفاف، وحالات الحروق والجروح بسبب الحرب، إضافة إلى الأمراض التي تنتشر بسبب نقص المناعة في الجسم مثل الالتهاب الرئوي – المعروف بالسل – ويكثر انتشاره في كبار السن والحوامل والأطفال، إضافة إلى عشرات الآلاف من ضحايا الحرب.

مساعدة كويتية لضحايا زلازل اليابان

سلم سفير دولة الكويت لدى اليابان الدكتور سهيل خليل شحيبر مساهمة الكويت لضحايا الزلزال المدمر الذي ضرب غرب اليابان في ١٧ يناير الماضي.

وقد أبلغ السفير الكويتي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الياباني يوهي كونو خلال تسليم المساهمة المالية أنه تنفيذا لتوجيهات سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح، قررت الحكومة الكويتية تقديم ستة ملايين دولار أميركي للصندوق المخصص لضحايا الزلزال الذي ضرب غرب اليابان، لمساعدتهم على مواجهة آثار هذه الكارثة المأساوية.

وأبلغ كونو السفير الكويتي بأن اليابان تقدر هذه اللفتة الإنسانية من الكويت، وبالتأكيد سيساهم هذا التبرع في مساعدة الضحايا للتغلب على المصاعب التي تواجههم، خاصة أن عدد الذين قتلوا في الزلزال بلغ ٥٤٢٦ شخصا، وما زال قرابة ٢٠٠ ألف شخص يقيمون في ملاجىء مؤقتة.

وقال شحيبر إنه أبلغ كونو أننا في الكويت أميرا وحكومة وشعبا، لن ننسى موقف اليابان المشرف بمساندة الجهود الدولية، التي أفضت إلى تحرير الكويت.

وغطت الأجهزة الإعلامية اليابانية باهتمام كبير هذا اللقاء بين السفير الكويتي ووزير الخارجية الياباني، خاصة في النشرات الإخبارية في محطات التلفاز العديدة.



دعوة لدعم مشروع (دفع البلاء)

دعا بيت الزكاة المحسنين والمحسنات إلى المشاركة في مشروع دفع البلاء، الهادف إلى تقديم العون للمحتاجين، وتنفيذ العديد من المشاريع الخيرية داخل وخارج الكويت، وكان المشروع قد تأسس في أغسطس عام ١٩٩١م، لتعميق مبدأ الشكر لله على نعمه، ولترسيخ العمل الخيري في النفوس، الذي كان له أكبر الأثر في دفع الضرر عن أهل الكويت.

الناطقون بالأوردو يشيدون بدور وزارة الأوقاف

قام قسم الجاليات الإسلامية بإدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتنظيم محاضرات ومسابقات دينية بين الجالية الإسلامية الناطقة بالأوردو، وذلك خلال شهر رمضان الماضي، وقد أبدى المشاركون والمتسابقون عن بالغ شكرهم وتقديرهم لوزارة الأوقاف على عنايتها بالجاليات المسلمة المقيمة في الكويت، كما دعا المجتمعون لازدهار دولة الكويت ورقيها، وعودة الأسرى والمفقودين من سجون النظام العراقي.

إدارة الوقف وفرت ١٥٠ ألف وجبة في رمضان

خصصت الأمانة العامة للوقف بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ٣٩ ألف دينار من ريع الوقف، وفرت من خلالها ١٥٠ ألف وجبة إفطار للصائم في رمضان الماضي. وقد أشاد مدير إدارة شؤون الصناديق بالأمانة العامة للأوقاف صلاح الغزالي بالتعاون المثمر بين الأمانة العامة للأوقاف وبيت الزكاة، واللجنة التي أشرفت على مشروع ولائم الإفطار، وأكد ضرورة الاستمرار في هذه الخدمة التي تكشف الستار عن أصالة أهل الكويت، وحرصهم على فعل الخير منذ القدم، حينما أوقفوا أوقافا واشترطوا في ريعها إفطار الصائم المحتاج.

ولي العهد يشيد بلجنة تطبيق الشريعة

أوضح سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح أن قوة أهل الكويت تكمن في تعاونهم وتآزرهم، وهذه نعمة منّ الله بها علينا، وأن الديوانيات عادات طيبة ورثناها عن الآباء والأجداد، وعلينا أن نحافظ عليها.

جاء ذلك خلال زيارة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح - حفظه الله ورعاه - لمقر اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، خلال شهر رمضان المبارك الماضي، وقد رافق سموه الشيخ سلمان الحمود الصباح، والشيخ فهد سعد العبدالله الصباح.

وأضاف سموه أنها مسؤولية كبيرة ألقيت على عاتق الإخوة أعضاء اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية لإنجاز مهمتهم، ونحن واثقون من نجاح الإخوة في عملهم، ويجب أن يتحمل الجميع المسؤولية، ونحن نُكنّ كل احترام وتقدير لأعضاء اللجنة.



● الدكتور خالد المذكور

كما أثنى سموه على الديوانية الرمضانية التي تقيمها اللجنة كل رمضان، انسجاما مع عادات أهل الكويت في التزاور والتراحم.

من جانب آخر، أوضح الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا، أن زيارة سمو ولي العهد والتقاءه بشرائح من الشعب لها أثرها العميق في نفوس أبناء المجتمع خاصة، وأن أهل الكويت يجمعهم النسب أو الرضاعة أو الجيرة، وأنه في ظل التلاقي والتواد يمكننا حل أي طارىء.

منظمات إنسانية تطالب بالإفراج عن الأسرى

طالبت ثلاث منظمات أجنبية تعنى بحقوق الإنسان العراق بضرورة إطلاق سراح جميع الأسرى والمرتهنين الكويتيين وغيرهم، الذين ما زالوا محتجزين في سجونه منذ أكثر من أربع سنوات. جاء ذلك خلال بيان مشترك أصدرته كل من كونفدرالية الرحمة المسيحية الأوروبية، واللجنة المسيحية الإسلامية الدولية، ولجنة حقوق الإنسان الإيطالية (أبيلا).

رابطة لخريجي الأزهر

دعا الشيخ سيد عسكر - مدير عام الدعوة والإعلام بالأزهر - إلى إنشاء رابطة لخريجي الأزهر في العالم. وبدأت الإدارات والأجهزة المختصة بالأزهر في اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ الاقتراح، والاتصال بالمنظمات الإقليمية والدولية، لإنشاء الرابطة الأزهرية المقترحة.

إسلام (٧٨) شخصاً

أفادت التقارير الواردة حديثا إلى لجنة الدعاة بجمعية إحياء التراث الإسلامي، بأن عددا كبيرا من الوثنيين والنصارى قد دخلوا الإسلام على أيدي دعاتها في أكثر من دولة، وقد أصبح من هؤلاء المهتدين الجدد دعاة إلى الإسلام، بعد أن منّ الله عليهم بنعمة الهداية والإسلام، وبعدما ذاقوا حلاوة الإيمان، حيث دخل الإسلام ٤٧ شخصا في أوغندا وساحل العاج، و٢٠ شخصا في تايلاند كانوا يدينون بالبوذية والنصرانية، وكذلك حالات الإسلام في تنزانيا، حيث بلغ عدد المسلمين الجدد ١١ شخصا، كانوا يتخبطون ردحا من الزمن في ظلام الوثنية والعبودية.

نشاطات البنك الإسلامي

تم توقيع اتفاقية بين البنك الإسلامي للتنمية وتركيا، يقوم البنك بموجبها بتمويل استيراد حديد خردة بمبلغ ١٥ مليون دولار، لصالح شركة صناعية تركية. وبذلك يبلغ إجمالي التمويلات التي اعتمدها البنك الإسلامي للتنمية لصالح تركيا ما يزيد على المليار و٤٨٦ مليون دولار. ويأتي هذا التمويل في إطار خطة البنك لتعزيز القدرات الإنتاجية، وتوسيع القدرة التصديرية لمؤسسات القطاع الخاص في الدول الأعضاء، بهدف تشجيع التجارة فيما بينها.

كما تم توقيع اتفاقية أخرى بين البنك الإسلامي للتنمية وأوغندا، يقوم البنك بموجبها بتقديم قرض ميسر قيمته مليون وأربعمائة ألف دولار، لأحد المشروعات الاجتماعية في العاصمة الأوغندية (كمبالا). ويتم سداد القرض على مدى ثلاثين عاما، بعد عشر سنوات فترة سماح. وبذلك يبلغ إجمالي التمويلات التي اعتمدها البنك لصالح أوغندا ما يزيد على ٧٨ مليون دولار. ويهدف المشروع إلى تطوير مجتمع منيجوكسني في كمبالا من خلال ترميم وتجهيز خمس مدارس ابتدائية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من التلاميذ في تلك المنطقة، وإنشاء أقسام لحضانة الأطفال، ورعاية الأمومة، وتدريب المرأة، بالإضافة إلى تمديد شبكات للصرف الصحي بطول عشرة كيلومترات، وتحسين شبكة توزيع المياه، وترميم الطرق الرئيسية بطول ١٥ كيلومترا.

الأصولية الإسلامية ليست هدفاً(!!)

شدد حلف شمال الأطلسي الذي يشعر بقلق من إساءة تفسير الهجوم الدبلوماسي للحلف على الدول الواقعة على امتداد جناحه الجنوبي، على أن الأصولية الإسلامية ليست هي الهدف. وقال مصدر في الحلف: (إن الأصولية الدينية ليست هي في حد ذاتها مصدر قلق حلف شمال الأطلسي، وإنما مجمل التهديدات المختلفة للاستقرار الإقليمي هي التي تثير القلق، حلف شمال الأطلسي ليس على خلاف مع الإسلام).

هيئات أهلية خيرية

قرر مجلس الوزراء السعودي إنشاء هيئات أهلية خيرية داخل المملكة.. من أجل إعمار المساجد وترميمها وصيانتها، وستشرف على هذه الهيئات الفرعية هيئة مركزية برئاسة وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف، وعضوية ممثلين عن وزارة الداخلية، والعدل، والبلدية، وإدارة الإفتاء، والمحسنين المهتمين ببناء المساجد.

فجوة غذائية عربية هائلة

قال مدير عام المنظمة العربية للتنمية الزراعية يحيى بكور في القاهرة، إن المنظمة أعدت دراسة حول كيفية التعامل مع التحديات الاقتصادية التي تواجه المنطقة العربية، بسبب المتغيرات المتسارعة التي تشهدها، خاصة في مجال الزراعة والموارد المائية.

واضاف بكور – في تصريح للصحفين عقب اجتماعه مع الأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور عصمت عبد المجيد – أن هذه الدراسة تبحث أيضا كيفية التعامل مع مشاريع التعاون الاقتصادي الإقليمي في المنطقة العربية. وأشار إلى أن الفجوة الغذائية العربية تبلغ حاليا حوالي ١١ مليار دولار، معربا عن أمله في تعزيز التنسيق والتعاون العربي في المجال الزراعي، حتى يمكن تقليل الفجوة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

انتهاكات يونانية لحقوق المسلمين

حكمت محكمة الاستئناف في لاريسا اليونانية بالحبس عشرة أشهر على محمد أمين أغا مفتي اسكجة، الذي انتخبه أبناء الأقلية التركية المسلمة في ترافيا الغربية بحجة خرقه لسلطاته، وأودعته السجن في لاريسا. والجدير بالذكر، أنه بموجب معاهدة أثينا لعام ١٩١١م، يتولى المفتون مناصبهم بعد انتخابهم من قبل أبناء الأقلية. وان هذا الأمر أصبح معمولا به في القوانين اليونانية بقانون صدر عام ١٩١٠م، كما أن حقوق الأقلية هذه غدت مضمونة بموجب معاهدة لوزان.

غير أن اليونان بقرار له مفعول القانون، صدر عن الحكومة اليونانية يوم ٢٥/١٢/١٩٩٠م، ألغت هذا التشريع، وعمدت إلى تعيين المفتين من قبل السلطات اليونانية.. إذ تحاول السلطات اليونانية بهذا القرار الحيلولة دون قيام مفتي أسكجة وكومولجينة بأداء مهامهما، برغم أنهما يتوليان هذا المنصب عن طريق الانتخاب. وعلق متحدث باسم وزارة الخارجية التركية بقوله: (نتلقى بأسف هذا الأمر الذي يعد مثالا جديدا للممارسات اليونانية الرامية إلى إضعاف الوضع القانوني المعترف به للأقلية التركية في ترافيا الغربية، وفقا للمعاهدات الدولية).

من آثار اتفاقية الجات الدولية

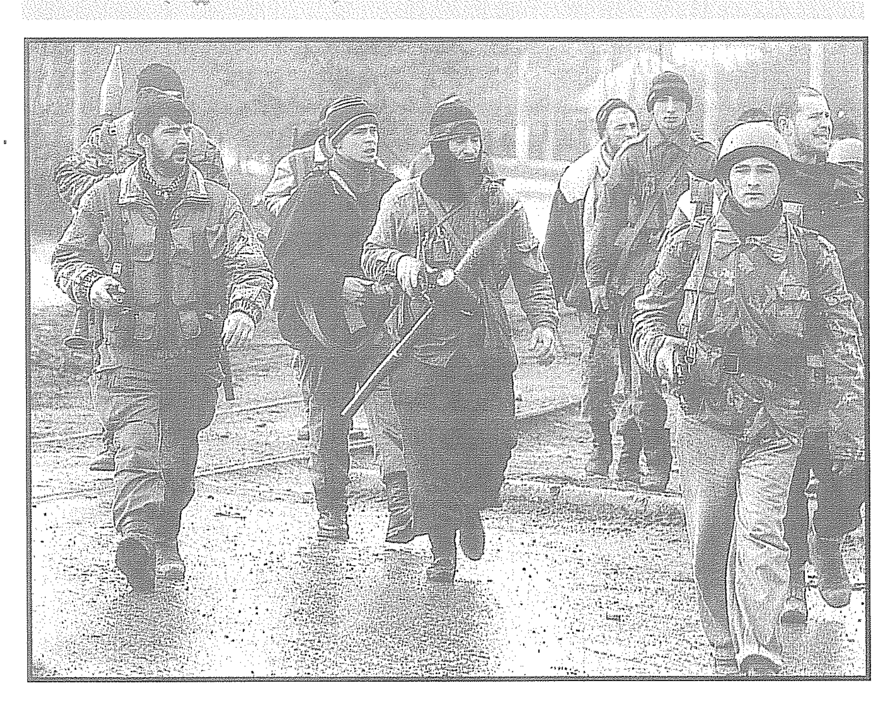
أشار الدكتور يحيى بكور المدير العام للمنظمة العربية للتنمية الزراعية التابعة لجامعة الدول العربية في ورقته (الزراعة العربية.. الواقع والتحديات)، التي قدمها إلى ندوة التكنولوجيا والتنمية في أكسفورد، إلى أن جميع الدول العربية - بلا استثناء - ستتكبد خسائر في صورة نقص حصيلتها من النقد الأجنبي، لارتفاع وارداتها الصافية بعد تحرير التجارة العالمية في السلع الغذائية، وتبلغ الخسارة الكلية المتوقعة لمجموعة الدول العربية من جراء تحرير التجارة العالمية في السلع الغذائية نحو ٦٥٩ مليون دولار في السنة.

تعصب هندوسي أعمى

في محاولة هندوسية ماكرة من أجل هدم مسجد إسلامي في مدينة (فاراناسي) بوسط الهند، قام عدد من الهندوس المتعصبين في أواخر شهر فبراير الماضي، بحركات اعتصام قرب مسجد (فاراناسي) الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثامن عشر، زاعمين أن المسجد بناه الإمبراطور (المولي أورانجزيب) بعد هدم معبد هندوسي قديم.

والجدير بالذكر أن هذا الزعم الباطل، هو نفسه الذي استخدمه الهندوس المتعصبون عندما دمروا المسجد البابري يوم ١٩٩٢/١٢/٦م.

الإغاثة الإسلامية أول منظمة دولية تدخل مدينة (غروزني)



الإغاثة الإسلامية أكبر منظمة إغاثية إسلامية في أوروبا، والتي مقرها الرئيسي في بريطانيا، كانت أول منظمة دولية تدخل مدينة غروزني محملة بمواد إغاثية عاجلة مثل: (أرز، زيت، طحين، سكر، شاي، شمع، كبريت)، والقافلة الأولى من نوعها التي تدخل مدينة غروزني.

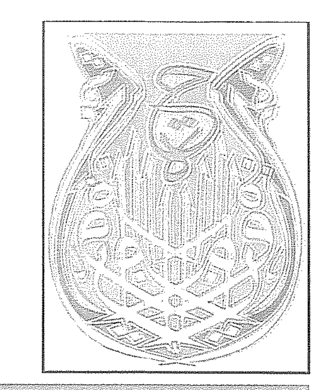
ومن الجدير بالذكر، أن الإغاثة الإسلامية بدأت بتوزيع الطعام من أول يوم في شهر رمضان المبارك الماضي، وذلك عبر مستودعاتها في ضواحي المدينة المنكوبة، وتحت إشراف ممثلها في الشيشان.

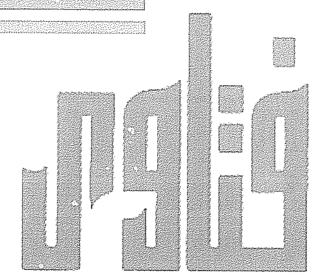
وقد أجرى مراسل محطة الشرق الأوسط (MBC) - وهي البعثة العربية الإعلامية الوحيدة الموجودة في الشيشان - مقابلة مع الأستاذ مصطفى عثمان رئيس الوفد الخاص للإغاثة الإسلامية إلى الشيشان من داخل غروزني، وقال: (إنه فوجىء بوجود منظمة الإغاثة الإسلامية، حيث إنه لم ير غيرها في المدينة).

هذا وقد حذر الأستاذ مصطفى عثمان من وقوع كارثة إنسانية في الشيشان، إذا لم يتحرك العالم بسرعة لنجدة النازحين، وسكان مدينة (غروزني)، حيث يبلغ عدد النازحين أكثر من أربعمائة ألف يواجهون ظروفا صعبة جداً.

وذكر السيد عثمان أن النقص الحاد في الأدوية والأغذية، وعدم توافر الماء النقي للشرب بسبب انقطاع التيار الكهربائي، وتناول السكان لمياه القنوات والأنهار الملوثة، سيؤدي حتما إلى انتشار الأوبئة. هذا بالإضافة إلى وجود النازحين في ظروف سكنية سيئة، حيث يسكن ما يقارب من ٢٠ إلى ٣٠ شخصا في منزل واحد، لا يمكن أن يستوعب أكثر من خمسة أو ستة أفراد فقط، وهذا أيضا سيساعد على انتشار الأمراض المعدية.

وعندما سئل عن الاحتياجات قال: (هناك حاجة شديدة وماسة إلى الأدوية، والضمادات، والأغذية، والبطانيات، هذا إلى جانب الحاجة الملحة لسيارات الإسعاف التي تكاد تكون معدومة، ونحن حاليا نقوم بتوزيع الطعام يوميا وبصدد إرسال سيارات إسعاف، كما أننا نحضر لإرسال قوافل أخرى من المواد الغذائية قبل أن يزداد الأمر سوءا).





منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ - ١٢ ظهرا ومن ٤ - ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

حج المعسر

● ورد للجنة السؤال التالي:

هل يجب على الابن (المعسر) الحج إذا منحه والده مالا أو إذا تكفل الوالد بمصاريفه؟ هل في ذلك منّة أم لا؟

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا قبل الولد ما بذله له أبوه من المال وصار به مستطيعا وجب عليه الحج. ويستوي في ذلك أن يكون الباذل الوالد أو غيره في حال القبول، أما لو لم يقبل لا يجب عليه قبول المنحة لما في ذلك عليه من المنة، وعليه فلا يجب عليه الحج، أما إذا كان الباذل الولد لأبيه، فإنه يجب على الوالد قبول هذه المنحة في مذهب الشافعي، وسوّى غير الشافعية الولد بغيره، وهو ما تختاره اللجنة، وعلى هذا فلا يلزم أحدا قبول المنحة للحج أو غيره.

الحج عن الغير

● ورد للجنة السؤال التالي:

هل يصح أن تحج امرأة عن شخص متوفى ومن تركته مع العلم بأن المرأة قد حجت عن نفسها وستكون برفقة محرم لها؟

وهل يصح لها أن تحج من أموال أحد أقاربه كأخيه؟

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

يصح للمرأة أن تحج عن رجل متوفى ما دامت قد حجت عن نفسها حجة الإسلام، سواء كانت نفقة الحج من مال المتوفى أو من غيره.

المفاضلة بين الحج والعمل الخيري

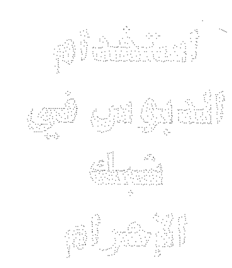
● ورد للجنة السؤال التالي:

أي العملين أفضل في الإسلام .. حج التطوع لمن سبق له الحج؟ أم مساعدة المسلمين المنكوبين، وبخاصة مسلمي البوسنة والهرسك بالمال الذي رصده الحاج لحجته؟

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إن الأفضل لمن أدى فريضة الحج ويريد أن يحج فعلا أن ينفق نفقة حجه في مساعدة فقراء المسلمين والمنكوبين كمسلمي البوسنة والهرسك والبلاد الإسلامية التي تتعرض للمجاعة. لحديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم جهاد في سبيل الله». قيل ثم ماذا؟ قال: «ثم حج مبرور». ويعتبر دفع المال للمسلمين المنكوبين نوعا من انواع الجهاد بالمال.

وقد ثبت عن ابن المبارك، أنه خرج إلى الحج فاجتاز بعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على المزبلة، وسار أصحابه أمامه، وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا بجارية قد خرجت من دار قريبة، وأخذت ذلك الطائر الميت، ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء ابن المبارك وسألها عن أمرها، وأخذ الطائر الميت، فاستحيت أولا، ثم قالت: أنا وأمي هنا وليس لنا شيء إلا هذا الازار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وكان لنا والد ذو مال عظيم فأخذ ماله وقتل لسبب من الأسباب، ولم يبق عندنا شيءنتبلغ به أو نقتات. سمع بذلك ابن المبارك فدمعت عيناه وأمر برد الأحمال والمؤونة للحج، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار. فقال له ابق لنا عشرين دينارا تكفينا لإيابنا وأعط الباقي إلى هذه المرأة المصابة، فو الله لقد أفجعتني بمصيبتها، وان هذا أفضل عند الله من حجنا هذا العام، ثم قفل راجعا ولم يحج ، وأعتقد أن هذه الصدقة فوق الحج المبرور والسعي المشكور.



● ورد للجنة السؤال التالي:

هل يجوز استعمال الدبوس المشبك والمكبس غير المخيط في ملابس إحرام الرجال - على أن يمر بين الدبوس والمكبس أستك غير مخيط؟

واطلعت الهيئة على نموذج من ملابس الإحرام يتكون من ثلاث قطع. الأزار، ويشتمل على حجزة مركبة بواسطة الكبس، يمر من داخله خيط عريض (شريط) غير مخيط، مثبت في الحجزة بكبسات معدنية ثابتة، وفيها جيبان للنقود مثبتان بكبسات معدنية أيضا. والرداء كذلك فيه كبسول معدني مشبك يمكن فتحه وقفله. ومعهما ما يشبه السروال يربط على البطن، ويستر العورة من غير خياطة، وفيه كبسات.

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

لا يجوز لبس المحرم لأي من النماذج الثلاثة التي فيها كباسات لأن ذلك من قبيل الخياطة والإحاطة الممنوعين في لبس المحرم.

الحج على الفور

● ورد للجنة السؤال التالي:

هل الحج يكون على الفور أو التراخي؟

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الحج واجب على الفور على من تحققت فيه شروط وجوب الحج وهي: الإسلام، العقل، البلوغ، الحرية، والاستطاعة، فلا يجوز له تأخير أداء فريضة الحج.

حج المدين

● ورد للجنة السؤال التالي:

هل الذي عليه دين لأحد البنوك .. سواء كان أقساط سيارة .. أو دينا عاما يجب عليه الحج؟

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

أن الدين المستغرق لكل مال المسلم أو لأكثره إذا كان الباقي بعد الدين لا يحقق الاستطاعة للحج يرفع وجوب الحج عنه، وعلى ذلك فإن هذا المسلم المدين على الوجه المتقدم لا يجب عليه الحج إذ لم تتوافر فيه شروط الاستطاعة والله تعالى يقول: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾.

تقديم الحج بين الوالد والولد

● ورد للجنة السؤال التالي:

أعمل طبيبا بمستشفى، ولم أؤد فريضة الحج، وسني ستة وثلاثون عاما، ووالدتي مسنة، وترغب في أداء فريضة الحج، ولن يتوافر معي مبلغ يكفي لأداء فريضة الحج هذا العام، أنا ووالدتي، وإنما يكفي لأداء فريضة الحج لشخص واحد فقط، فهل يجوز أن أعطي هذا المبلغ لوالدتي لأداء فريضة الحج في هذا العام باعتبارها متقدمة في السن، وتأجيل أدائي للحج لفرصة أخرى؟

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا تبرع لأمه بما معه من المال قبل حلول شهر الحج، جاز وأُجِرَ لبره بها، وإن دخلت أشهر الحج قبل أن يتبرع لها بهذا المال، أصبح الحج واجبا عليه، ومنع من التبرع به، لأن الحج عليه أصبح واجبا، وتبرعه به لأمه مندوب ولا يقدم المندوب على الواجب.

سفر المرأة بدون محرم

● ورد للجنة السؤال التالي:

تعتزم اللجنة تنظيم رحلة عمرة لطلبة وطالبات البعوث (المنح الدراسية) فهل يجوز سفر الطالبات مع هذا الوفد بدون محرم، علما بأن الوفد عدده كبير، وسفر الطالبات بالطائرة، والرحلة مرتبة اقامتها وطريق سيرها وعودتها..

وتعتزم اللجنة تنظيم رحلة حج للمهتدين، فهل يجوز للمهتديات تأدية شعيرة الحج بدون محرم، علما بأن جميع الاستعدادات متخذة مسبقا؟

●● وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

لا يحل للمرأة السفر بدون رفقة زوج أو محرم لقوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم»، ولقوله ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم» [رواه البخاري]..

وهذا حرص من الشريعة على صيانة المرأة ودرء الفتنة عنها، ولضمان عدم تعرضها لما يخدش عرضها، أو يمتهن كرامتها..

واشتراط المحرم يشمل جميع أنواع السفر، كالسفر للسياحة والترفيه والسفر للتعليم والسفر للحج والعمرة. ويكتفى عند فقد الزوج أو المحرم في السفر لحج الفرض، والعمرة المفروضة، بالرفقة المأمونة من النساء. ويُلحق بحج الفرض وعمرته كل سفر وجب على المرأة..

ويُستثنى من اشتراط المحرم ومن الاكتفاء بالرفقة المأمونة حالات الحاجة والضرورة، كالمرأة الأسيرة والمهاجرة، أو المريضة التي لا تجد علاجا في محل إقامتها، أو المرأة التي توفي عنها زوجها أو محرمها في السفر، فيجوز في هذه الحالات السفر بدون محرم، ودون الحاجة إلى رفقة مأمونة، ولا يشترط أن يرافق الزوج أو المحرم المرأة في إقامتها في غير بلدها، إذا كانت تأمن على نفسها ودينها، وإلا وجب عليه مصاحبتها طيلة اقامتها فيه. والله تعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم■

نفقة الزوج على زوجته

● ورد للجنة السؤال التالي:

١) الزوجة ملتحقة بالجامعة خارج البلاد فهل يجوز للزوج أن يصرف عليها من أموال الزكاة؟

٢) بالنسبة لحج الزوجة يجوز حجها من مال زوجها وما الحكم إذا كان هذا المال من الزكاة؟

●● وأجابت اللجنة عن الشق الأول من السؤال بما يلي:

لا يجوز الصرف على الزوجة من زكاة الزوج بقصد التعليم أو غيره، ويجوز الصرف عليها من زكاة غير الزوج بقصد التعليم إذا كانت فقيرة.

أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال، فلا يلزم الزوج نفقة الحج لزوجته موسرة كانت أم معسرة، لأن ذلك ليس من نفقة الزوجية، وإن كانت الزوجة معسرة لم يجب عليها الحج لقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾. ولكن من حسن العشرة أن يسهل الزوج لزوجته أداء هذه الفريضة بماله إن كان موسرا، وبمرافقته لها، على أنه إذا حجت المرأة من مالها أو مال زوجها أو غيره سقطت عنها حجة الإسلام، لأن الحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وقد حصلت، ولم يرد اشتراط كون حجة الإسلام من مال الشخص نفسه، والاستطاعة المشروطة في الحج شرط للوجوب وليست شرطا للصحة، فإذا حج غير المستطيع صح منه الحج، وسقطت عنه الفريضة.

«العقل السليم» للدولة الإسلامية لابد أن يكون عربيا في أية «قومية من قومياته»

هل الانتماء قومي أم ديني؟!

بقلم: الدكتور محمد عمارة

الإنسان يعيش بطبيعة الحال وسط عدة دوائر تبدأ بالأسرة، فالعشيرة، فالقرية، فالمدينة، فالوطن، فالأمة، فالإسلام، فالإنسانية. دوائر مترابطة. لا تنافر بينها، ولكن الوقوف عند مرحلة من هذه الانتماءات دون الأخذ بالانتماء الأوسع دائرة يولد الانفصام النكد، ويخلق المشكلات، ومن الإيجاز إلى التفصيل.

الولاء والانتماء

الإسلام دين الفطرة السليمة. ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ [الروم: ٣٠].

وعندما يعود الإنسان إلى فطرته السليمة، التي فطره الله عليها، يجد أن لديه ولاء وانتماء إلى الأهل، بمعنى الأسرة والعشيرة، ثم إلى «الشعب» في الوطن والإقليم الذي ينتسب إليه، ثم إلى الأمة – الجماعة – التي يتكلم – بلسانها – وهي الأمة بالمعنى القومي – ثم إلى الأمة – الجماعة التي يشترك معها في الاعتقاد والدين، ثم إلى الإنسانية، التي خلقه الله وإياها من نفس واحدة. دون أن يكون هناك تناقض أو تعارض بين هذه «الدوائر» في الولاء والانتماء. فهي أشبه ما تكون بدرجات سلم واحد، يفضي بعضها إلى بعض، ويدعم أحدها الآخر. وخاصة إذا خلت مضامينها من الأفكار الشاذة التي تقحم عليها التناقضات.

وكذلك الحال إذا عاد الإنسان إلى فطرته السليمة، فإنه سيجد له حنينا خاصا إلى المكان الذي ولد فيه. وولاء للوطن الذي يحمل جنسيته والذي ضمن له الرعاية والخدمات. وولاء وانتماء للوطن الأكبر، الذي كون ذكريات انتصاراته وطموحاته وآماله وآلامه، فيه إنه مخزون التاريخ والتراث الذي شكل ويشكل تميز هوية هذا الإنسان. دونما تناقض أو تعارض بين هذه الدوائر المتسعة والمتتالية والمترابطة لوطن هذا الإنسان.

لا تناقض بين الانتماءات

إذاً، فافتعال التناقض بين الانتماء العربي وبين الانتماء الإسلامي لدى بعض من الإسلاميين، وبعضاً من القوميين، هو ثمرة لغيبة منهاج الفطرة السليمة في النظرة لقضية الانتماء ودوائره. أو هو ثمرة لسوء الفهم الذي أحدثته مضامين غريبة وشاذة وخاطئة وضعت في أوعية مصطلحاتنا، فأدت إلى خلافات مفتعلة بين فرقاء لوحددوا مرادهم بالمصطلح الذي يرددون لزال الخلاف والاختلاف.

> القومية العربية ليست عرقا بل هي «اللسان»

فمصطلح «القوم» – الذي اشتقت منه «القومية» – مصطلح عربي، بل وقرآني. وفي القرآن الكريم حديث عن العرب، قوم الرسول ﷺ ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسْأَلُون﴾ [الزخرف: ٤٤]. فقوم الإنسان هم الدائمو الإقامة معه، والذين تربطهم معه الروابط التي اصطلح على تسميتها «سمات القومية»، وأولها رابطة اللسان – اللغة.

ولقد حدد حديث رسول الله ﷺ دور اللغة العربية في تحديد دائرة القوم «العرب» عندما استنكر أن تكون العصبية العرقية والنسبية هي التي تحدد من هو العربي. فقال: «ليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي».

فإذا اتفق الفرقاء الذين يفتعلون الخلاف حول تبني أو رفض «القومية العربية» وحول علاقتها بدائرة «الجامعة الإسلامية». إذا اتفقوا على استبعاد المفهوم العرقي العنصري للقومية – وهو مفهوم غربي وافد إلينا من الفكر القومي الغربي – وإذا اعتمدوا معيار «العربية» – «اللغة والثقافة» – لتحديد دائرة العروبة وأبنائها. زال الخلاف المفتعل بين دائرة الانتماء القومي – والقومية العربية – وبين دائرة الانتماء الإسلامي – والجامعة الإسلامية –. بل إنهم سيكتشفون قاعدة للعلاقة بينهما ورباطا للاتفاق، ذلك أن اللسان العربي، الذي يحدد من هو العربي هو في ذات الوقت لسان الإسلام وقرآنه الكريم. وبدون عروبة اللسان لايمكن للمسلم أن يبلغ درجة الاجتهاد في الدين واستنباط الأحكام من القرآن، فكأنما «العقل المسلم» للدولة الإسلامية لابد وأن يكون «عربيا» في أية قومية من قوميات الإسلام.

بين العروبة والإسلام

فتحديد مضمون مصطلح «العروبة»، ومعيار «العربي» هو الذي سيفك الاشتباك

المفتعل بين القوميين والإسلاميين، وبين الرابطة القومية العربية والرابطة الدينية الإسلامية. وعند ذلك يعود الجميع إلى دوائر الانتماء، التي صنعتها الفطرة السليمة. الوطن الإقليمي، فالوطن القومي، فالمحيط الإسلامي، الذي يضم قوميات إسلامية، كالجزر التي يحتضنها المحيط، دون تنافر أو تناقض أو عداء.

وهذا التحديد، الذي ينفي المفهوم العرقي للقومية، سينفي أيضا المفهوم الضيق للوطنية، بالمعنى القطري والإقليمي، ليس بمعنى إسقاط الوطن - الإقليم - «القطر» وإنما بمعنى عدم الوقوف عند دائرته كنهاية للأفق والمطاف. فالوقوف عند الدائرة «الوطنية - القطرية - الإقليمية» هو مفهوم عنصري ضيق الأفق لمصطلح «الوطنية». وكذلك الحال مع الوقوف عند «الدائرة القومية - العربية»، مع إسقاط الدائرة الإسلامية، هو الآخر مفهوم عنصري ضيق الأفق لمصطلح «القومية العربية».

وإذا نحن اكتشفنا واعتمدنا علاقة الأخص بالخاص والعام بالأعم لدوائر «الوطنية» و«القومية» و«الجامعة الإسلامية» و«الإنسانية»، انتفت هذه التناقضات المفتعلة، بإحلال منهاج الفطرة الإنسانية السليمة محل المفاهيم العنصرية الطارئة على حياتنا الفكرية العربية الإسلامية.

قادة الإصلاح

والأمر الذي يزيد من شذوذ هذا الخلاف المفتعل بين دوائر الانتماء هذه. أن كثيرين من أعلام النهضة الإسلامية الحديثة قد كتبوا في هذا الموضوع مؤكدين على تكامل هذه الدوائر للانتماء، نافين أي تناقض بينها.

فإمام الإصلاح القومي والإسلامي في المغرب العربي، الشيخ عبدالحميد بن باديس [١٣٠٥-١٣٥٩هـ-١٨٨٧-١٩٤٠م] له في هذه القضية كتابات كثيرة. منها مقال كتبه في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ جعل عنوانه: «محمد ﷺ رجل القومية العربية». وفيه يقول: «هذا رسول الإنسانية ورجل القومية العربية.. والأمة العربية، الذي نهتدي بهديه، ونخدم القومية العربية خدمته، ونوجهها توجيهه، ونحيا لها ونموت عليه، وإن جهل

> **للإنسان المسلم عدة دوائر من العلاقات والانتماءات أشبه ما تكون بدرجات السّلم. كل درجة تؤدي إلى الأخرى**



الجاهلون. وخدع المخدوعون. اضطرب المضطربون.» وهو نص واضح لا يحتاج أي تعليق.

وأبرز أئمة الإصلاح الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ حسن البنا [١٣٢٤-١٣٦٨هـ-١٩٠٦-١٩٤٩] هو القائل عن علاقة التكامل والتساند بين دوائر الانتماء «الوطنية» و«العربية» و«الإسلامية»:

«إن الإخوان المسلمين يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى في سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار. وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحما وجوارا.

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام. وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه. والعروبة هي كما عرفها

> **الفكر الغربي بمصطلحاته الوافدة هو الذي أفسد مفاهيمنا وقيمنا وافتعل المشكلات في واقعنا**

النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه: «ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان»؟؟

ومن هنا كانت وحدة العرب أمر لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها.

ثم إن الإسلام، كما هو عقيدة وعبادة، هو وطن وجنسية. قضى على الفوارق النسبية بين الناس. فهو لايعترف بالحدود الجغرافية، ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامي وطنا واحدا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده.

فالقومية الخاصة هي الأساس الأول للنهوض المنشود. والوحدة العربية هي الحلقة الثانية في النهوض. والجامعة الإسلامية هي السياج الكامل للوطن الإسلامي العام. ثم إننا نريد الخير للعالم كله. فلا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها».

ذلك هو منهاج الفطرة الإنسانية السليمة في رؤية تعددية وتكامل دوائر الانتماء. وهو المنهاج الذي التزمه كل الذين نجت مناهجهم من المفاهيم الشاذة والغريبة التي أُقحمت على مصطلحاتنا في «الوطنية» و«القومية» كما نجت مناهجهم من التعصب لدائرة انتماء واحدة مع إدارة الظهر للدوائر الأخرى□

الهوامش:

(١) الروم: ٣٠.
(٢) الزخرف: ٤٤.
(٣) [تهذيب تاريخ ابن عساكر] جـ ٢ ص ١٩٨. طبعة دمشق.
(٤) [كتاب آثار ابن باديس] جـ٢ مجلد ٢ ص ١٧-٢١ طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨م.
(٥) انظر في النصوص المشابهة ملحق كتابنا [الإسلام والعروبة] ص ١٥١١-٢٦١، طبعة القاهرة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
(٦) [رسالة المؤتمر الخامس] ص٤٩-٥٠، طبعة القاهرة، ١٩٧٧م.

البحر الأبيض المتوسط.. هذا المسطح المائي بوضعه العام، وامتداده وخصائصه الجغرافية.. لا يوجد مسطح آخر احتفظ بقيمته كمركز من أخطر مراكز الثقل الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية مثله. كان ظهير هذا البحر مركزا لحضارات عريقة نشأت على سواحله.. ابتداء من الفراعنة والفينيقيين، ثم الإغريق، فالرومان فالبيزنطيين، وبعد أن كان (بحيرة رومية)، جاء عصر السيادة الإسلامية.

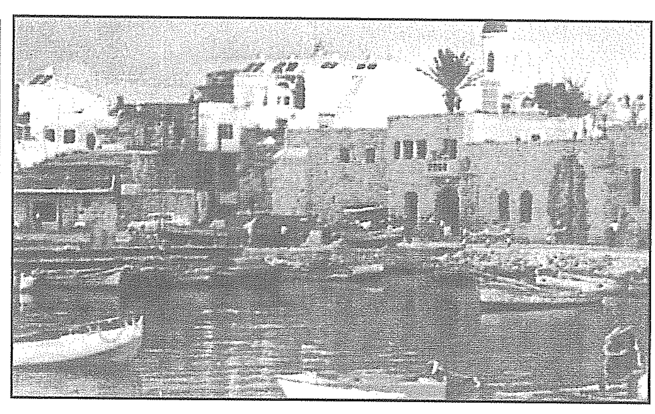
الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض المتوسط ٢/١

بقلم: بهيج بهجت سكيك*

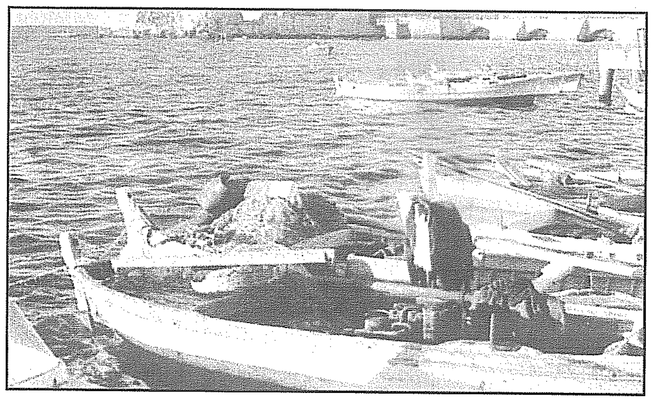
وفي الوقت الحاضر، تطل على شواطئه أكثر من ثماني عشرة وحدة سياسية بشعوبها المتعددة، ودورها الفاعل في القارات الثلاث: أوروبا، آسيا، وأفريقيا، وهو يمثل أيضا بؤرة العلاقات الدولية وأحد مناطق الصراع الاستراتيجية الساخنة.

كانت جزر البحر المتوسط محطات لتأكيد التفاعل الحضاري بين الإنسان والبيئة، بل ما زالت نقاط ارتكاز حضاريةولو حاولنا تتبع هذه ا لجزر على سبيل الحصر فهي كثيرة، وتختلف حسب مساحتها، وموقعها الجغرافي، وأهميتها الاستراتيجية، وتبعيتها السياسية، وأهم هذه الجزر: قبرص – رودس – ارواد – صقلية – كورسيكا – سردينيا – كريت – مالطة – قوصرة – جزر البليار شرقي إسبانيا – وجزر أخرى أقل أهمية منها: قودية – جالطة – قرقنة – قملارية تجاه الساحل التونسي، بالإضافة إلى جزيرة جربة الشهيرة في خليج قابس، وفي الجزء الغربي توجد جزر البا – بانوس – استرنجلرا – والطرفانية – وكمونة وهي قرب مالطة. وهناك مجموعة كبيرة جدا من الجزر الصغيرة تشكل (أرخبيلات) أمام سواحل اليونان وإيطاليا مثل: ارخبيلي السيلاوس وليباري.

هذه الجزر المتوزعة في منتصفه تقريبا بين سيفيه الشمالي والجنوبي، تؤلف لمن يسيطر عليها ستارة أمامية، أو خطا دفاعيا أماميا يقيه هجمات الأعداء، وفي الوقت نفسه تعينه على توجيه الغارات على السواحل الجنوبية لإيطاليا وفرنسا(١).



● ميناء عكا في القرن السابع عشر



● ثغر صيدا، وتبدو القلعة البحرية

تعامل المسلمين مع البحر المتوسط

متى كان هذا التعامل؟ كان ذلك حين وجه الخليفة أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– ثلاثة جيوش للجبهة الغربية بقيادة ثلاثة من المسلمين البواسل: عمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، يرأسهم أبو عبيدة بن الجراح، وبعد معركة اليرموك (١٣هـ – ٦٣٤م).. وخلال عامين، كان الإسلام ينتشر على موانىء الشام – كعسقلان وقيسارية وعكا وصور وطرابلس(٢) – ليقوم بدور حاسم في صد غارات الأعداء عن ديار الإسلام. لذلك كان المسلمون كلما فتحوا مدينة من مدن الساحل، وفروا لها قوة حراسة ترابط فيها للتصدي لأي إنزال بحري بيزنطي، وإذا تعرضت أية منطقة ساحلية لأي هجوم مفاجىء، ترسل لها الإمدادات من المناطق المجاورة.

وأول من أدرك أهمية هذه الثغور معاوية بن أبي سفيان والي الشام (١٩هـ – ٤١هـ) (٦٣٩ – ٦٦١م). لـذا يعتبر بحق واضع اللبنة الأولى في

*موجه تربوي (سابقا) بوزارة التربية

صرح البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، وباني أول أسطول إسلامي عبر هذا البحر العظيم(٣).

على أن هذه الوسائل لم تُجد نفعا في كبح جماح الأساطيل البيزنطية المرابطة في جزيرتي ارواد وقبرص، إلى الغرب من الشام، وعلى مسافة وجيزة منه(٤). لذا لم يجد معاوية بدا من فتح هذه الجزر، والسيطرة عليها لتأمين هذه الشواطىء. على أنه يجب ألا يغيب عن بالنا دور البحرية الإسلامية في النصف الغربي من حوض البحر المتوسط، ودورها في فتح الجزر في هذا الجزء. حقيقة أخرى هي أن القوى البحرية الإسلامية في الشام ومصر والمغرب والأندلس، نهضت نهوضا واضح المعالم إبان القرنين الثالث والرابع للهجرة، بحيث يمكننا أن نطلق على هذا العصر (عصر السيادة الإسلامية) على جزر البحر المتوسط.

فتح جزيرة قبرص

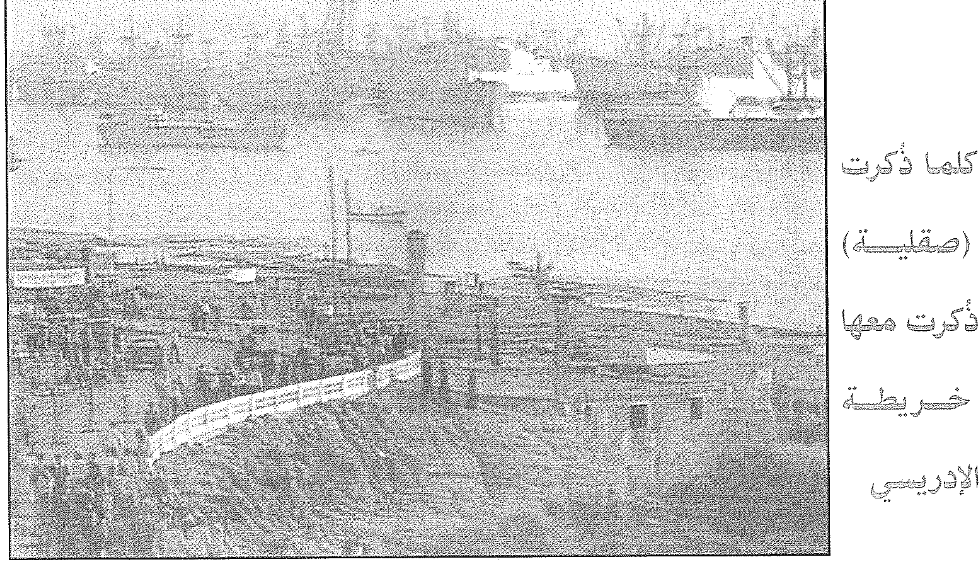
كي يقنع معاوية الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بفتح جزيرة قبرص، أرسل له رسالة يقول فيها: (يا أمير المؤمنين، إن في الشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهي تلقاء ساحل من سواحل حمص)، ولكن الخليفة لم يأذن له بالغزو البحري خوفا على المسلمين، لعدم درايتهم بركوب البحر.. وبقي على رفضه هذا إلى أن مات، فلما ولي عثمان بن عفان – رضي الله عنه – الخلافة، كرر معاوية طلبه للفتح، فأذن له عثمان بشروط هي: ألا يُكره أحدا على الركوب معه، وأن يصطحب زوجته معه. وذلك بعد أن رأى أساطيل بيزنطة لم تتوقف عن الإغارة على سواحل الشام، وبعد أن تيقن من بناء الأسطول الإسلامي وتجديد دور الصناعة في عكا والإسكندرية، إضافة لما غنموه من أساطيل بيزنطة في عسقلان وصور وغيرهما. ثم الخبرة التي استفادوها من أهل الشام ومصر في هذا المجال. استعد معاوية لهذا الفتح استعدادا كبيرا، وأعد لذلك ١٧٠٠ سفينة من مختلف الأنواع، وتعاون الأسطولان المصري والشامي في فتح الجزيرة، فمن مصر أبحر إليها عبد الله سعد بن أبي السرح، ومن ميناء عكا بالشام معاوية بن أبي سفيان، الذي اصطحب معه زوجته، وأخته بنت قرظة بن عبد مناف.

تجمع المصادر على أن تاريخ الحملة كان في الفترة ما بين (٢٧هـ – ٢٩هـ)، حيث تم فتح الجزيرة بسهولة، وصالح معاوية أهلها على شروط يتضح منها أن الهدف من الحملة كان دفاعيا، كما يقول الطبري(٥). من هذه الشروط: جزية يدفعها أهل قبرص قدرها سبعة آلاف دينار كل سنة، إلا أن أهالي قبرص نقضوا معاهدة الصلح، وقدموا للروم سفنا. فقام معاوية على رأس حملة بحرية سنة (٣٣هـ – ٦٥٤م)، وأقام حامية للمسلمين في ليبتيوس على الساحل الشمالي للجزيرة(٦).

واستمرت جولات الصراع في البحر المتوسط بين المسلمين والبيزنطيين، حتى ختمت هذه الجولات سنة (٤٧هـ)، في معركة فاصلة جرت على مقربة من قبرص، حيث هاجم أسطول كريت البيزنطي اسطولا عربيا ضخماً مكونا من ألف سفينة سريعة تمثل مدى ما بلغته القوة البحرية من ازدهار في مصر والشام، ومشاركة اسطول بيزنطة في المعركة، وانهزم الأسطول العربي، ولم تنج منه سوى ثلاث سفن(٧). وظلت قبرص تابعة لبيزنطة حتى نهاية القرن التاسع للميلاد، عندما استطاع أسطول الشام – بقيادة ليو الطرابلسي بالتعاون مع أسطول أقريطش – فتحها، وظلت قاعدة للأساطيل الإسلامية في شرق البحر المتوسط، حتى سقطت كريت حين استولى (نقفور فوكاس) على طرسوس، قاعدة أسطول الشام في نفس العام (٩٦٥م – ٣٥٤هـ). وظلت قبرص تتبع الدولة البيزنطية حتى قدوم الحملة الصليبية الثالثة، ففي سنة (١١٩٠م)، استولى عليها (ريتشارد قلب الأسد) أثناء قدومه لعكا، وباعها لأحد الأمراء الصليبيين، وتكونت فيها أمارة صليبية أسهمت بدور خطير في مساندة صليبي ساحل الشام، وحاول (الظاهر بيبرس البندقداري) القضاء على هذا الوكر الصليبي، ولكن الرياح البحرية دفعت أسطوله إلى الشواطىء، حيث غرق البعض وأُسر البعض الآخر.

بعد فتح المماليك لساحل الشام وتطهيره من الفرنجة، ظلت جزيرة قبرص تقطع طريق التجارة البحرية بين مصر والشام، وكانت أعنف حملة قامت من قبرص، هي تلك التي هاجمت ثغر الإسكندرية سنة (١٣٦٧م)، فدمرتها وظل المماليك

كلما ذُكرت (صقلية) ذُكرت معها خريطة الإدريسي



● ميناء اللاذقية

الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض

يحاولون فتح قبرص، حتى تمكن السلطان (برسباي) من فتحها سنة (١٤٢٣م)، بالتعاون بين أسطولي مصر والشام. وخضعت قبرص لنفوذ ثنائي (مملوكي - بندقي)(٨)، وفي سنة (١٥٢٤م)، تمكن الأسطول العثماني بمساندة قوة برية ضخمة من فتح الجزيرة، وبقيت تابعة للعثمانيين حتى معاهدة برلين سنة (١٨٧٩م)، حيث استحوذت عليها بريطانيا مقابل مساندتها للدولة العثمانية في مجابهة الزحف الروسي على البلقان، وظلت تابعة لبريطانيا إلى أن استقلت بعد حرب تحرير بقيادة (جريفاس) و(مكاريوس)، والأخير أصبح أول رئيس لجمهورية قبرص المستقلة.. وهي اليوم مقسمة إلى قسمين بين الأتراك القبارصة، واليونانيين القبارصة.

فتح جزيرة (أرواد)

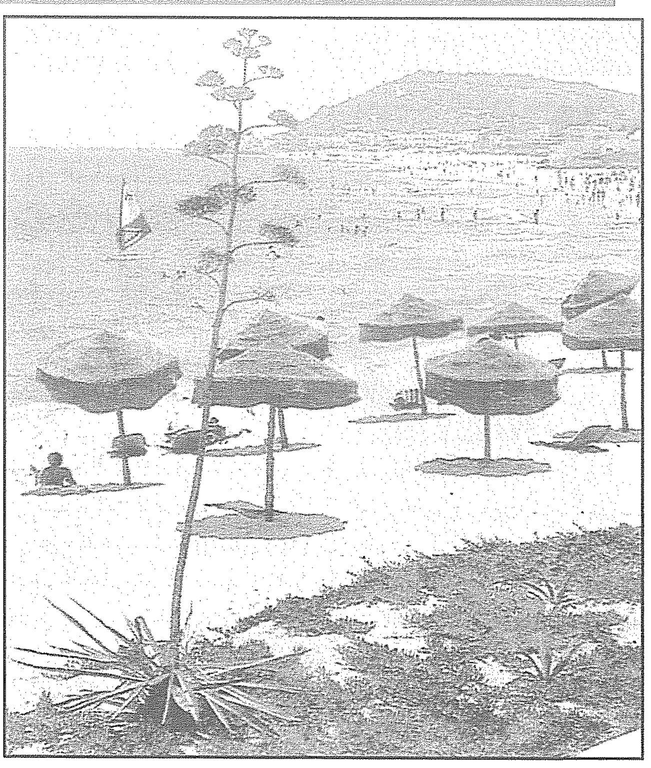
وهي جزيرة صغيرة أمام (طرطوس) من ساحل بلاد الشام، تبعد عنه مسافة قصيرة، وتُرى بالعين المجردة، ولا تزيد مساحتها على (٧٠٠م * ٤٠٠م)، كانت مركزا هاما للبحرية البيزنطية، وبقيت تهدد ثغور الشام، ولا يعرف السبب في أن المسلمين تركوها لفترة.

وعندما عاد الأسطول الإسلامي منتصرا بعد فتح قبرص،، اقتحم جزيرة أرواد واستولى عليها سنة (٢٩هـ - ٦٤٩م)، منذ ذلك الوقت ارتبطت هذه الجزيرة بساحل بلاد الشام، وقد استخدمها الاستعمار الفرنسي - إبان احتلاله لسوريا ولبنان - سجنا نفى إليه الزعماء الوطنيين، أمثال شكري القوتلي وفارس الخوري.

فتح جزيرة (رودس)

وهي جزيرة صغيرة أمام ساحل آسيا الصغرى (تركيا) تقع على مدخل بحر (إيجة)، تتميز بموقعها الهام، وكان لابد من فتحها بالتعاون مع أقريطش صاحب جزيرة (كريت) حتى يُؤمِّن المسلمين طريقهم في محاولات لفتح القسطنطينية. ولقد قام جنادة بن أبي أمية الأزدي بفتحها عنوه سنة (٣٣هـ)،

وهي الآن تابعة لجمهورية اليونان.



● البحر المتوسط من مياه زرقاء ورمال ذهبية، إلى أكثر البحار تلوثا

معركة ذات الصواري

هل يمكن أن نتناول الوجود الإسلامي في البحر المتوسط دون التعرض لذكر معركة ذات الصواري؟

يذهب الدكتور إبراهيم العدوي إلى الحد الذي يعتبر فيه موقعة ذات الصواري بمثابة (تقرير مصير البحر الأبيض المتوسط).

فقد كانت سلسلة الانتصارات البحرية الأولى التي أحرزها الأسطول العربي، سببا في حقد الروم، وإثارة ضغينتهم وقد صادف ذلك تولي الإمبراطور (قنسطانز) الثاني عرش بيزنطة، فتصور أن واجبا مقدسا عليه هو استرداد ما فقدته دولته من أقاليمها الغنية في مصر والشام، وأعظم جزرهما في قبرص ورودس. ولكن كيف السبيل إلى ذلك والتفوق أكيد بجانب الأسطول العربي؟

مهد الإمبراطور (قنسطانز) لذلك بالقضاء على الفتن والقلاقل في إقليم آسيا الصغرى التابع له، والذي يعتبر موردا هاما للرجال، وخشب السفن، كما أعاد إلى سلطته مناطق بحر ايجة التي استقلت بها جماعات السلاف، وبذلك ضمن المورد الثاني، وبدأ يُعِد نفسه للقاء العرب.

وصلت إلى الإمبراطور في عام (٣٤هـ - ٦٥٥م)) أنباء عن استعدادات بحرية يعدها معاوية بن أبي سفيان والي الشام - في ذلك الوقت - لضرب القسطنطينية عاصمة الروم. فرأى ألا ينتظر حتى يهاجمه المسلمون في عاصمته، وإنما سيخرج إليهم قاصدا بلاد الشام ليدمر أساطيلهم هناك. وفي نفس الوقت، نشطت جواسيس (قنسطانز) في بلاد الشام، فحاولوا تخريب الأسطول الإسلامي في مدينة طرابلس لبنان، حيث حطموا سجن المدينة وبه عدد كبير من أسرى الروم الذين أحرقوا العدد والعتاد التي جمعها معاوية وفروا إلى آسيا الصغرى، ولكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، فخرج من مصر واليها عبد الله بن أبي السرح بأسطول يتكون من خمسمائة سفينة، مزودة بآلات الحرب، وقد نقل الطبري على لسان أحد المشتركين في تلك الموقعة: (فالتقينا في البحر.. فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط).التقى الجمعان في البحر قريبا من آسيا عند ساحل (ليكيان) في مكان يعرف بفونكس (Phoenix)، بات العرب يصلون ويدعون الله، وبات الروم ليلتهم يضربون بالنواقيس.

بدأ القتال باستخدام الأقواس والسهام، فاضطر العرب لتغيير خططهم، ثم وثبوا على الروم بالسيوف والخناجر، واشتد الصراع وكثر القتلى.. حاول الروم الاستيلاء على سفينة القائد عبد الله بن أ٨٢٢ؤلسرح، وكادوا ينجحون في أسرها، لولا استبسال أحد بحارة العرب، الذي أخذ في تقطيع السلاسل التي ربطها الروم بالسفينة.

والحقيقة أن كلا الطرفين أظهرا تفانيا كبيرا.. ولكن بعد نجاح المسلمين في إنقاذ سفينة القيادة هجموا على الروم بشدة، وفر الإمبراطور بنفسه على ظهر مركب صغير إلى جزيرة صقلية.

أهم نتائج هذه المعركة البحرية: تدعيم سيادة العرب على الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط، وهذا بدوره أنهى أحلام الروم في محاولاتهم استرداد البلاد، التي كانت تابعة لهم من يد العرب. كما أتاح للعرب فرصة الاستقرار لينتجوا حضارة جديدة. بعض المؤرخين العرب يرى أن هذه الموقعة البحرية لا تقل أهمية عن معركة (اكتيوم) عام (٣١ ق.م)، بين بطالسة مصر والقائد الروماني (اكتافيوس)، وبعضهم يعتبرها كمعركة أبي قير البحرية (١٧٩٨م) بين (نلسون) الإنجليزي، وأسطول (نابليون) في المياه المصرية.

فتح جزيرة (صقلية)

تتحكم جزيرة صقلية في المداخل الرئيسية الكبرى للبحر الأبيض المتوسط، بل تكاد تقسم هذا البحر إلى قسمين رئيسيين، وتشرف على الاتصال بينهما عن طريق مضيقي

القرنان الثالث والرابع للهجرة كانا (عصر السيادة الإسلامية البحرية)

(مسينا) و(صقلية) الواقعين بين طرفها الجنوبي وشمال أفريقيا(٩)، وهي أكبر جزر البحر المتوسط مساحة وأهمها، لذا كانت صقلية تمثل بؤرة الصراع بين الدول البحرية القوية المطلة على البحر المتوسط منذ فجر التاريخ، سيطر عليها شعوب مختلفة (السيكولي والسيكاني والأطيانز واليونانيون والفينيقيون والفندال والقوط الشرقيون) ،ثم الدولة البيزنطية عام (٥٥٢م)، حتى قدوم العرب إليها عام (٨٢٧م).

محاولات الفتح

كانت هناك محاولات كثيرة لفتح صقلية، بدأت عام (٣٣هـ - ٦٥٣م)، ثم تتابعت الحملات والمحاولات، حتى وصل عددها عشر حملات عام (١٣٠هـ - ٧٤٧م)، في عهد الأمويين، وبقي الحال كذلك، حتى وجه لها زيادة الله بن الأغلب من عاصمته في القيروان حملة بقيادة أسد بن الفرات سنة (٢١٢هـ - ٨٢٧م)، مكونة من سبعمائة فارس، وعشرة آلاف من المشاة في سبعين سفينة. وقد قاسى المسلمون كثيرا أثناء حصارها من الجوع والطاعون، بل إن أسدا نفسه كان من ضحاياها، حيث خلفه في القيادة محمد بن أبي الجواري، والذي خلفه أيضا زهير بن غوث.. وقد وصلتهم إمدادات من الأندلس، واستمر الحال كذلك حتى تمكن المسلمون من دخول عاصمتها (باليرمو) عام (٨٣١م)، ثم تمكن منها المسلمون نهائيا عام (٨٤١م).. وأصبحت صقلية بعدها منطلقا للفتح.

لكن البعض يعتبر العباس بن جعفر الفاتح الحقيقي للجزيرة عام (٨٥١م)، فقد قضى على أسطول بيزنطي ضخم، وبذل جهودا هائلة في فتح مدن الجزيرة وحصونها، وسيطر عليها المسلمون كلية عام (٩٠٢م)، ثم انتقل حكم صقلية للفاطميين ثم الكلبيين الذين قضوا على الأغالبة، وسيطروا على تونس وصقلية، غير أنها لم تنعم بالهدوء طويلا فقد أدى الصراع الطويل المتواصل مع البيزنطيين إلى انهيار الكلبيين عام (١٠٥٢م)، وتمزقت صقلية إلى أمارات متناحرة، ثم واجهت تهديد النورمان المتربصين في جنوب إيطاليا(١٠).

فتحها النورمانديون نهائيا عام (١٠٩٠م)، لضعف الفاطميين في مصر، والزيريين في المهدية في تونس، وبقوا فيها حتى عام (١١٨٩م)، وهي اليوم تابعة لإيطاليا.. تصدر عصابات (المافيا) للعالم. وأصبحت مسرحا للجريمة ومركزا للفقر.

وقعة ذات الصواري كانت (تقرير مصير البحر المتوسط للمسلمين)

صقلية كانت أحد أهم المراكز الحضارية الإسلامية التي ساهمت مع الأندلس في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، واستمرت كذلك في عهد النورمان، ومن بعدهم (هوهنشتافن - الألمان)، تمثل ذلك في مجالات الزراعة والصناعة والعلوم(١١).

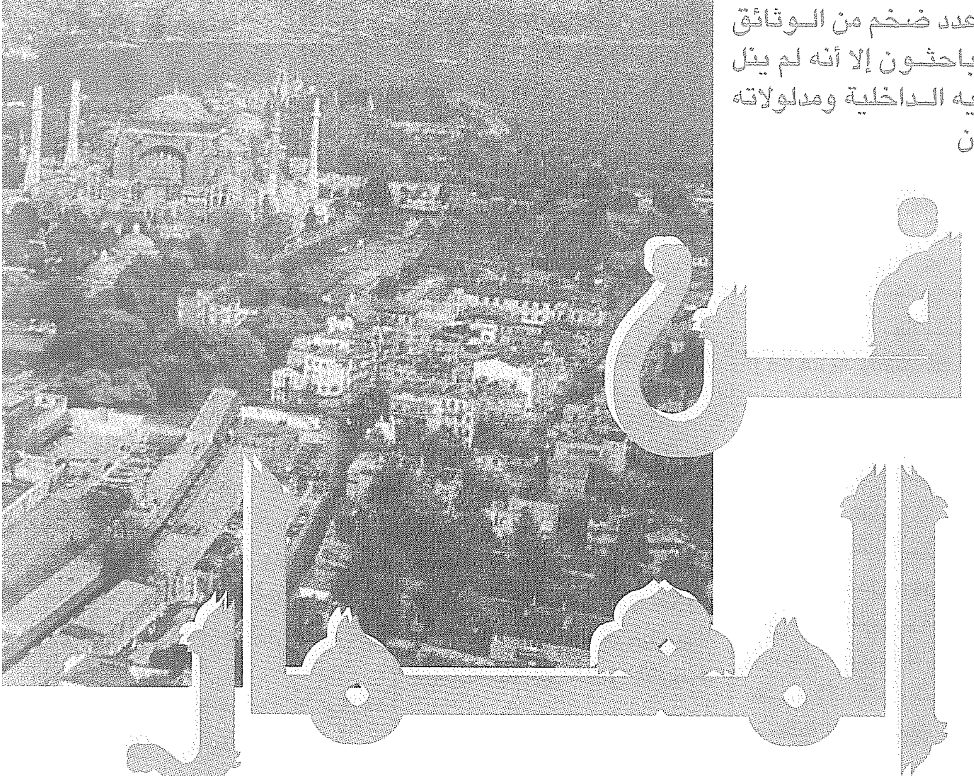
وهل يمكن أن تذكر صقلية دون أن يذكر الجغرافي العربي (الإدريسي)؟ وخريطته الشهيرة للعالم والمنقوشة على لوح من الفضة المحفوظة في متحف باليرمو الوطني؟

[يتبع قسم ثان وأخير]

الهوامش:

١) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د. سالم + د. العبادي، ص٥٥.
٢) فتوح البلدان، البلاذري القسم الأول، ص ١٥٢.
٣) المسلمون في حوض البحر المتوسط د. حسين مؤنس، ص ٧٦.
٤) المسلمون والبيزنطيون، د. إبراهيم العدوي، ص ٩٤.
٥) الطبري، ج٢، ص ٢٦٢.
٦) القوى التجارية والبحرية في المتوسط، ارشيبالد لويس، ص ٩١.
٧) القوى التجارية والبحرية في المتوسط، ارشيبالد لويس، ص ١٠٨
٨) الدولة البيزنطية، د. السيد الباز العريني، ص ٤٧٧.
٩) الأمويون والبيزنطيون، د. أحمد العدوي، ص ٩٧.
١٠) القوى التجارية والبحرية في المتوسطة، ارشيبالد لوس، ص ٣٦٣.
١١) فضل العرب على أوروبا، د. سيجريد هونكه، ص ٣٤.

فن المعمار



الفن الإسلامي على الرغم من وجود عدد ضخم من الوثائق والدراسات الوصفية التي قام بها الباحثون إلا أنه لم ينل الاهتمام الكافي فيما يتعلق بعمق معانيه الداخلية ومدلولاته الرمزية، وقد قام هؤلاء الباحثون بدراساتهم وأبحاثهم في أغلب الأحيان من منطلقات غير ملائمة حيث ان في اعتقادهم أن «تجريدية» الفن الإسلامي يمثلها المفهوم نفسه الذي ينطبق على الفن الغربي في حين أن كليهما يقف على طرف مناقض للآخر، فظهرت المباني الحديثة وناطحات السحاب لتمثل ندوبا في وجوه معظم المدن بينما كان مسجد قرطبة وتاج محل ثمرة للنموذج الإسلامي في العمارة. والجمال في الإسلام صفة إلهية تمثل حضوراً مزدوجاً ومن بين جميع الصفات الإلهية المتجلية في العالم، وتاريخ الفن يتجاوز المستوى المألوف للتاريخ لأنه يقدم فهما موسعاً وعميقا للحقائق الروحية الكامنة في جوهر العالم الكوني ويذكر العلامة «بوركهارت» عن الفن الإسلامي أنه ينبع من تزاوج الحكمة وفن الصنعة ويقدم لنا بعض جوانب الفن الإسلامي كانبثاق مباشر من مبادىء الوحي الإسلامي والكشف الإلهامي للرؤية الإسلامية. وفي القرن السابع الميلادي شهدت الهندسة المعمارية في ظل الإسلام ازدهاراً كبيراً في مختلف الأقطار التي خضعت للفتوحات الإسلامية، وتمكن المعماريون المسلمون بفضل رساخة عقيدتهم وعمق إيمانهم من أن يخلفوا للعالم إرثا هائلا من روائع الفن المعماري في النواحي الدينية والمدنية والحربية بما فيها من مساجد ومعاهد للعلم ومستشفيات وفنادق وقصور وقلاع وحمامات وغيرها، فقد كان للدين الإسلامي أثر عظيم في جميع هذه الميادين.

والقرآن الكريم الذي هو مصدر عبادة وتفكير وأسلوب عملي في الحياة لا يمثل رؤية وتجليا نهائيين لأصحاب الكتاب بل هو أيضا منهاج تأثرت به أساليب الهندسة المعمارية لحضارات مختلفة انصهرت في عالم الإسلام فهذه المساحات الجغرافية الواسعة التي انتشر فيها الإسلام تضم أمما وطبائع ولغات وبيئات تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ولذلك فإن الفن الذي نما في ظلها قد تطور في اتجاهات أساسية مميزة تعكسها

إعداد: سيد محمد الطنطاوي

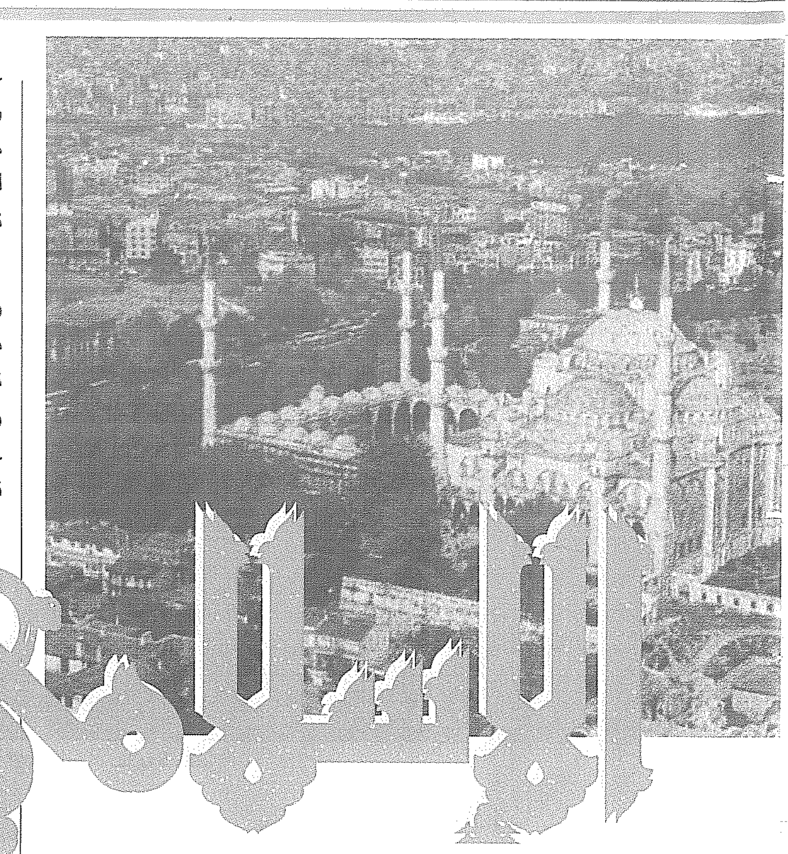
أساليب العمارة في هذه البلدان.

وإبان العهدين الأموي والعباسي في الفترة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلاديين انجزت مبان عظيمة في القدس الشريف قبة الصخرة وفي دمشق الجامع الأموي الكبير ومدينة سامراء على ضفاف دجلة في العراق، وشهدت هذه الفترة بالذات الإبداع الإسلامي الخلاق الأصيل الذي تجلى في تلك الساحات الفسيحة المعمرة التي تتسع لأعداد كبيرة من المصلين.

عبقرية الفن الإسلامي

وشهدت مصر ظهور الفن المعماري الفاطمي وفن المماليك في مجموعة من المباني الجميلة التي تعكس التقدم الذي أحرزه هذا البلد.

وفي تونس والمغرب وأسبانيا، حيث أخذت التيارات المحلية بعد الفترة الكلاسيكية تطبع آثارها على فن البناء التقليدي البسيط، وشهد القرن الرابع عشر تقدما مزدهراً توج بقصر الحمراء بغرناطة ومدارس فاس ومراكش، كما بنى الفارسيون مساجد ومدارس وفنادق تميزت بباحات تحيط بأضلاعها أربع صالات أو كوات مقببة كبيرة واتبع هذا الأسلوب في القرن العاشر وبلغ أوجه في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في ظل حكم الصفويين في أصفهان، وقد طور الأتراك السلاجقة الذين قدموا من آسيا الوسطى هندسة معمارية في الأناضول خلال القرون الوسطى غنية في زخرفتها.



العلامة (بوركهارت): الفن الإسلامي ينبع من تزاوج الحكمة وفن الصنعة

وفي الجزء الشرقي من العالم الإسلامي - في الهند التي خضعت لحكم المغول - نشأ فن رائع ارتكز على التقاليد الفارسية وتميز بروعة وجمال الرخام الأبيض والحجر الرملي الأحمر في فاتهبور سكرى ودلهي وأغراء ويمثل تاج محل المشهور أفضل تمثيل عظمة أباطرة شبه الجزيرة الهندية.

إن تلك الأبنية المعمدة والمساجد ذات الباحات الداخلية الواسعة والصالات الفسيحة المقببة لتنم جميعها عن عبقرية غنية وإلهام منوع، تمتع بهما العالم الإسلامي في حقل الهندسة المعمارية.

عناصر العمارة الإسلامية

حفلت المدن التي أحدثها القادة المسلمون عبر جميع العصور بالأسلوب الإسلامي، على صعيد تخطيط الأسواق والأحياء والجوامع و«البيمارستانات» أو على صعيد بناء الدور والقصور، وتستوقفنا مدينة سامراء قبل سواها من المدن الإسلامية، وذلك لأنها كانت من أولى مدن الإسلام التي استحدث إنشاؤها على أرض فضاء، دون أن يضطر ساكنوها للبحث والتفتيش عن أركان وفراغات هنا وهناك يقيمون عليها مساكنهم كما يحصل عادة للنازلين الجدد في المدن التي تكون مأهولة.

وقد قصد المعتصم سامراء وبنى بها دارا وأمر عسكره بمثل ذلك، وأخذ الناس في تشييد دورهم حول قصره وعندما توفى أكمل ابنه الواثق خطة والده العمرانية فبنى قصره الشهير والمعروف «القصر الهاروني» وإضافة إلى «القصر الهاروني» عرفت سامراء قصر العاشق الذي بناه أبوالحسن علي بن المنجم للخليفة المعتمد على الله ابن الخليفة المتوكل والقصر يتكون من طابقين الأول مستطيل الشكل طوله ١٣١ مترا يمتد من الشمال إلى الجنوب وعرضه ٩٦ مترا، وحوط هذا الطابق بساحة مسورة تشاهد فيها القصر والسور الخارجي، وبُني جميعه بالآجر والجص، كما كثرت فيه الإيوانات المألوفة في العمائر الإسلامية، ولوحظ في جدار المدخل نوافذ عديدة للإضاءة والتهوية في الجهة الجنوبية ثلاثة أبراج ومدخل صغير عقد على غرار المدخل الغربي.

وأهم ما توقف عنده الباحثون ذلك القدر الهائل من الزخارف والقوالب الجصية والحليات المعمارية التي تم العثور عليها في أطلال مدينة سامراء والطبقات الزخرفية التي كانت تغطى جدران منازل هذه المدينة الأثرية والتي تتمثل بتلك اللوحات المدهشة المصنوعة من الرخام والفسيفساء. والمادة الأساسية التي استخدمها المعماريون الإسلاميون كانت من اللبن، وهي مادة هشة قصيرة الدوام عرفت في مباني مصر القديمة وبشكل ملحوظ خصوصا في العراق وبلاد فارس.

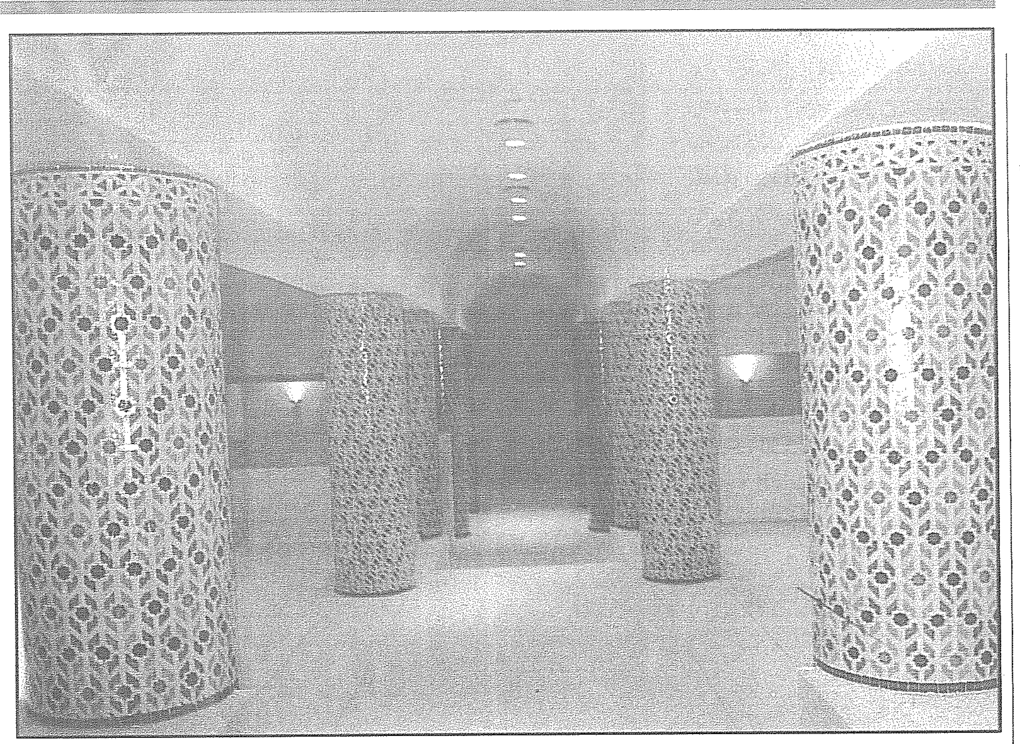
الفسطاط وأسلوب المعماريين

كانت تتألف منازل المسلمين في الفسطاط من إيوانات تسبقها شرفات بارزة، تحف بفناء مركزي واسع مكشوف، اتبع المعماري في أسلوب بنائه خطة معينة بحيث كانت تتيح لهذا الفناء الواسع أن يحتضن قدرا كبيرا من الظل طيلة اليوم، وكيفما كان مدار الشمس عبر فصول السنة وكانت طوابق العمارة السكنية لا تتجاوز الطبقتين أو الثلاث على أبعد احتمال، وذلك لأن مواد البناء التي كانت مستخدمة خصوصا في الطابق الأرضي لا تتحمل الثقل الذي يز يد على طبقتين أو ثلاث.

والتصميم الذي اتبعه المعماريون المسلمون في جميع العمائر الإسلامية التي بنوها تمت فيه مراعاة ظروف المناخ بحيث يتوصلون إلى توفير الرطوبة من جهة ومنع وصول لفحات الحر في أيام القيظ، فأول العناصر التي تسترعى الانتباه في المنازل السكنية في القاهرة مثل بناء «الصحن» المكشوف الذي كان يستخدم

فن المعمار الإسلامي

في تكييف حرارة الجو. فالمعروف أن هواء الليل أبرد من هواء النهار، ولذلك فقد كان الصحن يحفظ هواء الليل الذي كان يهبط إلى أدنى الدرجات ثم ما يلبث أن يسهم الصحن في تسربه إلى الحجرات فيعمل على تلطيف حرارتها، ويظل هذا الهواء الليلي المنعش محصوراً بين جدران الصحن حتى ساعة متأخرة من النهار وبذلك يتحول إلى خزان للترطيب العام في المنزل يحفظ له الهواء المنعش على مدار اليوم بكامل ساعاته تقريبا. وبذلك يكون قد أدى دور مكيف الهواء، وقد درج المعماريون المسلمون في العهود الأولى من بناء العمارة السكنية على إحاطة الصحن بإيوانين للاستقبال الأول: يقع لجهة لشمال. والإيوان الثاني: لجهة الجنوب، كل ذلك من أجل تفادي الأشعة على مدار النهار. كما كانوا يصممون الشرفات التي تسبق الإيوانين، ولم يكن يخلو الصحن من نافورة مياه أو حوض ماء تنعكس بين جنباته زرقة السماء نهاراً ونجوم الليل ليلا. إلى جانب النافورة أضاف المعماري العربي «السلسبيل» وهو عبارة عن لوحة جدراية رخامية حفرت على صفحتها النقوش، فبدت زخرفتها وكأنها تحاكي صفحة الماء حين تتعرض لمداعبة النسيم وكانت الجدارية توضع مقابل الايوانين فتبدو للناظر وهو يجلس على شرفة الإيوان



● تميزت الأقواس والعقود المعمارية الإسلامية بسمتها الخاص

فن المعمار الإسلامي بلورة دنيوية لروح الإلهام الإسلامي

في أبهي منظرها لحظة انسياب الماء على سطحها إلى القناة الرئيسية التي تفضي إلى الحوض.

أما «المندرة» في العمارة الإسلامية فهي القاعة التي تتألف عادة من الإيوان والبهو الذي يتصدر الإيوان.

شخصية المدن الإسلامية

مثلما كانت بابل وأثينا وروما والقسطنطينية وقرطاجة انعكاسا حقيقيا لحضارات الدول التي عاشت في ظل سيادتها، فقد أفرزت الحضارة العربية الإسلامية أسماء مدن وعواصم نشأت في ظل سيادتها أيضا كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وسامراء ودمشق والقاهرة فكان لبعضها طابع سياسي كما كان لبعضها الآخر طابعها الإداري، وجميع هذه المدن عاشت في ظلال الحضارة العربية الإسلامية واتسمت بسمتها واتصفت بصفتها فتجلى ذلك أكثر ما تجلي في مظاهرها العمرانية وأنماطها الاجتماعية وأنشطتها الفنية والثقافية والعلمية.

والعمران العربي الإسلامي في المدينة العربية اعتمد في البداية على روافد حضارية أخرى كانت تعيش قبله مثل الساسانية والبيزنطية، لكن سرعان ما تبلورت فيما بعد الشخصية الخاصة بها والتي أصبحت عربية إسلامية خالصة والمباني كانت على أربعة أنواع:

١ - المباني الدينية والتي تمثلت في المساجد والمدارس والخانقاهات والربط والتكايا والمدافن والمشاهد والسبل والمآذن بالإضافة إلى الميضأة والمطبخ والصحن.

٢ - المباني السكنية وتتكون من القصور والمنازل الخاصة ودور الأمراء والوزراء ورجال الحاشية إضافة إلى الدور الشعبية ودور الطبقة الوسطى.

٣ - مباني الخدمات وتشمل الخان

والبيمارستان والحمامات العامة والوكالة.

٤ – المباني الدفاعية كالقلاع والحصون والأسوار والأبراج.

مسجد السلطان حسن

يعتبر مسجد السلطان حسن أحد العلامات المميزة للعمارة الإسلامية في العصر المملوكي، وترجع أهميته إلى أنه كان مسجدا ومدرسة لتدريس المذاهب الأربعة وتمثلت فيه روعة وعظمة الفن المملوكي في العمارة والزخرفة وذكر المقريزي أن السلطان حسن بدأ بناء مسجده ومدرسته سنة ٥٧ هجرية وظل يعمل في انشائها لمدة ثلاث سنوات مستمرة، وأن هذا الجامع من عجائب العمارة الإسلامية إذ ان طول إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعاً ويقال انه أكبر من إيوان كسرى الذي بني في العراق ومنها القبة العظيمة التي لا مثيل لها في البلاد الإسلامية ومنها المنبر المصنوع من الرخام والبوابة العظيمة والمدارس الأربع بدور قاعة الجامع.

والمسجد يقع بميدان صلاح الدين بالقلعة أمام باب العزب وهو أشهر أبواب القلعة، وهو من أضخم مساجد مصر عمارة وأعلاها بنيانا وأكثرها فخامة وأحسنها شكلا وأجمعها لمحاسن العمارة، وأدلها على عظمة الهمة.

يبلغ طول المسجد ١٥٠ متراً وعرضه ٦٨ مترا ومساحته ٧٩٠٦ أمتار مربعة، وارتفاعه عند المدخل ٣٧,٧٠ مترا وعلى جوانب الصحن أربعة إيوانات معدة لإقامة الشعائر الإسلامية، وفي كل زاوية من زواياه باب يوصل إلى إحدى المدارس الأربع التي شيدها منشىء الجامع ليدرس في كل واحدة مذهبا من المذاهب الأربعة.

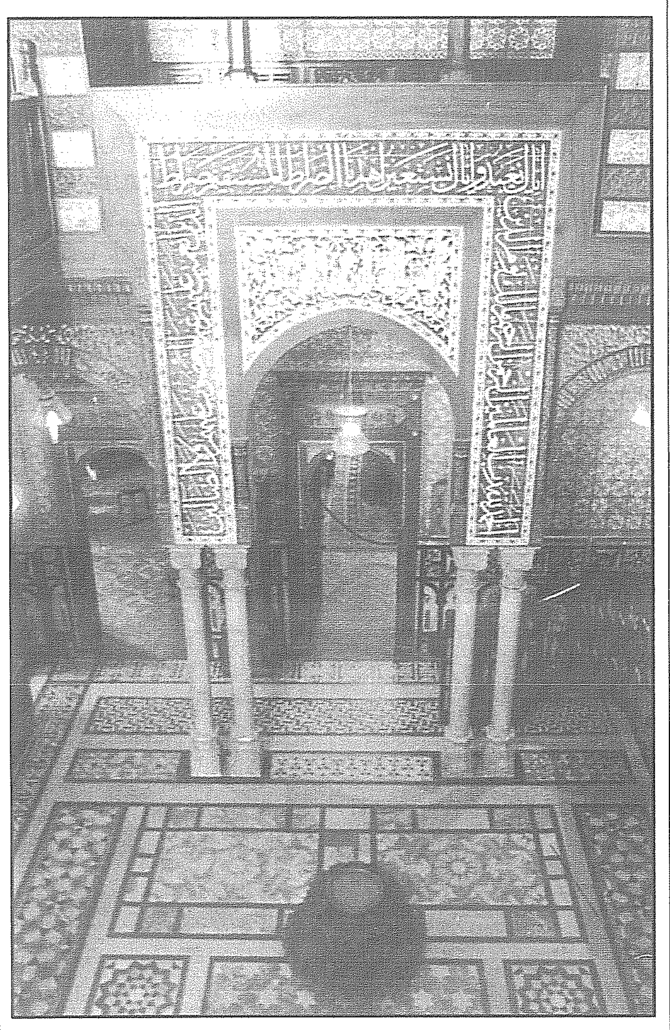
وفي كتاب «مساجد مصر» للدكتورة سعاد ماهر تقول: لم يستكمل السلطان حسن المسجد حيث قتل عام ٧٦٢ هجرية قبل إتمام بنائه فقام ألطوش بشير الجهدار بأعمال تكميلية كثيرة منها أعمال الرخام الملون للأرضيات، وكذلك تكسية أبواب المدارس بالرخام الملون.

أما أهم مكونات المسجد من الناحية المعمارية، القبة الكبيرة والتي تقع خلف جدار القبلة ويبلغ طول ضلعها ٢١ متراً، وارتفاعها إلى نهاية القبة ٤٨ مترا، وقد زخرف مربع القبة حتى ارتفاع ثمانية امتار بشريط من الكتابة عبارة عن آية الكرسي من القرآن الكريم. وقد انتهى من بناء القبة عام ٧٦٤ هـ وحدث أن سقطت هذه القبة عام ١٠٧١ هجرية وحلت محلها قبة ذات قطاع مدبب، ويحيط بها من الخارج دعامات أسطوانية الشكل وباطنها محلى بالزخارف والرسوم الزيتية، وكانت أكثر ارتفاعا مما عليه الآن ثم نقص ارتفاعها عندما جددها إبراهيم باشا عام ١٠٨٢ هجرية.

المآذن

بلغ التطور المعماري أوجه في نهاية دولة المماليك وخصوصا في عصر «قايتباي» (٨٧٣ – ٩٠١هـ) إذ أصاب المعماريون المسلمون في هذا العصر قسطا عظيما من التوفيق في تجميل المآذن بالطاقات والدلايات «المقرنصات» والخوذات المضلعة أو المستديرة والتي تحملها أكتاف أو عمد رشيقة، فضلا عن كسوة القمة بالقاشاني.

وشكل مئذنة جامع الحاكم بأقسامها: المربع ثم المثمن هو الذي غلب على معمارية المآذن المصرية في العصور التي تلت فيما بعد ،ومعظم المآذن التي شيدت في مصر بعد ذلك قامت على ثلاث طبقات مربع ثم مثمن ثم اسطواني، وأسلوب آخر عرفته المئذنة المصرية ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، حيث ظهرت منارات ذات رؤوس، مزدوجة شاعت في نهاية القرن التاسع بشكل واسع وخير مثال على ذلك مئذنة الغوري في الجامع الأزهر، وللغوري أيضا في مسجده بالغورية مئذنة ذات أربعة



●تقوم المدينة الإسلامية على قطبية المسجد بمآذنه الشامخة

فن المعمار الإسلامي

رؤوس وامتازت المئذنة الموجودة بالجامع الأزهر عن غيرها بكسوتها من القاشاني.

المحراب

يعتبر المحراب أحد العناصر الأساسية في الفن المعماري للمقدسات الإسلامية، ويرى المؤرخون أن المحراب أدخل في فن عمارة المسجد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك وعلى التحديد عندما قام بإعادة بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة، وهناك احتمال قوى يشير إلى أن المحراب كنموذج معماري حل مكان شكل أكثر بساطة مثل باب إضافي شكلي استخدم في المساجد البدائية للدلالة على اتجاه القبلة.

يتخذ شكل المحراب دلالة رمزية حيث تشير قبته إلى السماء في حين تتصل عتبته بالأرض مما يجعل المحراب صورة معبرة عن «كهف العالم» الذي يعتبر محلا لظهور التجليات الإلهية سواء كان هذا الرمز معبرا عن العالم الخارجي أم عن العالم الداخلي في قلب الإنسان المؤمن.

ولتحديد الرمزية التي يمثلها المحراب في التصور الإسلامي لابد من ربط هذه المسألة بالنص القرآني، فالمعنى الحرفي لكلمة «محراب» يدل على «الملجأ» أو الملاذ أو المأوى. وقد استخدم القرآن الكريم كلمة محراب لتصف المكان المقدس في المعبد الذي دخلت فيه السيدة مريم عليها السلام في خلوتها الروحية حيث كانت الملائكة تقدم لها رزقها، وقد ورد في الآية ٣٧ من سورة آل عمران مايلي: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

الخانات

بنيت الخانات في الأصل على الطرق لخدمة المسافرين وقد كان المسافر يستخدمها للاستراحة أو المبيت فيها مع وسيلة انتقاله ولفظة «خان» فارسية الأصل وهي نوعان، منها ما كان يقام على طرق السفر خارج المدن المتباعدة، ومنها ما كان يقام داخل المدن وقد كانت خانات طرق السفر تشيد على منابع المياه ومجاري الأنهار، وكان يبتعد الواحد عن الآخر مسيرة نهار، أي ما يقارب الثلاثين كيلو مترا، ويقدم في الخان - للتجار والمسافرين والرحالة - الخدمات، فيوفر لهم الراحة من جهة، ويجنبهم مشقة السفر ومخاطره ليلا.

ويتألف الخان من طابقين، مسقطه مربع، وتمثل أركانه أبراجا للمراقبة والدفاع وغالبا ما كان يحيط به سور خارجي قوي وبوابة مصفحة ضخمة تغلق في الليل، أما غرف المسافرين فقد كانت تتوزع في الطابقين وربما اقتصرت على الطبقة العليا.

وطرز الخانات متنوعة بحسب تصاميمها، فهناك مثلا الطراز الفارسي الذي عرف بقاعاته الطويلة والموازية للصحن المركزي.

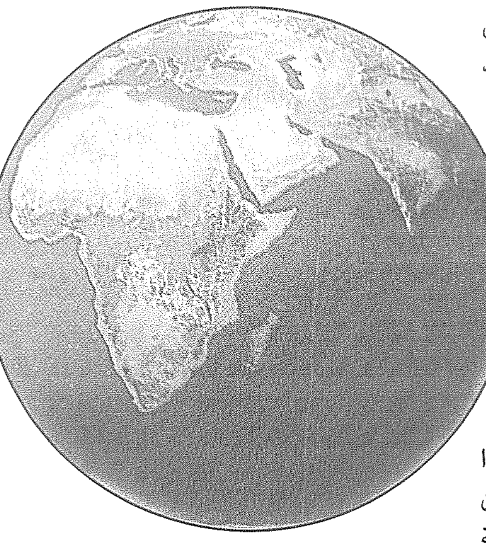
وقد أخذ هذا التصميم شكل الأواوين، وقد تميز ببوابته التي كانت تمثل الجانب العظيم منه أما طراز الخان - البحر - متوسطي - فقد كان تصميمه يشتمل على أربعة أضلاع وصحن مركزي تحيط به الأروقة.

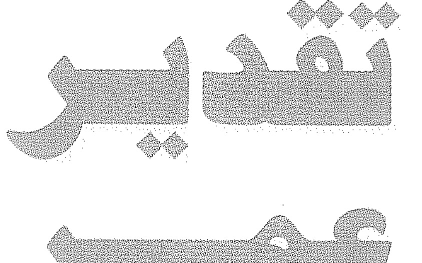
وكانت خانات المدن تشترك مع خانات الطرق في بعض ما تقدم من خدمات للمسافرين، غير أنها كانت تشتمل خدمات الضروريات والكماليات معا مثل الحمام والمطعم والمخازن الكبرى التي كانت تستقبل البضائع وتخزنها حتى يتمكن التاجر من بيعها، وكانت وظيفة الخان في المدينة تختلف عن وظيفته في طرق السفر لأنه كان يستقبل التجار بشكل عام من باعة الجملة ومروجي البضائع والوسطاء، ثم كان لكل بضاعة خان يرتبط بها، فكان مثلا خان الحرير وخان الحبالين في دمشق وخان الجوخ في استنبول وخان الخياطين في طرابلس بلبنان.

الحمامات

يذكر المؤرخون أن المسلمين أنشأوا ثلاثة حمامات في البصرة اعتبرت الحمامات الأولى في الإسلام، كذلك فإن المسلمين الأوائل الذين خرجوا من الجزيرة العربية لم يكونوا قد ألفوا استعمال الماء الغزير الجاري وذلك لندرته وعدم توفره في بلادهم، ولكن حين خرجوا بدعوتهم ووجدوا الحمام البيزنطي - الروماني، بوءوه مكانة لم يمثلها من قبل، وجعلوه شعبيا بالمعنى الصحيح لأنه كان مقتصراً على طبقة الأثرياء والموسرين.

وحافظ المعماريون المسلمون على هيكله العام وتصميمه الذي عرف به، غير أنهم قاموا بتعديلات أساسية طالت زخارفه وزينته ونقوشه وعدد قاعاته والمسافة التي تباعد بين أقسامه، ولقد عرفت الحمامات العامة عند المسلمين مخططين من حيث الشكل، الأول: طغت فيه القاعة الدافئة على ما سواها وكانت بثمانية أضلاع أو باثنى عشر، أما المخطط الثاني: فهو طولي تصطف فيه قاعات مستطيلة تمثل القاعة الأولى مركز الصدارة. وفي أحيان كثيرة كان يكتفى بقاعات ثلاث «البراني والوسطاني والجواني» وتعتبر بعض الحمامات الإسلامية من التحف المعمارية النادرة مثل حمام الخاسكي في مدينة استنبول وقد تميز مظهره الخارجي بأناقة بالغة وكان عددها يزداد بتقدم العصور الإسلامية، فقد كان في الفسطاط وحدها عام ٥٣٩ هجرية ألف وستمائة وسبعون حماما، كما أن حمامات بغداد بلغت في القرن الرابع للهجرة ستين ألف حمام، وأما عدد حمامات دمشق في القرن السادس للهجرة فقد بلغ اثنين وخمسين حماما □





تقدير عمر الأرض بين الأمس واليوم

بقلم: د. ماهر طه خليل

لقد خلص بعض كبار المفكرين على مدى القرون الثلاثة الماضية إلى تحديد عمر الأرض بنحو أربعة مليارات ونصف المليار من السنين، وقبل ذلك بقليل كان العلماء يحددون عمر كوكبنا الأرضي بنحو ثلاثة مليارات ونصف سنة فما هي حقيقة الأمر ياترى؟

إلى مثل هذه الأرقام حول عمر الأرض تستند كل نظريات علم البيولوجيا والتطور.. ولقد انهار تقديران سابقان لعمر الأرض سادا خلال السنوات المائة والخمسين الماضية، عندما تركت العلوم البيولوجية والجولوجية المجال لعلم الفيزياء الأكثر دقة.. وفي الحقيقة.. فإن المتتبع لأبحاث العلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم يجد أن الأمر لايعدو أن يكون مزاداً علنيا وتلاعباً بالملايين من السنين!!

تقديرات علماء الغرب

فلقد سقط التقدير الأول خلال القرن التاسع عشر عندما أجرى اللورد كلفن حسابات بدت في ذلك الوقت صحيحة، قائلا بأن الأرض لم تكن موجودة منذ الأزل، وإنما تشكلت منذ مائة مليون سنة، وقد أدى ذلك إلى استياء تشارلز داروين والجيولوجيين المعاصرين.. ولكن هذه الطريقة الميقاتية قد انهارت في مطلع القرن العشرين عندما ظهرت تقنية التأريخ الأشعاعي، التي بينت أن عمر الأرض يبلغ بضعة مليارات من السنين. وبعد جدل عنيف بين الجيولوجيين والفيزيائيين تغلب التأريخ الإشعاعي على كل الطرائق الأخرى لتحديد عمر الأرض ومن أهم مابينته المناظرات حول عمر الأرض هو أن العاطفة والاحساس والمصالح يمكنها أن توجه مسار العلوم بقدر مايوجهه المنطق والتجربة!!

ولقد كان كل من لومونوسوف وبوفون وحيدين في سعيهما الحذر والدقيق لتقدير عمر الأرض المطلق. وأخيراً توقف العلماء عن التفكير في هذه المسألة عندما لم يجدوا أمامهم سوى طريقين:

إما أن يتركوا كل شيء للخالق وإما أن يفترضوا وببساطة شديدة أن الأرض والكائنات الحية التي عليها كانت قد استغرقت زمنا طويلاً، لكي تصل إلى وضعها الحالي!!

إلى أن جاءت ميقاتية الأحقاب الجيولوجية التى حيرت الجميع وطرح (سميث) آراء في تحديد عمر الطبقات بناء على ماتحتويه من حفريات معروفة العمر نسبياً واستناداً إلى آراء جيمس هاتون في كتابه (نظرية الأرض) قام العلماء بتأريخ الطبقات وتقدير عدد الأحقاب الجيولوجية واختلفوا في ذلك اختلافا كبيراً.

ولقد اندهش علماء الطبيعة عندما قدر اللورد كلفن أن الأرض تشكلت منذ عشرين إلى أربعمائة مليون سنة معتقداً أن الأرض كانت منصهرة وأن سطحها تبرد وتصلب في حين بقيت نواتها حارة، ولاحظ أنه كلما نزل المرء إلى الأعماق في الأرض ارتفعت درجة الحرارة، وللتوصل إلى عمر الأرض حسب اللورد كلفن المدة اللازمة لكي تبرد الأرض من حالتها الأولية إلى وضعها الراهن، وافترض أن التقلص الجاذبي الذي أدي إلى تشكل الأرض هو الذي ولد حرارة الأرض كلها ثم حدد قابلية مادة الأرض لنقل الحرارة وقدر كمية الحرارة اللازمة لصهرها أو رفع درجة حراتها بمقدار معين!وبمرور الوقت حسَّن تقديره لعمر الأرض إلى مدة تقع مابين عشرين وأربعين مليون سنة!!

نقد نظرية كلفن

ولقد أثارت حسابات كلفن هذه حفيظة الجيولوجين باعتباره فيزيائيا

تطفل على حقل اختصاصهم، على أن حسابات كلفن قد بدت غير قابلة للنقد من حيث المنطق والفيزياء إلا أنه تبين فيما بعد أن استنتاجه كان بعيدا كل البعد عن الدقة.. فقد صدمت نتائجه البيولوجيين بنفس القدر الذي صدم الجيولوجيين فاعتبره داروين شبحا بغيضا!! وأضحت الميقاتية التي ابتدعها للأحقاب الجيولوجية واحدة من أكبر مشاكل علماء الطبيعة فقد افترض داروين وبيولوجيون أن الكائنات الحية المتعددة تحتاج إلى أكثر بكثير من أربعين مليون سنه لكي تتطور وتصل إلى هيئتها الراهنة!

ولكن مع هذا، هل قدمت الكائنات الحية والحفائر أساسا لحساب زمن التطور بصورة مستقلة؟ بالطبع لا.. ولذا كان لزاماً على التقويم البيولوجي أن يستند آخر المطاف إلى الجيولوجيا – ولقد هاجم هكسلي وداروين آراء اللورد كلفن ومثلت نظرتهما هذه الازدراء الذي أحس به الجيولوجيون تجاه العلوم الفيزيائية في أواخر العصر الفيكتوري، فلقد قال في خطابه الرئاسي للجمعية الجيولوجية بلندن ١٨٦٩م.

حساباتهما ووصفت نتائجها المستقلة التى قدرت الزمن بمائة مليون سنة حداً أعلى لعمر الأرض. وكذلك فعل فيلبس ابن أخ سميث وتلميذه، وادعى نفس الشيء ولكنها كانت نتائج تم التوصل اليها انطلاقا من معطيات نعلم الآن جيداً أنها غير دقيقة وتخص هذه المعطيات معدل تراكم الرسوبيات النهرية، وفي عام ١٨٦٨م درس كيكي مدير المساحة الجيولوجية باسكتلنده دلائل الحت واستنتج أن عمر الأرض لايمكن أن يفوق المائة مليون عام!!

تنقية جيولوجية لقياس عمر الأرض

وفي عام ١٨٩٩م ابتدع جون جولي من جامعة دبلن أول تنقية جيولوجية بحتة حديثة لقياس عمر الأرض من خلال قياس ملوحة البحار وتقدير كمية الأملاح الموجودة بها! مصحوبة بطبيعة الحال بافتراضات غير صحيحة تماما.. والحقيقة التى لامراء فيها أن جميع المحاولات لقياس عمر الأرض كانت

تستند دائما إما إلى افتراضات أو مقارنات أو في أفضل الحالات إلى تخمين لمعدل تغير العمليات الجيولوجية..

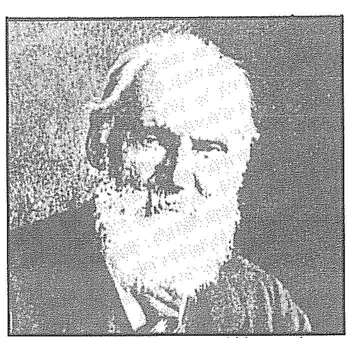
ولقد خلقت هذه الافتراضات مجالاً كبيراً للشك، فلقد افترض البعض بأن الأرض لم تكن في يوم من الايام منصهرة، في حين افترض البعض الأخر أن باطنها مازال منصهرا، وهو أمر لم يكن اللورد كلفن قد أخذه في الاعتبار أو الحسبان، وشك البعض في المعطيات الخاصة بالحت والترسيب والملوحة!!

وبحلول نهاية القرن التاسع عشر أبدى الجيولوجيون عدم ارتياحهم لتقنيات كلفن الفيزيائية وكانت له ثقة (لم يكن لها مبرر) بطرقهم تفوق ثقتهم بمجموعة الافتراضات التي استخدمها الفيزيائيون وعلى رأسهم الفيزيائي المرموق كلفن. وعلى الرغم من هذا، لم ينقض وقت طويل إلا وعاد الفيزيائيون إلى اختراق مجال الجيولوجين في تحديد عمر الأرض عن طريق دراسة النشاط الإشعاعي بناء على اكتشافات بكريل ١٨٩٦ والزوجان بير وماري كوري ١٨٩٨م.

لاينبغى أن يسمح لدقة العمليات الرياضية ان تفرض سلطانا غير مقبول بتاتا على النتائج، إذ لايمكن لصفحات من المعادلات الرياضية أن تستخلص نتيجة محددة من معطيات غير كاملة.

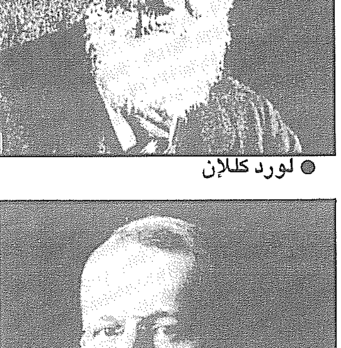
وحقيقة الأمر أن اللورد كلفن لم يكن واثقاً من صحة القيم التى استخدمها في حساباته!!

ولكن كلفن لم يتابع المعركة وحده، فقد حسب ● كل من الفلكي الأمريكي نيوكم، والفيزيائي الألماني فون هلمهولتز



● لورد كلفن

● إيرنست روثفود





آرثر هولمس



● برترام بولتوود

وخاصة بعد تفسير رذرفورد وسودي عملية النشاط الاشعاعي في عدد من البحوث المنشورة ١٩٠٢-١٩٠٣م شرحا فيه بحق أن هذا النشاط إنما يوافق التحول الذاتي لذرات عنصر كيميائي معين إلى ذرات عنصر آخر. وكانت أشعة ألفا وبيتا وجاما أكثر أهمية من العناصر المختلفة ذاتها لأغراض التأريخ الجيولوجي، وفي عام ١٩٠٣م كان داروين وجولى أول من ادعيا أن النشاط الاشعاعي سبب جزئي

على الأقل لحرارة الأرض والشمس، ولكن هل تحوي الارض كميات كافية من المواد المشعة لتسبب فرقا قابلا للقياس؟

ولكن سرعان ماتأكد الجيولوجيون بأن النشاط الإشعاعي واسع الانتشار، ووجد (سترت) من الكلية الأمبراطورية في لندن بأن كمية الراديوم الموجودة فيها كبيرة جداً، الأمر الذي يجعل من غير الممكن توزيعها توزيعا متجانساً على الكرة الأرضية كلها (دون أخذ إسهام العناصر المشعة الأخرى بعين الاعتبار) إذ أن ماوجده من الراديوم قادر بمفرده على تبريد كل حرارة الأرض الجوفية وأشار إلى ماوصل إلى أن التاريخ الجيولوجي يمكن أن يمتد إلى زمن غير محدود، فلم يجد أثرا لتبرد ولابادرة للتوصل إلى عمر محدد!

وتضاربت مشاعر كلفن، وقد اعترف بصفة غير رسمية بأن تقديراته قد تجاوزها الزمن ولكنه كان يتابع الجدل في المحافل العامة، وكانت نقاشاتهم أشبه ماتكون بحلقات المزاد العلني ولكنه مزاد علمي علني عملته ملايين السنين.

التأريخ الإشعاعي للصخور

وتطورت تقنية التأريخ لعمر الأرض عن طريق التأريخ الاشعاعي للصخور انطلاقا من دراسة العناصر المشعة وسلاسل تفككها ولقد كان (رذرفورد وبولتورد) رائدين في هذا المجال، فلقد تمكن رذرفورد من تحديد عمر العينة الصخرية من خلال محتواها من الهيليوم وكان رذرفورد يفتخر بامتلاك عينة من الفركوسونايت عمرها ٤٠ مليون سنة ولقد اعترف بولتوود أن الفضل يرجع لرذرفورد في إقتراح الرصاص لتحديد العمر المطلق للصخور القديمة ولكن الكيميائي بولتوود هو الذي بين إمكانية

اختلفت تقديرات عمر الأرض لاختلاف وسائل القياس العلمي والنظريات الافتراضية

استخدامها.

وبانتهاء عام ١٩٠٥م كان قد حدد أعماراً تتراوح مابين ٩٢، ٥٧٠ مليون سنة ولستة وعشرين من المعادن المختلفة ولكن لحسن الحظ فإن هذه التقنية الحديثة وماترتب عليها من نتائج لم تنشر وذلك لأن نسبة الراديوم إلى اليورانيوم التى استعملها بولتوود لم تكن دقيقة، وعلى الرغم من هذا فقد كانت النتائج التي توصل إليها فيما بعد مدهشة إذ بينت أن عمر الأرض يبلغ مليار سنة تقريباً!! ومن الغريب أن هذا الإنجاز الهائل قوبل بعدم الاكتراث، فعلى الرغم من أن بحث بولتوود ظهر في مجلة أمريكية(الجيولوجية الأولى، فإن نتيجة بولتوود لم تثن الجيولوجيين عن رأيهم بإن دلالة الطريقة الاشعاعية مبالغ فيها.

تفيد التقنيات الراهنة أن أقدم الصخور على الأرض تشكلت منذ فترة تقدر بـ٣,٨ مليار سنة خلت

وجاء اكتشاف النظائر المشعة من ناحية واكتشاف القوانين الفيزيائية التي تحدد نواتج تفكك كل عنصر من العناصر المشعة المختلفة من ناحية أخرى لتهاجم كل من يقول بالنشاط الإشعاعي أمثال (هولمز وسترت)، فلقد جعلت هذه الإكتشافات التأريخ بالعناصر المشعة يبدو أكثر صعوبة وغير أهل للثقة في أعين الكثير من علماء الأرض.

وهكذا ففي خلال العقود الستة الماضية، إزداد حذق الجيولوجيين في تطبيق طريقة التأريخ بالرصاص أكثر وأكثر، وتفيد التقنيات الراهنة أن أقدم الصخور على الأرض تشكلت منذ فترة تقدر بـ ٣,٨ مليار سنة خلت. وهذا يؤرخ بالطبع أدنى عمر للقشرة الأرضية العلوية، ولكن لايؤرخ بالضرورة الحقبة التى تكثفت خلالها السحابة اللولبية من الغاز والغبار السديمي لتشكل النظام الشمسي.

وقد حدد باترسون من معهد كاليفورنيا للتقنية وزملاؤه عام ١٩٥٥ عمر النظام الشمسي بتأريخ النيازك.

وتعطى أحدث القياسات التي أجريت على النيازك عمراً للأرض الأولية يبلغ ٤.٥ مليار سنة. فيا ترى هل أغلق الباب في هذا المزاد العلمي العلني أم مازال مفتوحا لكل جديد؟

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار



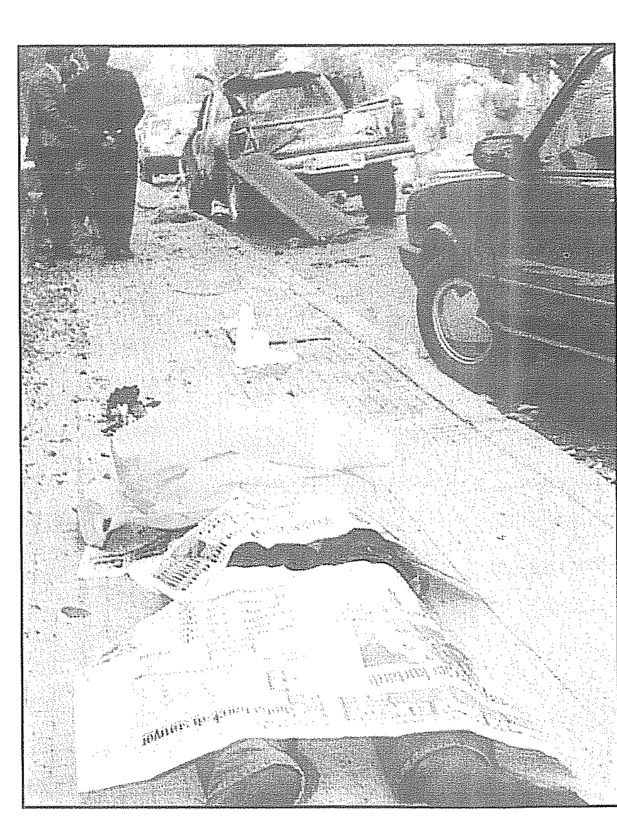
بقلم: نور الدين بلبيل

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس، والأمراض المفضية إلى الموت الناتجة عن الزنا والفاحشة كالسيدا «الأيدز»، أو قضايا التمييز العنصري، والخطر النووي، وعواقب الصناعات الكيمياوية على الإنسان والطبيعة؟

بادئ ذي بدء، أنبه إلى ضرورة اعتبار ما جاء في هذه المقالة بمثابة تصور إعلامي - وليس اجتهادا مفتيا، لأني إذا كنت أمتلك أدوات الدول «أي الإعلامي»، فإنني أفتقر إلى الشرط الثاني «أي المفتي». وبذلك فإنني سأتقبل عن طيب خاطر، كل تصويب أو إضافة، أو تنبيه، أو إحالة.

إذا كانت المواضيع المذكورة في الاستهلال، قد بحثت بشكل ملفت للانتباه في البلدان الغربية، فإنه على نقيض ذلك لم يتم بعد الاهتمام بتلك المسائل في البلدان الإسلامية، ويمكن تعليل ذلك بالغياب شبه الكامل للمراجع والمستندات في هذا الشأن.

إن الإعلام الإسلامي يهدف من بين ما يهدف إلى بعث نموذج «المعالجة المعبرة» إسوة بالقصص القرآني أو القصص النبوي، وبذلك يتميز عن النماذج الإعلامية الأخرى، وفي مقدمتها النموذج الغربي الذي يعرف النصوص الإعلامية في تفاصيل وصفية إما تخدش الحياء، أو تؤدي إلى تعويم القضية الأساسية، وفي أحيان أخرى تستخدم كل أساليب التعبير المتاحة لتحقيق الغرض التجاري.



تلفاز اليوم يحتوي على أفلام ومسلسلات مليئة بالجرائم والقتل والعنف والإرهاب

أخبار الجريمة

تعاني المجتمعات اليوم من الجريمة التي تأخذ مع كل فجر جديد أبعاداً جديدة، وتفيد أبحاث علمية بأن المشكلات الاجتماعية والنفسية، ومواد وسائل الإعلام الحديثة تنهض بأدوار ذات بال في التحفيز لارتكاب الجرائم.

إن تجريم وسائل الإعلام والاتصال أضحى متداولا على نطاق واسع، فهذا أحد مفتشي الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية يعترف قائلا: لاتوجد أية جريمة قتل جنسية في تاريخ إدارتنا إلا وكان القاتل فيها قارئاً للمجلات الجنسية والكتب الداعرة».

واستناداً إلى دراسة سويدية قامت بها السيدة «اينغاسونيسون» الباحثة في الإعلام في جامعة «كوند» التي نشرت نتائجها في كتاب تحت عنوان: «من يربي أطفالنا؟! «الفيديو أم نحن». فإن «الأطفال الذين بلغوا سن التاسعة إلى العاشرة من عمرهم يكونون قد شاهدوا سلسلة «الهولوكوست» التي تقدم صور الكوارث والعنف والانفجارات، أصيبوا بالهلع وهم يرون الأطفال يموتون داخل غرف الغاز حيث يعدونها أحداثا حقيقية وواقعية».

وقد عبرت فتاة في السادسة من عمرها بكل عفوية قائلة: «الأمر مزعج عندما يطلقون النار، إني أخاف أن يخرجوا علي من شاشة «التلفاز».

ومن النتائج التي توصلت إليها – السيدة سونيسون – أن الأطفال الذين يتراوح معدل مشاهدتهم للشاشة ٣٠ إلى ٣٥ ساعة في الأسبوع يرفع خطر تطور السلوك العدواني عندهم».

وللأسباب ذاتها، دعت الحكومة الهولندية قنوات «التلفاز» ومنتجي أفلام «الفيديو» إلى الحد من صور العنف بجميع أشكاله في البرامج الموجهة إلى الأطفال والشباب.

لكن هذا النداء. أثار سخط المنتجين وصانعي الأفلام بحيث أكدوا أن هذا الأمر لا يخصهم بل يخص الآباء والأولياء فهؤلاء هم الذين يراقبون ويسهرون على أطفالهم.

وبشأن تعامل الصحافة الأمريكية المكتوبة مع أخبار الجرائم يوضح كتاب «الصحفي المحترف» أنه هناك اتجاهان متطرفان في الصحافة الأمريكية بالنسبة لنشر أخبار الجرائم والمحاكم.

فالصحف التجارية تنشر أخبار الجرائم لأنها بذلك «تبيع أعدادا منها»، أما الصحف الوقورة التي لاتعتمد على الإثارة بأي شكل لتكتسب تأييد القراء فتكون متأكدة من أنها تنشر هذه الأخبار كلما كان ذلك ممكنا وتبدو وكأنها فخورة بما تفعل وفي الحالتين يظل القراء بعيدين عن أخذ صورة واضحة عن مشكلة الجرم.

ونقرأ في المؤلف نفسه ما يلي: «إن أخبار الجرائم والعقوبات تشكل عنصرا أساسيا في الصحافة الأمريكية، وأيضا الغربية، كثير من المراسلين يحررون هذه الأخبار تحريرا حسنا بغض النظر عما إذا كانوا يحبون تحريرها أم لا، وذلك بالنظر لكونهما جزءاً من تدريباتهم الأولى على المهنة وغالبا ماتكتب بشكل مألوف. أما ماذا تصنع الصحف بمثل هذه الأخبار فأمر آخر، فالدوافع غالبا ما تكون غير واضحة سواء للذين ينشرون هذه الأخبار، أو أولئك الذين يمتنعون عن نشرها».

ويمكن القول بأن الصحافة الأمريكية كانت القدوة السيئة للصحافة العالمية في هذا الميدان الشائك فبتأثيرها سارت الصحافة في كثير من بلاد العالم في هذا الطريق المحفوف بالأخطار(١) لقد أعلنت إحدى اللجان الأمريكية التي أنشئت بغرض بحث دوافع العنف وسبل الاحتياط منه، بأن مشاهدة البرامج المتضمنة للقطات العنف، من شأنها تحريض المشاهد لكي يتخذ موقفا عدوانيا.

وبعد إنكباب دام ستة عشرشهرا حول هذه المشكلة، حذرت مؤسسة مختصة من كون العرض المتكرر للعنف بالتلفزة يمكنه أن يجعل الأطفال أكثر عنفا، وغير مبالين بالرعب من العنف في الحياة الحقيقية.

إنه بمجرد مشاهدة لقطات العنف في «التلفزة»، يمكن أن يحدث ذلك مواقف وقيما وسلوكا أكثر عدوانية، ولاسيما لدى الأطفال(٢).

ومن المثير للانتباه، أن «التلفاز» اليوم يحتوي على أفلام ومسلسلات مليئة بالجرائم والقتل والعنف والإرهاب والتمثيل بالجثث والانتقام البشع والعدوان الشنيع وغيرها من المشاهد المنافية للقيم والمعايير الاجتماعية والأخلاقية. ولا شك في أن مثل هذا العرض المستمر لمثل هذه الأفلام قد يؤدي إلى تكوين شخصيات منحرفة ذات قيم معادية للمجتمع(٣).

وتؤكد مصادر إعلامية أمريكية أن عرض عمليات القتل والعنف وغيرهما في مقالاتها في الصفحات الأولى من الجرائد. وعبر الصور المنشورة تحت عناوين عريضة، هي التي كانت السبب في نشوء إحساس لدى بعض الأشخاص بأن الجرائد تمجد النشاطات العنيفة، وتجعل من المجرمين أبطالا حقيقيين. كما احتجوا ضد القطاعات التي بدأت تغزو بعض الرسومات المتحركة، وكذلك ضد المكانة التي تمنحها بعض الصحف للجرائم الصغيرة.

تشير مصادر أخرى بأن العنف يعتبر في سلوك الأمريكي أحد الوسائل المثلى لفض الخلافات، وأن السلاح الناري في ذاك البلد قد قتل ١٠٧٢٨ شخصا عام ١٩٧٩، في حين لم يؤد في كندا إلا إلى قتل ٥٢ شخصا، و٤٨ في اليابان و٨ فقط في بريطانيا. وقد لاحظ السيد «هاري اندرسون» في مقالة نشرها عام ١٩٨٢م في صحيفة The Press، أن الولايات المتحدة الأمريكية بلد أكثر عنفا مما يمكن تصوره.

وأمام الارتفاع المضطرد لنسب العنف والإجرام، اعتبرت انتقادات عديدة في «التلفزة» أحد الأسباب المحتملة.

وإن اغتيال الرئيس «جون

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس؟

كندي» و«السيناتور روبرت كيندي» و«مارتن لوثر كينغ». قد أدت كل هذه الاغتيالات إلى تركيز الاهتمام على سلوك الأمريكيين المتسم بالعنف، وقد انتقد مجلس الشيوخ الأمريكي «البرامج التلفازية لكونها تقدم جرعات كثيفة من الأحداث التي تحتوي على العنف والإرهاب والانحراف».

> النشاط الفني القصصي في منطق الإسلام له وظيفة وله رسالة وله هدف

الإعلام الإسلامي وأخبار الجرائم والعنف

إن الإعلام الإسلامي يمكنه عرض ومعالجة أخبار وقصص الجريمة والعنف، على أن تكون العبرة فيه. ليس بتفصيل وقائع الجريمة، وإبراز الحيل المعتمدة في ذلك، لكن بإبراز عواقب القتل على مرتكبه وعلى محيطة وعائلته وعلى الروابط الاجتماعية.

يقول السيد قطب «لقد كثر مجيء النهي عن القتل في القرآن الكريم، فالمجتمع الذي تشيع فيه المقاتل والثارات مجتمع مهدد بالدمار، ومن ثم يجعل الإسلام العقوبة من أقسى العقوبات لأنه يريد حماية المجتمع من عوامل الدمار وانطلاق كل فرد منه ليعمل وينتج في طمأنينة آمنا على حياته لا يؤذى فيها إلا بالحق الذي بينه الله في شريعته ولم يتركه للتقدير والتأويل».

وإن القصص في الإعلام الإسلامي يجب أن يلتزم بالغرض الديني، كما هو الشأن في القصص القرآني أو القصص في الحديث النبوي الشريف.

وأعني بذلك الاكتفاء في عرض القصة بما يحقق الغرض الديني المراد، بحيث يقتصر العرض لأحداث القصة ومواقفها على ما يؤدي إلى الأثر المنشود، فتختار المواقف الكفيلة بإيجاد التأثير المعين، وعند ذلك يتوقف العرض القصصي، حيث تحقق المراد، ولا داعي بعد ذلك للمضي في سرد أحداث ووقائع من شأنها أن تطيل العرض(٣).

وعن أسلوب القصص يقول الشيخ محمد الغزالي: «إن القصص من أنجع الطرق التي أتبعها القرآن الكريم في تأديب النفس وسياسة الجماعات، والمحاورات النابضة، هي معالم خالدة لضبط الحقيقة وتوليد العبرة منها».

فهناك معالم قرآنية حول نظرة الإسلام إلى الجريمة وعواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع والتوجيهات الربانية لمحاربتها وتقبيحها وترهيب المعتدين حتى يقلعوا عن ارتكابها فتخف حدتها وتقل آثارها السيئة على المجتمع(١).

لقد قص علينا القرآن الكريم نبأ أول جريمة قتل متعمد وقعت في الوجود في أسلوب حي من غير تزييف أو تشويه أو إطناب مخل يختتم بعبرة تتضمن حقيقة أبدية: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾ [المائدة:٣٢].

وهناك آيات كثيرة تحرم قتل النفس بغير حق، إذ يجب أن تكون منارات توجه الإعلام الإسلامي في حالة معالجته لموضوعات تتعلق بجريمة القتل:

- ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران/٢١].
- ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما﴾ [النساء/٩٣].
- ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق﴾ [الأنعام/١٥١].
- ﴿قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس﴾ [الكهف/٧٤].
- ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سَفَهًا بغير علم﴾ [الأنعام/١٤٠].
- ﴿وإذا الموؤدة سُئلت. بأي ذنب قُتلتْ﴾ [التكوير/٨و٩].

على ضوء هذه الآيات يجب على الإعلام الإسلامي أن يسهم بقوة في نبذ القتل بغير حق، وعليه أن يدعو الناس إلى ضبط أنفسهم – وتأمل مصيرهم، وتذكرهم عند كل حالة قتل.

واسترشادا بهذه المعالم القرآنية الكريمة نخرج بنتيجة واضحة مؤكدة وهي أنه يمكن للصحافة «النظيفة» أن تقدم أخبار الجريمة على صفحاتها للقراء – كلما تطلب الأمر ذلك دون أي حرج مترسمة في ذلك خطى القرآن الكريم الذي أورد هذه المعالم بين دفتيه، لتقبيح الجريمة، وردع المجرمين، فلو كان الإسلام يمنع الحديث عن هذه الأمور، ويحض على تجنب الخوض فيها، لما وردت في قرآن

كريـم يتلى ويُتَعَبَّدُ بـه، والقرآن هو المنبـع الصافي والسراج المنير الهادي لكل من يـريد السير على النهـج السليـم، والصراط المستقيم(١).

إذا كانت الطرق التي تعتمدها وسائل الإعلام في معالجتها للقضايا الجارية، والحلول التي تقترحها، يقلدها الناس بدرجات متفاوتة، وفي أحيان أخرى هناك من يعتبرها حلولاً مثلى، تعبر حقيقة عن روح العصر.

ولـذلك فإن النشـاط الفني القصصي في منطق الإسلام لـه وظيفة ولـه رسالـة وله هـدف، بحكم أن هذا النشاط الفني هو جزء من نشاط الإنسان المسلم، وهذا الإنسان بحكم إسلاميته، صادر في محل نشاطاته مهما اختلفت مجالاتها عن تصور إسلامي خاص يجعله يعبر تلقائيا وبلا أدنى ضغط خارجي وفق قيم الإسلام ورآه شكلا ومضمونا(٣).

الطرق السليمة في معالجة أخبار الجريمة

يقع الصحفيون المبتدئون في أخطاء مهنية عند معالجتهم لعدد من أخبار الجرائم والعنف، إذ يقدمون في أحيان كثيرة فرضيات وخلاصات لا تعبر حقيقة عن طبيعة الأحداث وأسبابها.

ومما لا شك فيه أن المراسل المنفعل ربما يكون في عجالة من أمره فيصف حادثا ما بأنه انتحار أو قتل في الوقت الذي يكون فيه حادثا عاديا، وعلى هذا الأساس، فإنه ينصح المراسلين والصحفيين أن ينقلوا ما يعرفونه فقط، وأن يتركوا الشائعات إذا لم يتوفر أمامهم تقرير عن تشريح الجثة أو أي تصريح من مسؤول(٤).

وحادث الانتحار الواضح واحد من أصعب أخبار الجريمة تحريراً. وإذا ما تضمن تقرير الشرطة أن رجلا قد وجد قتيلا برصاصة في صدغه الأيمن كما أن مسدسا قد وجد في يده اليمنى أو بالقرب منها، فمن الضروري أن يكتب الخبر تماما كما جاء في التقرير، وإذا وجد «البوليس» أن شخصا ما قد «سقط» قتيلا فلا يجوز للمراسل أن يتجاوز الحقائق بل عليه أن يستعمل ذات التعبير في خبره، وإذا وجدت إمرأة قتيلة في فراشها وإلى جانبها زجاجة من الأقراص المنومة يجب على المراسل ألاّ يستنتج أي شيء من عنده(٤).

وفي مثل هذه الحالات الشديدة التعقيد، من الأكثر فائدة والأجدى ألا يندفع الصحفي لتقديم أسباب ودوافع الجريمة، لأن المظهر الساطع للأحداث قد خفي في ثناياه الأسباب الحقيقية والفعلية التي يصعب معرفتها من خلال الاتصال الأولي بالواقع.

وضع الدكتور محمد فريد محمود عزت في مؤلفه بعنوان «بحوث في الإعلام الإسلامي» عددا من القواعد التي من شأنها ترشيد وضبط كيفيات نشر أخبار الجريمة في الصحافة التي يطلق عليها صفة «النظيفة» ومن هذه القواعد أو النصائح.

أولا: ينبغي على الصحافة «النظيفة» أن تقف إلى جانب المجتمع في الحق وأن تكون ضد الإجرام، وتثير الكراهية ضد المجرمين وتُقبح أعمالهم، وتبدي احتقارها لهم، وتنفر الناس منهم، وتحض على تجنب الإجرام، وتكوين رأي عام راشد ضده، ذلك أن الإجرام في ذاته عمل عدواني على المجتمع.

ثانيا: على الصحافة «النظيفة» أن تراعي الدقة في عرض أخبار الجريمة وتتجنب التهويل والمبالغة بقصد إثارة القراء، والجري وراء تحقيق الربح المادي على أن تشفع الخبر ببيان أسباب الجريمة، وعلاجها دون أن تخوض في التفصيلات الدقيقة للحادثة التي لا لزوم لها، وكذلك تجنب التعليق على الخبر بما يؤذي الأخلاق العامة أو يحرج الإحساس والحياء، أي أن تلتزم الصحافة «النظيفة» في كتابة أخبار الجريمة جانب الواقعية ولا تحاول أن تبتعد بالقارىء عن مركز الجريمة، أو تغرق القصة الخبرية في بحر من التفاصيل المثيرة والتي لا يمكن أن يؤثر عدم نشرها على جوهر الموضوع.

ثالثا: يجب أن تحرص الصحافة «النظيفة» عند كتابة أخبار الجريمة على الألفاظ غيرالنابية وأن يكتفى في بعض الحالات بالتلميح دون التصريح حتى لا تخدش أذن القارىء ولا تعوده الاستهتار في انتقاء ألفاظه.

رابعا: يجب على الصحافة «النظيفة» عدم ذكر الأسماء والعناوين في أخبار الجريمة التي تنشرها ويمكن الاكتفاء بالأحرف الأولى منها، إلا في الحالات التي يتحتم فيها نشر الأسماء والوظائف. الخ.

خامسا: يجب على الصحافة «النظيفة» ألا تنشر أخبار الجريمة على الصفحة الأولى بالعناوين الضخمة بعرض الصفحة «المانشيت»، أو في الأماكن البارزة في الصحيفة إلا إذا كانت الجريمة لها أهمية عامة وفي مستوى النبأ.

سادسا: يجب على الصحافة أن تمتنع تماما عن تمجيد المجرمين فلا تظهرهم بمظهر الأبطال الذين حيروا رجال الأمن.

سابعا: على الصحافة «النظيفة» فيما تقدمه من أخبار الجريمة أن تحذر التدخل في عمل القضاء إذا كانت الجريمة معروضة أمامه، إلا إذا وثقت من أنها تكشف عن جوانب ربما خفيت عن القضاء على ألا يؤثر ذلك في سير العدالة سواء من ناحية الشهود والمحامين والقضاء. الخ.

وفي نفس النسق من الأفكار تدعو المادة الثالثة من ميثاق جاكرتا الأول للإعلام الإسلامي إلى: «الامتناع عن إذاعة ونشر كل ما يمس الآداب أو يوحي بالانحلال الخلقي أو يرغب في الجريمة والعنف والانتحار، أو يبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر□

[يتبع ٢/٢]

الهوامش:

(١) د. محمد فريد محمود عزت، بحوث في الإعلام الإسلامي، دار الشروق. جدة، ط١، سنة ١٩٨٣.

(٢) Autews -Medias -Warren K. Agee - Ahillip H. Ault Ed-di-ضgene -winemy tion Tiaduit de La-mecai par ame Swvضtre -١٩٨٩م.

(٣) محمد بن حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، «دراسة فنية وموضوعية» المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(٤) جون هو هنبرغ، الصحفي المحترف، ترجمة فؤاد مويساني المؤسسة الأهلية، بيروت.

موقف الإسلام من الهجران في الحياة الزوجية

بقلم:
د. نزيه حماد

للهجران في الحياة الزوجية صورتان: إحداهما: هجر المرأة لفراش زوجها. والثانية هجر الرجل لزوجته في المضجع.

هجر المرأة لزوجها

فأمّا الأولى: وهي هجر المرأة فراش زوجها، فلا خلاف بين الفقهاء في تحريم هجر المرأة فراش زوجها لغير عذر شرعي. قال النووي: وليس الحيض بعذر في الامتناع، لأن له حقاً في الاستمتاع بما فوق الإزار(١).

وحجتهم على ذلك ماروى البخاري ومسلم وأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح»(٢). وفي رواية: «حتى ترجع».

ومعنى الحديث: أنّ اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أوبتوبتها ورجوعها إلى الفراش(٣).

وقال ابن أبي جمرة: الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع، ويقويه قوله ﷺ: «الولد للفراش» أي لمن يطأ في الفراش، والكناية عن الأشياء التي يُستحيى منها كثيرة في الكتاب والسنة. قال: وظاهر الحديث أختصاص اللعن بما إذا وقع منها ليلاً، لقوله: «حتى تصبح» وكأن السر تأكُّد ذلك الشأن في الليل وقوة الباعث عليه، ولايلزم من ذلك أنه يجوز لها الامتناع في النهار، وإنما خص الليل بالذكر، لأنه مظنة ذلك(٤).

ومما يؤكد عموم النهي عن الامتناع بغير حق في كل الأوقات ماروى أحمد في مسنده عن أبي هريرةرضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لاتهجر امرأة فراش زوجها إلا لعنتها ملائكة الله عز وجل»(٥).

ولايخفى أن هجر المرأة فراش زوجها لغير سبب شرعي يعد نشوزاً ومعصية وكبيرة من كبائر الإثم، لما ثبت فيه من الوعيد الشديد كلعن الملائكة، وما ورد عن النبي ﷺ من عدم قبول صلاة المرأة التي يسخط عليها زوجها حتى يرضى(٦).

هجر الزوج لزوجته

وأما الصورة الثانية وهي هجر الرجل لزوجته في المضجع، فقد ثبتت مشروعية هجر الرجال لنسائهن في المضاجع عند نشوزهن في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ [النساء: ٣٤].

والخوف هو عبارة عن حال يحصل في القلب عند ظن حدوث أمر مكروه في المستقبل(٧) وأما نشوز المرأة فأراد به معصية الزوج فيما يلزمها من طاعته. قاله ابن عباس وعطاء والسدي. وأصل النشوزمن المرأة: الترفع على الزوج بمخالفته. مأخوذ من نشز الأرض، وهو الموضع المرتفع منها(٨) وقد ذكر العلماء أن النشوز قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل، فأما وقوعه بالقول، فمثل مالإذا كانت تلبيه إذا دعاها وتخضع له بالقول إذا خاطبها، ثم تغيرت. وأمابالفعل، فمثل ما إذا كانت تقوم إليه إذا دخل عليها، أو كانت تسارع إلى تحقيق رغبته وتبادر إليه باستبشار إذا التمسها ثم تغيرت عن ذلك فتلك أمارات تدل على نشوزها وعصيانها(٩).

أقوال العلماء في (النشوز)

قال الإمام الشافعي: وأشبه ماسمعت في الآية أن لخوف النشور دلائل، فإذا قامت فعظوهن، لأن العظة مباحة. فإن لججن فأظهرت نشوزاً بقول أو فعل فاهجروهن في المضاجع. فإن أقمن على ذلك

فاضربوهن. وذلك بيّن أنه لاتجوزُ هجرةٌ في المضجع – وهو منهي عنها – ولاضرب إلا بقول أو فعل أو بهما.

ثم قال: ويهجرها في المضجع حتى ترجع عن النشوز، ولايجاوز بها في هجره الكلام ثلاثاً، لأن الله عز وجل أباح الهجرة في المضجع، والهجرة في المضجع تكون بغير هجرة كلام، ونهى رسول الله ﷺ أن يجاوز بالهجر في الكلام ثلاثاً(١٠).

وعلى ذلك نص الحنابلة وغيرهم(١١).

قال الفخر الرازي: إنه تعالى ابتدأ بالوعظ، ثم ترقّى منه إلى الهجران في المضاجع، ثم ترقى منه إلى الضرب، وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق(١٢).

ولايخفي أن الغاية الشرعية من وضع هذه الوسائل بيد الزوج عند نشوز زوجته إنما هي تهذيبها وإصلاح حالها وحملها على ترك ذلك العصيان، لرأب الصدع وإصلاح الخلل في الحياة الزوجية، ولابد أن يكون قصد الرجل في استعمال هذا الحق موافقاً لقصد الشارع عز وجل في منحه له، وضمن الغاية الشرعية التي استهدفها المولى عز وجل من استعماله.

فإذا ابتغى بفعله غير ذلك، أصبح فعله تعسفياً غير مشروع، لانحرافه في ممارسة هذا الحق عن الغاية التي شرع من أجلها، وذلك كما إذا أراد به الإنتقام، أو التعبير عن كراهيته، أو ابتغى به الحمل على معصية، أو إكراه الزوجة على ملايحل له أكراهها عليه، ومثل ذلك مالوغلب على ظنه عدم جدوى استعمال بعض تلك الوسائل المذكورة في الآية الكريمة وعدم إفضائها إلى تحقيق الثمرة المرجوة منها، لأن استعمالها حينئذ يصبح ضرباً من العبث أو الإضرار الذي لاطائل تحته، وذلك مخالف لمقصد الشارع الحكيم من تشريعها(١٣) وفي ذلك يقول صاحب «منح الجليل» من أئمة المالكية: «إذا تحقق الزوج، أو ظن عدم إفادة الضرب، أوشك فيها، فلا يضربها، لأنها وسيلة إلى إصلاح حالها، والوسيلة لاتشرع عند ظن عدم ترتيب المقصود عليها»(١٤).

أقوال الفقهاء في (الهجر)

بعد هذا، تجدر الإشارة إلى أن الفقهاء، اختلفوا في معنى الهجر في المضاجع المذكور في قوله تعالى ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ على خمسة أقوال:

(أحدها) هجر الكلام. وهو قول ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدي.

(والثاني) أن يوليها ظهره في فراشه. روى ذلك عن ابن عباس أيضا.

(والثالث) ألا يجمعها واياه فراش ولاوطء. وهذا قول الشعبي وقتادة والحسن البصري، ورواه أبن وهب وابن القاسم عن الإمام مالك، وغيرهم.

(والرابع) أن يكلمها ويجامعها، ولكن يغلظ لها في القول. من الهجر، وهو القبيح من القول وهو رأي سفيان وابن عيينة.

(والخامس) شدوهن وثاقاً في بيوتهن. من هجر البعير، أي ربطه بالهجار، وهو حبل يشد به البعير. وهو اختيار الطبري. وقد شنع عليه فيه القاضي ابن العربي وقال: يالها من هفوة من عالم بالقرآن والسنة. وقال ابن حجر الهيثمي: وهذا القول في غاية البعد والشذوذ. وقال الزمخشري: وهذا من تفسير الثقلاء(١٥). وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين□

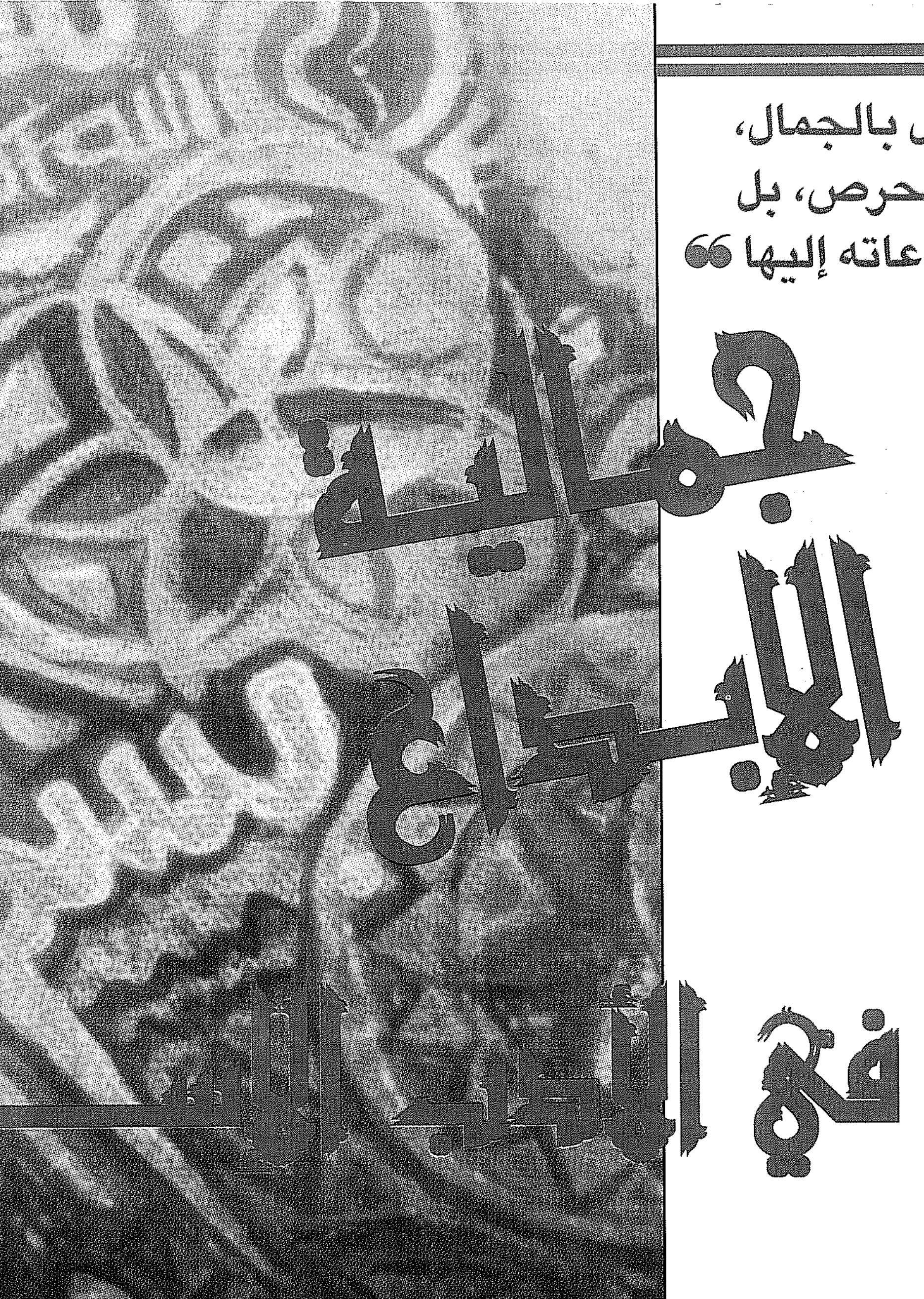
■ لايخفى أن هجر المرأة فراش زوجها لغير سبب شرعي يعد نشوزاً ومعصية وكبيرة من كبائر الإثم

■ لا يجوز للرجل التعسف في استعمال حقوقه على امرأته، فإن فعل فهو آثم

الهوامش:

١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/٧.
٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ٩/٢٩٤، صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/٧، مسند الإمام أحمد ٢/٥١٩، ٥٣٨.
٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/٨.
٤) فتح الباري ٩/٢٩٤.
٥) مسند أحمد ٢/٣٤٨.
٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٢/٤٧ ومابعدها.
٧) تفسير الرازي ١٠/٨٩.
٨) أحكام القرآن للجصاص ٣/١٤٩، بدائع الصنائع للكاساني ٢/٣٣٤، المغني لابن قدامة ٧/٤٦.
٩) تفسير الفخر الرازي ١٠/٨٩.
١٠) الأم للشافعي ٥/١٧٦، وانظر ٥/١٠٠.
١١) غذاء الألباب للسفاريني ٢/٤٠٢.
١٢) تفسير الرازي ١٠/٩٠.
١٣) نظرية التعسف في استعمال الحق للدكتور فتحي الدريني ص ٢٥٥و٢٥٦.
١٤) منح الجليل ٢/١٧٦، ويقول العزبن عبد السلام« كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده باطل» قواعد الأحكام ١/١٠٢.
١٥) الكشاف للزمخشري ١/٢٦٦، أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٢٠، الزواجر للهيتمي ٢/٤٦، أحكام القرآن للجصاص ٣/١٥٠، بدائع الصنائع ٢/٣٣٤.

الأدب الإسلامي موكل بالجمال، يحرص عليها أشد الحرص، بل ينميها ويضيف إبداعاته إليها



فطر الله الناس على محبة الجمال ولذا وعى الناقد والفيلسوف اليوناني «أفلاطون» أهمية الجمال في الحياة فقال: إن الجمال قيمة لاغنى عنها، تقديرها ضروري للحياة الخيرة، ولكن لايمكن فصلها عن قيمتي الخير والحق(١).

القرآن الكريم يشجع الحس البشري للجمال

فالجمالية كما يقول جونسن: بمعناها الواسع تفيدك محبة الجمال.. ولاشك فإن الإنسان خلق محبا للجمال، وقد ورد في الأثر عن الرسولﷺ(٢): «إن الله جميل يحب الجمال».. والقرآن الكريم يوجه الحس البشري للجمال في كل شيء، وهذا ماحمل لغويينا القدامى (كابن منظور والزبيدي) وغيرهما عبر تاريخنا اللغوي الطويل، يرجعون وهم يعاينون مفردات الجمالية في اللغة العربية، أو أية مفردة أخرى إلى كتاب الله، لكي يستمدوا منه الأشارة والشاهد، فإنه يسعى لتحريك الحواس المتبلدة، لتنفعل بالحياة في أعماقها، وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء والأحياء..

وهنا يلتقي الفن بالدين، والفن الصحيح، هو الذي يهيء اللقاء الكامل بين الجمال والحق، إذ الجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها حقائق الوجود(٣).

والأدب الإسلامي موكل بالجمال، فليس مجانبا للقيم الفنية الجمالية، يحرص عليها أشد الحرص، بل ينميها ويضيف إبداعاته إليها، والتراث الجمالي العالمي ملكية شائعة كالدين، والفلسفة، والعلوم، لايحتكرها شعب دون آخر، كما أن كلمات الصدق والشجاعة والورع والإيمان إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية (الجمالية) التي يشعها البناء الفني، أصبحت مجرد كلمات مملة لاتوحي بشيء.. إذن فالأدب الإسلامي، ليس قواعد جامدة، أو صنيعا معزولا عن الحياة والواقع، أو خطبا وعظية تثقلها النصوص، والأحكام، ولكنه صور جميلة نامية متطورة، تتزين بما يزيدها جمالا وجلالا(٤).

الأدب الإسلامي والجمال

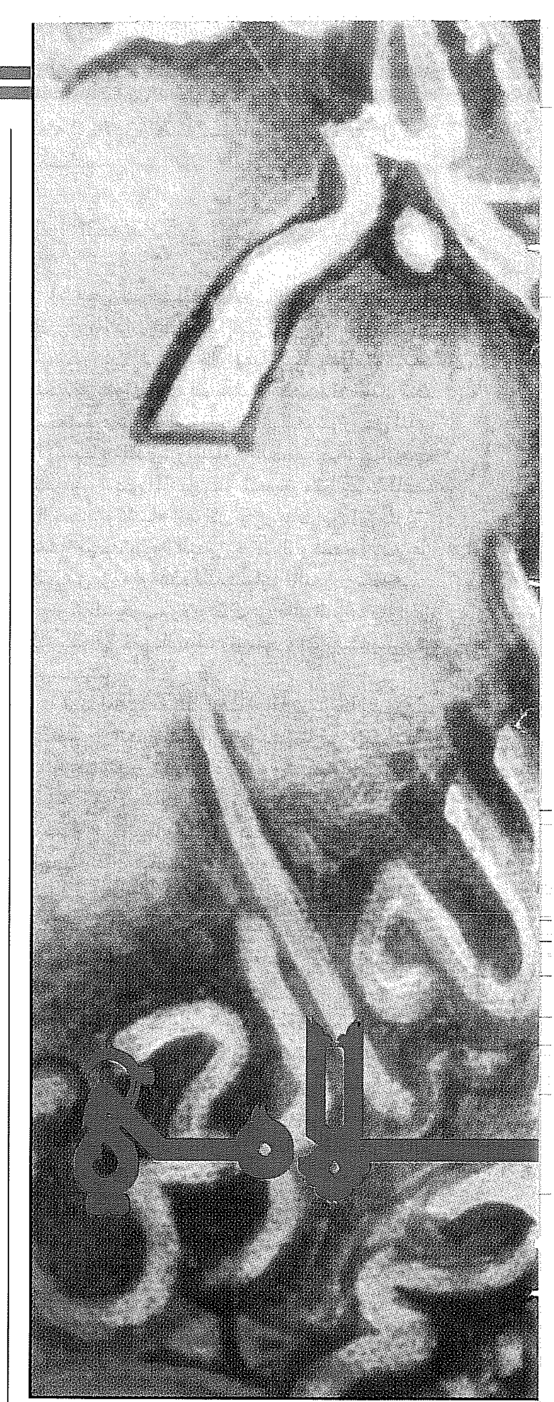
فالأدب الإسلامي – كما قلنا – موكل بالجمال يتبعه في كل شيء، وكل معنى في هذا الوجود.. الجمال بمعناه الواسع الذي لايقف عند حدود

بقلم: كمال سعد محمد خليفة

الحس، ولاينحصر في قالب محدود، جمال الكون وشموسه، وأقماره، وما بينهما من تجاذب وارتباط، وجمال الطبيعة بما فيها من جبال وأنهار، وجوامد وأحياء، وجمال المشاعر بما فيها من حب وخير وطلاقة، وارتفاع، وجمال القيم والأوضاع، والنظم والأفكار والمبادىء، والتنظيمات.. كل ذلك ألوان من الجمال يحتفي بها الفن الإسلامي، ويجعلها مادة أصيلة للتعبير، بل هو يعرض الحياة كلها من خلال المعايير الجمالية سواء بالسلب أو الإيجاب، فهو حين يعرض للاختلالات في أي مجال، يعرضها على أنها قبح ينافي حقيقة الجمال(٥).

كما أن الاستمتاع بهذا الجمال، مباح في الأصول الإسلامية: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾(٦)، ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾(٧).

فالجمال في الأدب الإسلامي، مدخل إلى الارتقاء بالروح والذوق، والسمو بالنفس، وملهب للعاطفة، ومنشط للوجدان، ومحرك للفكر كي يجول فيما هو أبعد من المظاهر الحسية، كما أنه قد يكون سببا من أسباب الإيمان، فالقيم الجمالية تحمل على جناحيها مايعمق هذا الإيمان ويقومه، ويجعله وسيلة للسعادة، والطمأنينة، والخير في هذه الحياة



والجمال بطبيعته، لاينافي الأخـلاقية في الفن، بل إن الأخلاقية في الفن تكسبه الجمالية وعندما سئل أحد النقاد الأجانب – بيتر – لم يجب أن نكون أخلاقيين في الفن.. ؟ قال: لأن ذلك غاية الجمال(٨).

الفن والأخلاق

فالفن الصادق، أخلاقي بطبيعته – يختبر القيم، ويوقظ المشاعر الصادقة، ويستحثها لكي تميز بين الجيد والرديء في سلوك الإنسان، ولايعني بذلك أن يكون الفن متخما بـالمواعظ الدينية، أو الأخـلاقية، من أوامـر ونواه، أو بعبـارة أخرى، أن يكـون الفن تعليما، فالتعليمية والفن الأخلاقي الرفيع، يتنافران ولايتمازجان على آيـة حال فأدبنا الإسلامي نـريده فنا: يستكشف من خلال فـن مفتوح، واسع الآفاق، كي يتعلم مـاينبغي ان يعلم. (٩) فأخـلاقيـة الأدب لاتنفي جماليته، بل ترقـي بها وتدعمها حتى نعيش حياة جمالية من خلال الأعمال الأدبية المبدعة، وبهذا يترتب على النـاقـد الجمالي أن يعـد جميع المواد التي عليه أن يتعامل معها كقوى أو طاقات تبعث مشاعر ملذة كل واحـد من نوع يزيد أو ينقص خصـوصية وتفردا(١٠).

فالأدب الإسلامي تتحد فيه جماليات الشكل، مع جماليـات المضمـون فالشكل والمضمـون يتبـادلان التأثير(١١) فيصبح العمل الفنـي جمالا، يثير فينـا المتعة المرجوة من الأثر الفنـي. هذا إلى جانب المنفعة، ولـو لم تتوفـر هذه الجماليـة في الأدب لما تـوفر لـه القبول أو الحياة، فالجمالية تضفي قيمة على الشكل والمضمـــون معـا، وليس على الشكـل فقط كما يظن بعض دعـاة «الفن للفن» حيث أنـه (لا يمكن فصل الشكل عن المادة) (المضمـون) في تجربتنا المبـاشرة مع العمل الفني بصـورة واضحـة ففي استجابتنـا المباشرة يندمج الشكل بالمضمون في مجمل الانطباع الذي يتركه العمل الفني فينا..

فعندما استمتع بقـراءة قصيدة، لاأستطيع القول أنني مدين في هذا الجزء من تجربتي إلى االفكرة، وفي ذاك الجزء إلى اللغة، أو الصور الشعـرية، أو الإيقاع الـذي ينقل التجربـة، مجمل تجربتنا مع القصيـدة (العمل) لايقبل التجزئة، رغم أن بعض العنـاصر قد تقع في منطقة الضوء، والأخرى في الظل، فهي ماتزال تؤثـر فينا مجتمعة مع بعضهـا يقول والتربتر: بأن الفن جميعا يطمـح إلى حالة الموسيقى، حيث يكون الشكل والمادة (الموضـــوع) لايمكـن التمييـــز بينهما(١٢).

فـــالأدب الإســـلامي، أدب جمالي يحقق المتعــة والإشراف الـروحي، فضلا عن الأمن والطمأنينـة في ابداعاته الأدبية المتنوعة.

هذا عن الجمالية، أمـا المتعة والتسلية والسعادة، كوظائف يقدمهـا الأدب الإسلامي، فمن بين مايتهم به الأدب الإسلامي، أنه أدب قد يهتم بـالأمور الجادة في الحيـاة ولايهتم بالمتعـة والتسلية، اللـذين يبحث عنها المتلقي في المقام الأول عند قراءته للآثار الأدبية عـامـة، فأين المتعـة والتسليـة والسعـادة في الأدب الإسلامي؟!

المتعة والتسلية والسعادة

أو بعبـارة أدق: أين الأدب الإســلامي من المتعـة والتسلية والسعادة؟

نقـول – بـداهة – الأدب الإسـلامي لم يبـدع من أجل الإبـداع – كما يقول – أصحـاب مدرسـة(الفن للفن)، ولكن دوره يكمن في (تشكيل الـوجـدان بما يبثه فيه من عطاءات فكريـة وعاطفية، كما أن هدفه لانقول تغيير الحياة، ولكن تطويرها والارتقاء بها إلى المستوى الأفضـل، والأجمل عن طريق بـذر العقيدة وترسيخها في الصدور، وغرس مبادىء الخير والحق والجمال في النفـوس والتبـاعـد عن الـرذيلـة والقبح(١٣).

فالهدف الأسمى – إذن – للأدب الإسـلامي، هو السمو بـالإنسان فكراً وروحـاً وسلوكـاً، ولكنه على الرغم من ذلك لم يغفل ماتقصدونه، أو تبحثون عنه من التسليـة أو المتعـة أو السعـادة، إذ الإسـلام لم يحرم مثل هـذه الأشياء فبالتـالي لايضيق بها الأدب الإسلامي.

يقول الدكتور نجيب الكيلاني(١٤): المتعة – كما أتصور – حـالة نفسيـة، أو وجدانيـة يتجسد فيهـا الارتيـاح والرضـا والاهتمام والشغف.. ولكي أزيـد الأمـر وضـوحـا على ضـوء العمل الأدبي فأقـول:إن الأمر يتعلق بنواح عديدة لتحقيق تلك المتعة، فالدراما الناجحـة تبعث على المتعـة، والكوميـديا المصنـوعة ببراعـة وإتقـان تحرك شعـور المتعـة، ولهذا، فإن الحدث الذي يبعث على الأسى، والحدث الـذي يدفع في النفس بموجـات الفرح، يستويـان في خلق المتعة، على الـرغم من اختـلافهما في الطبيعـــة، والتأثير، والإيحاء، لأن كليهما يبعث لونا مـن النشوة أو اللذة الروحية أو الفكرية، ويحركـان في الوجدان ألوانا من الانفعـالات، وفي الفكـر ألـوانـا من القنـاعـات، أو التساؤلات، أو الاعتراضات، وفي ذلك كله متعه للعقل والروح والخيال.

وهـذه المتعـة تنبع من الشكل والمضمـون معـا، فالقضية أو الموضوع الذي يعالجه الأدب، ثم الشكل الفني بما فيه من بداية وعقدة ونهاية، وبما يتطعم به من تشويق وإثارة وترقب، ثم نمو الحدث، وتصوير الشخصيـات والحوار المعبر المتميـز في القصـة أو الـروايـة أو المسرحيـة، وغير ذلك من العنـاصر التي ترتبط بكل لون من ألوان الأدب، كالموسيقى والثقافة في الشعـر، والألفـاظ المختـارة والـوزن.. كل تلك العناصر المتضمنة في العمل الأدبي شكلا وموضاعا، هي التي تكون عنصر المتعة لدى المتلقي.

كما أن انتصـار الخير على الشر متعـة، وانتحـار القيم الرذيلة متعة، والارتقاء بالإنسان، والأخذ بيده، ليتمكن من أداء مهـامه المنـوط بها في الحياة، متعـة ونشرالقيم السـامية، والفضائل الإيمانية، والتعاطف مع الضعفاء، وانتشال المخطئين من توقعات الرذائل متعة، والتنفير من الانحطـاط، والحث على الفضائل، واعتناقها متعة.

إلى غير ذلك مما يهتم به الأدب، والأدب الإسلامي في الحياة..

وإذا كـان هــؤلاء المهتمـون، يقصـدون المتعـة الحسيـة المتمثلـة في الجنس، والإغراق في تصـويـر، وتزيين الشرور لـلإغراء بـارتكابها أوتقليـدها، كما يحدث في الأفـلام السينمائيـة المتسـوردة، حتى الأفلام العربية التي بدأت تزييف القيم الدينية وتبث الأفكار المنحرفة التي يأباها الدين والعرف والتقاليد كما ورد في هذا الحوار الذي نقتطفه من فليم عربي، كان بين الممثل والممثلة اللـذين لهما اسمهما في عالم الشهرة:

قالت له: وهبت لك نفسي..

قال: وأنا قبلت الزواج منك.

قالت متسائلة: من يشهد على ذلك؟

– فنظر إلى السماء وكأنـه يشهد اللـه (عز وجل) على مايقول..

جمالية الإبداع في الأدب الإسلامي

وتم الزواج بينهما هكذا دون شهود، ولاولي.. بلفظ الهبة، وقد أجمع العلماء والفقهاء على أن هبة المرأة نفسها غير جائزة(١٥).

ألا ترون معي أن تأثير مثل هذا المشهد على شبابنا وفتياتنا، خاصة ونحن ننهج سياسة الاختلاط بدون حرج في التعليم والنزهة، والزيارات والمشاهدة، ومالى ذلك سيء.. فهل هذه المتعة.. بئست هي إن كانت كذلك..

كما نرى كذلك في أحد مشاهد الأفلام الأجنبية بطلة الفيلم عارية تماما وتقول لحبيبها في تبذل وعهر: لماذا تفسد علاقة الحب السعيد بالزواج(١٦) فهل تعد مثل هذه متعة؟!

فالأدب الإسلامي أدب السمو والرقي يربأ بنفسه عن هذا السقوط، ويقدم البديل الإسلامي لمثل هذه الموضوعات، وعندما نقلب صفحات الكيلاني(موضوع البحث) فسنرى المشاهد الأدبية العفيفة، والأسلوب الراقي في عرض مثل هذه المواقف.

التسلية في الأدب الإسلامي

أما التسلية: كما يقول الكيلاني(١٧): فاعتقد المقصود بها هنا هو تمضية وقت الفراغ في قراءة لون أدبي خفيف، لايرهق الذهن، ولايثقل على المتلقي ويبعد عن نفسه الملل والرتابة ويصرفه – لوقت ما – عن متاعب الحياة، كما يبعد عن التفكير المضني، والقلق المستبد، والجدية الصارمة، المسؤولية التي تشد أعصابه وتبعد منه لذة الهدوء والنوم والاسترخاء، نرى ذلك في الروايات البوليسية، والقصص الخيالي وشعر الفكاهة وفي الملح والطرائف. وهناك كثير من ألوان التسلية والتسرية عن النفس. وهذا متوفر في كثير من الآداب التي تلقي سوقا رائجة في عالم الفن..

ولكن، فأين الأدب الإسلامي من هذه التسلية؟

نعم.. توجد التسلية في الأدب الإسلامي، فيذكر لنا تراثنا النبوي نوعا من هذه التسلية والترويح عن النفس، فرسولناﷺ في حديث له:

يروي عنه ﷺ أنه كان يمزح ولايقول إلا حقا رأته امرأة عجوز له:أدع الله لي أن يدخلني الجنة فقال ﷺ: «لايدخل الجنة عجوز».. فقطب وجه المرأة وخافت وقالت: لم يارسول الله؟ فقال – وهو يطمئنها ويبتسم: «لا تخافي ولاتحزني، ألم تسمعي قول الله، عز وجل: ﴿عربا أترابا﴾(١٨).

فمن هنا نرى أن مبدز الترفيه أو التسلية مقرر ومباح، ولكن في حدود المشروع (التصور الإسلامي) لأن التسلية تتخذ مسارات متباينة، منها مايبعث على التخفيف وممارسة تحمل المسؤوليات الضرورية.

ومن التسلية كذلك مايصرف عن الاستقامة، ويورث الكسل والفوضوية، ويسخر من القيم العالية، ويقتل في النفس الطموح، ويصبح كالمخدر الذي يصنع الخيالات والأوهنام، ويدفع إلى ارتكاب الحماقات والرذائل، وهو أمر مرفوض بأي مقياس أخلاقي (إن التسلية المباحة لاتصرف عن عبادة، أو تؤخر عن قيام بواجب، أو تضعف من قوة العقيدة وصلابتها، أو تعطل القوى الإبداعية الخلاقة في الإنسان المؤمن).

ويدخل ضمن التسلية مايسمى بالسخرية وهى نوعان: نوع يوظف السخرية في النقد اللاذع الذكي للأوضاع الفاسدة والشصخيات المنحرفة، والقوى الجائرة، التي تضرب بالقيم والمبادىء عرض الحائط، تسخر الضعفاء والمقهورين، لأطماعها الدنيئة..

والأدب الذي يعبر – بسخرية واعية – عن هذا الخلل، أدب قوي بناء، يهاجم السلبيات، وينبه إليها، وهذا مانعني به في الأدب الإسلامي.

أما النوع الآخر من أدب السخرية: فهو السطحي الذي ينهش في أعراض الناس وينال من ذوى العاهات، والأحزان والجهالات، والفقراء وأصحاب بعض الحرف.. وما أكثره في إعلامنا، إنه خليط من الهمز واللمز والبذاءة، وبرغم مايبعثه من إضحاك ومرح إلا أنه يورث الضغائن والأحقاد، ويساعد على تنمية العقد النفسية، وبذر بذور الشقاق بين فئات المجتمع. خاصة وأن كثيرا منهم يستعين بفحش القول وبذاءة السلوك ومثل هذا النوع يتنافى مع القيم الإنسانية، ويجب أن يعف عنها صاحب القلم النظيف واللسان الطاهر(١٩) ومن ثم فإنه يخرج عن دائرة الإسلام، والأدب الإسلامي.

إذن. فالأدب الإسلامي، أدب عف متميز، تمتزج فيه المتعة بالمنفعة، لأنه أدب، تحكمه ضوابط وشروط نابعة من التصور الإسلامي الذي يبغض التنابز والسخرية المجوجة في الكتاب والسنة(٢٠) يحفظ للإنسان كرامته وهيبته بين بني المجتمع ليكون صالحا للهدف الذي خلق من أجله. فالأدب الإسلامي أدب بناء لامعاول هدم وتحطيم.

> **الجمال في الأدب الإسلامي، مدخل إلى الارتقاء بالروح والذوق، والسمو بالنفس، وملهب للعاطفة، ومنشط للوجدان، ومحرك للفكر**

السعادة في الأدب الإسلامي

أما عن السعادة في الأدب الإسلامي، يختلف عنها في الآداب الأخرى التي أفرزتها المجتمعات المتنوعة، بين المادية، والواقعية بأنواعها، الديانات المختلفة – والمذاهب الفلسفية المتعددة، فمثلا نجد السعادة عند الماديين، تتحقق في الحصول على المادة والإشباع المادي، والملذات الجسدية، فالهدف الأساسي لدى الماديين هو تحقيق متطلبات المعدة والجسد، وإشباع الغرائز، والرغبات من أي طريق، كما أنهم يعتبرون الدين مخدراً، ومقعداً بهم عن التوصل إلى مثل هذه الملموسات فالدين – عندهم – أفيون الشعوب، ولايختلف في ذلك الرأسمالي عن الشيوعي فالهدف واحد وإن تغيرت الوسائل..

وهذا ليس ببعيد عنا(فإذا نظرنا إلى الآدب والفنون العالمية، وجدنا في قصصهم، ومسرحياتهم، وفي أفلامهم، ومسلسلاتهم، كما هائلا من الأحداث التي تبلورهذا المعني، وتبرزه بوضوح، فالبطل السعيد هو الذي يفوز بالفتاة الجميلة، ذات الحسن البارع، والجسد المثير، و التي لاتفكر إلا في اللذة والاستمتاع، وتثور المعارك، وتحاك المؤامرات، وتراق الدماء، وترتكب الحماقات من أجل الفوز بامرأة خاوية المعنى لاتعبر عن قيمة عليا لاتوفر إلى غاية نبيلة(٢١).

ومنهم من يرى أن السعادة، تكمن في الفوز بالمنصب، أو كرسي الحكم كما يفعل أهل السياسة من الحكام وغيرهم، ومنهم من يرى السعادة في بث الأفكار الساقطة والمبادىء السقيمة، كما يفعل الأدب اليهودي، إذ يحمل على عاتقه فساد العالم وإغراقه في الرذئل.

ولكن السعادة في الأدب الإسلامي، نابعة من القناعة التي أمر بها الإسلام فيما يروي عن رسلنا الكريم ﷺ «من بات آمنا سربه معافي في بدنه، عند، قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(٢٢).

ونابعة كذلك من الرضا بالقضاء والقدر، لاالتمرد على حكم الله ومشيئته، ولكنه في الوقت نفسه لس أدب الخضوع والسكونية ولكنه إن كان فهو خضوع لذى الجلال والرضا بقضائه، وتمرد على الشرور والضوائق، وتمرد كذلك على السقوط والتردي. فالأدب الإسلامي، أدب النهوض والاستعلاء.

والقرآن الكريم يحدثنا عن السعادة الحقيقية في إحدى آياته (٢٣) ﴿إلا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون.﴾

فشرط تحقق السعادة :الإيمان والتقوى وهذان الشرطان عندما تحققا لأحد الصالحين قالك إن مابين جنبي من اللذة(السعادة) مالو علمها الملوك لقاتلوني عليها بالسيوف.

ورحم الله شاعرنا إذ يقول:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأتقي مزيد

ومن خلال دراستنا لروايات الكيلاني، سيتضح لنا مفهوم السعادة في رؤي شخصياته وتصرفاتهم وقناعاتهم من خلال المفهوم الإسلامي، في مواجهة المفاهيم أو المذاهب الفكرية الأخرى.

فالأدب المسلم في ظل هذه الفلسفات المتعددة، والقيم المختلفة، مطالب بأن يعري زيفها، ويفضح مخططاتها، وأن يضع الأمور في إطارها الصحيح، لتكون لبنة في بناء حضاري ووجداني للإنسان الواعي، المسؤول عن تصرفاته قولا وفعلا حتى تتجدد الروح الإنسانية وترفرف في عوالم السمو والمحبة والإخاء والطمأنينة فإن ابنعاث الإيمان بالله في النفس يجدد الروح الإنسانية، ويسمو بها إلى عالم المثل(٢٤).

فالمفهوم الإسلامي للسعادة: (شعور نفسي وعقلي، يتسم بالاطمئنان والرضى، والأمان يحيطه سياج من الإيمان بالله وهي مربتة، أوحال، يمكن أن يصل إليها الغني والفقير على حد سواء، وجانب المادة فيها معترف به، لكن حدود الحاجة دونما جشع أو أنانية، في حدود الشرعية التي فصلها الإسلام(٢٥) فالعلاقة بين الرجل والمرأة لها إطار، والملكية عليها واجبات، ولها حقوق، والسلطة تحكمها أصول واضحة.

فالأدب الإسلامي أدب الإشراقات الروحية والفنية يؤدي وظائفه بصدق وإيمان والتزام، حتى الفكاهة في الأدب الإسلامي، تصبح أدبا بناء هادفا له أثره في بناء المجتمع المثالي، فلم يشغل الأديب الفكه مكان المهرج، ولامكان الساحر الذي يزيل الأرق عن أجفان المتخمين، وإنما يصف الداء بأسلوب ساخر ليتمكن المصلحون من اختيار أنجع الأدواء(٢٦).

فهي ثمرة الممارسة والحكمة المنبثقة عن التجربة والواقع.. فالفكاهة في الأدب الإسلامي(شدو بالآمال، وتعبير صادق عن الآلام، وترنم بالجمال الإنساني في شتى مظاهره، ونطق بما يختلج في قلوب الناس، ومايتردد في صدورهم من شكوي ورجاء وأمل، في أسلوب ساخر يرسل الحكمة في ثوب الفكاهة تزيدها وشيا وجمالا(٢٧) وتصبح ذات قدرة على النقد، والتغيير، والتوجية، ليحقق هذا المجتمع المثال الذي نأمل إقامته في إطار الرؤية الإسلامية التي تتغذى على القرآن القرآن الكريم.

فالأدب الإسلامي، لن يحد من مجالات الإبداع، أو يقصر التعبير على نوع معين من قضايا المجتمع دون الأنواع الأخرى، لكنه يوسع سعة الإسلام والكون والحياة.. وبهذه الشمولية، والاتساع، والامتلاء، تصبح اللوحة الفنية أجمل وأكمل وأمتع، تصبح مليئة بالحركة الموارة، والحياة الزاخرة، فيتحقق الانبعاث الذي نرجوه لهذا المجتمع فكرا، وثقافة، وحياة ولاشك فالإسلام أثري التراث الإنساني وأخصبه أيما إخصاب، وتقدم بالعالم خطوات سريعة راسخة، نحو التقدم والتحضر بنزعته الإنسانية ووضوحه المشرق، إشراق الشمس في رابعة النهار□

يكمن الهدف الأسمى للأدب الإسلامي، في السمو بالإنسان فكراً وروحاً وسلوكاً

الهوامش:

١) الجمالية ص: ٢٨٢ ر. ف. جونس رجمة عبد الواحد لؤلؤة، الكتاب الثالث المجلد الأول، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ثانية، ١٩٨٣م. بيروت.

٢) رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا.. أنظر «الحلال والحرام د. يوسف القرضاوي ص ٨٤»

٣) الجمال لغة واصطلاحا مقال الدكتور :عماد الدين خليل بمجلة الحرس الوطني عدد ٩٤.

٤) نجيب الكيلاني في كتابته مدخل إلى الأدب الإسلامي «٣٣-٣٥» والإسلامية، والمذاهب الأدبية ص :٢٥.

٥) منهج الفن الإسلامي ص :٦-١٣٥ محمد قطب بتصرف.

٦) سورة النحل آية /٦

٧) سورة الأعراف آية/ ٣١

٨) الجمالية ص:٣٨٧ موسوعة المصطلح النقدي/ جونسن.

٩) الرواية الأخلاقية ص:٢٥

١٠) الجمالية: ص:٣١٥

١١) النقد الأدبيك دراسة جمالية وفلسفية ص:٦٨٩ جيروم ستولنتيز ت/د /فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب، ثانية، ١٩٨٥م القاهر.

١٢) الجمالية ص: ٢٨٩، ٢٩٠ بتصرف.

*راجع مجلة الفيصل عدد (١٩٥) مقال(جمالية الأدب الإسلامي) للكاتب، حيث وظفت بعض الأفكار عن هذه الجزئية في هذا المقال.

١٣) انظر من قضايا الأدب الإسلامي صالح آدم بيلو ص:٧٣

١٤) آفاق الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني ص:١٢٢ ومابعدها.. مؤسسة الرسالة، أولى ١٩٨٥م، بيروت.

١٥) أنظر مجلة الأزهر (الدراما إلى أين ؟) للأستاذ :عاطف شحاته زهران عدد ربيع الأول ١٤١٠هـ الجزءالثالث، السنة ٦٢.

١٦) مجلة الوعي الإسلامي العدد (٢٥٥) ربيع أول ١٤٠٦هـ للاستاذ بركات عبد العزيز محمد (السلوك المنافي للإسلام في الدراما التلفزيونية المتسوردة) وفي المقال رحصائيات مهمة تشير إلى مؤشر خطر من حيث تآمر الغرب علينا وتصديره لأفلام الجنس والعنف والجريمة، وكل ماهو رذيل، يفقدنا شبابنا وهويتنا الإسلامية.

١٧) آفاق الأدب الإسلامي ص:١٢٣

١٨) سورة الواقعة آية ٣٧ والحديث رواه عبد بن حميد والترمذي

* أنظر (الحلال والحرام)ص٢٤٢د/يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الرابعة عشر / ١٩٨٠م

١٩) انظر آفاق الأدب الإسلامي. مواضع متفرقةمن ص: ١٢٥ بتصرف.

٢٠) قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمذوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ آية: ١١و١٢ من سورة الحجرات.

٢١) أنظر الإسلام وحركة الحياة نجيب الكيلاني :ص ١٢٢.

٢٢) رواه البخاري في الأدب والترمذي

٢٣) سورة يونس: الآيتان:٦٢و٦٣.

٢٤) أن مفهوم المثالية في الإسلام يختلف عن مفهومة في الفلسفات الغربية فالمثالية الغبية، أحلام تظل أحلاما، لأنها تتطلع إلى عالم غير منظور، وغير محقق في عالم الأرض.

أما المثالية في الإسلامك حركة تبدأ في أعماق الضمير ثم تحقق نفسها في عالم الواقع، لأن الإسلام حركة إبداعية، لتحقيق تصور معين للحياة قابل للتحقيق وفي طبيعة النفس البشرية استعداد لتحقيقة حين تسجيب لدعوته وحين تتأثر به تأثيرا ايجابيا لايكتفي بالمشاعر أو الشعائر.

في التاريخ فكرة ومنهاج ص: ٢٣ سيد قطب.

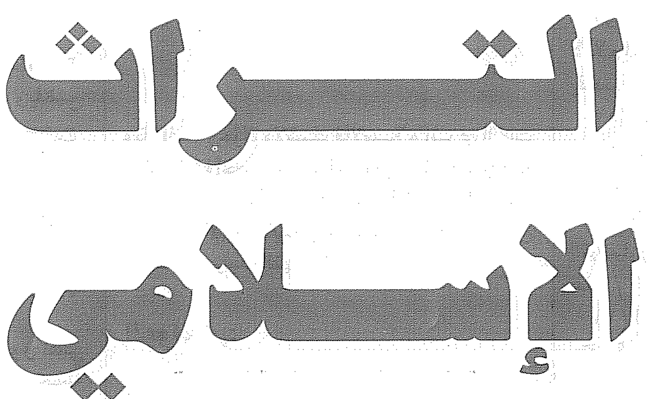
٢٥) الإسلام وحركة الحياة ص :١٢٦ نجيب الكيلاني الرسالة، أولى، ١٩٨٨م.

٢٦) الفكاهة الهادفة في الادب العربي مقال بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط للدكتور؟ علي أحمد العريني العددالسابع.

٢٧) نفس المرجع السابق.

أفريقيا كنز كبير للمخطوطات الإسلامية

مراكز أفريقية للحفاظ على



القارة الأفريقية، من أهم القارات التي تعرفت على الدين الإسلامي الحنيف، منذ العهد النبوي الشريف.. وقد أصبح الإسلام جزءا من الكيان الأفريقي كله حيث يلف الإسلام هذه القارة ويتوغل في وسطها.. وقد أثمرت الدعوة الإسلامية العديد من الإنجازات الإيجابية.. فتأسست المجتمعات المسلمة منذ القرن الأول الهجري.. وأبدع المسلمون في هذه القارة آدابا وفنونا وعلوما إسلامية، مازالت باقية حتى اليوم..

وعندما وقعت دول هذه القارة في براثن المستعمر الغربي.. حرص المسلمون على حماية هويتهم العقائدية والاحتفاظ بمخطوطاتهم الإسلامية وتوارثتها الأجيال.. وتشهد أفريقيا صحوة إسلامية معاصرة تتمثل في الانطلاقة الكبرى لمسيرة المد الإسلامي.. وأثمرت الصحوة تحويل الأقليات المسلمة إلى أغلبيات في العديد من الدول الأفريقية.

وقد أنجبت أفريقيا العديد من علماء الإسلام الذين أنعشوا الثقافة الإسلامية والعربية بالمؤلفات في مختلف نواحي العلوم والمعارف الإنسانية.. وكان لهم صلات قوية بالأزهر في مصر ومراكز التعليم الإسلامي في القيروان في تونس وفاس بالمغرب وبلاد الأندلس ودول أوروبا.. كما تأسس في أفريقيا العديد من المدن

بقلم: محمود بيومي

الإسلامية العربية مثل: «تمبكتو» و«باماكو» و«الحمد لله» التي أسسها الملك المسلم «ماسينا» في مالي..

كما اشتهرت بعض الأقاليم بهويتها العربية الإسلامية مثل: «زنجبار» و«كانو» في شمال نيجيريا ومنطقة «دالا» و«الحوسه» في نيجيريا أيضا.. كما ثبت تاريخيا أن الوفود خرجت من الدول الأفريقية لمقابلة الصحابة رضوان الله عليهم خلال هجرتهم إلى الحبشة.

وتعتبر القارة الأفريقية كنزا عامرا بالمخطوطات الإسلامية النادرة التي كتبت باللغة العربية وباللغات واللهجات الأفريقية المحلية.. وقد عثرت المؤسسات الإسلامية على ثروات هائلة من هذا التراث الإسلامي الأصيل.. وتواصل هذه المؤسسات جهودها للكشف عن معالم التراث الإسلامي الإسلام الأفريقي.

وترصد «الوعي الإسلامي» جهود هذه المؤسسات في بعض الدول الأفريقية.. وتسلط دوائر الضوء على إبداعات المسلمين في مختلف المعارف والعلوم وإبداعاتهم الفنية.



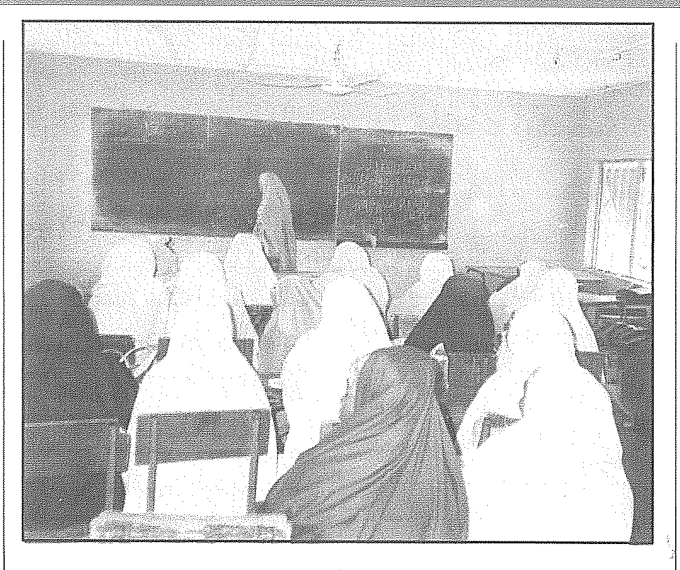
مركز التاريخ والثقافة

من المؤسسات الإسلامية الهامة في نيجيريا والتي تقوم بدور مهم في جمع وصيانة التراث الإسلامي الأفريقي.. مركز التاريخ والثقافة الإسلامية في ولاية (كانو) في شمال نيجيريا وقد تأسس منذ عام ١٩٨٧ ميلادية.. لجمع وثائق التاريخ الإسلامي وثقافة المسلمين في هذه الولاية الإسلامية والحفاظ عليها من الاندثار.. إلى جانب توعية الناس بها.. ويشرف على هذه المؤسسة أمير «قومل» هناك.. ويتكون المركز من أربعة أقسام تتولى تنفيذ المشروعات والبحث والتوثيق المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والثقافية.. ويضم قسما للبحث ومكتبة ومتحفا وقسما لعلم الآثار واللغة والآداب وقسما للفنون الإبداعية لتشجيع المواهب الفنية في مجالات الإبداعات الإسلامية من نقوش وزخارف وخط عربي وغيرها.

٥٤٤٧ مخطوطا

تضم مكتبة المركز ٥٤٤٧ مجلدا ومخطوطا إسلاميا نادرا.. تم تجميعها عن طريق تبادل المخطوطات وصورها وعن طريق الإهداء من الشخصيات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية في نيجيريا وغيرها من الدول.. وقد ثبت أن منطقة (هضاب دالا) من أكثر المناطق التي عثر فيها على مخطوطات إسلامية.. احتفظت بها القبائل المسلمة منذ القرن الرابع الهجري وتوارثتها الأجيال المسلمة عبر المراحل التاريخية المختلفة.

ويقوم المركز بالمشاركة في إنشاء المراكز الإسلامية المماثلة في جميع أنحاء نيجيريا.. بهدف إنعاش الثقافة الإسلامية وإبراز الدور التاريخي الذي قام به مسلمو نيجيريا في الحفاظ على هوية المعارف الإسلامية في مختلف مجالاتها.. ويضم المركز قاعة كبرى للاجتماعات والندوات. تحفا للتاريخ لعرض المنتوجات الفنية.. التي أبدعها الإنسان المسلم في نيجيريا عبر مراحل التاريخ الإسلامي.. كما يقوم المركز بتكوين جمعيات ثقافية في نطاق ولاية (كانو) وغيرها من الولايات النيجيرية.. ويهتم المركز بالتعريف بنشاطاته المختلفة وتشجيع الناس على الاطلاع على معالم الثقافة والتاريخ الإسلامي الأفريقي.. وتجويد التراث الثقافي عن طريق التأريخ لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها نيجيريا.. كما شارك المركز في العديد من المهرجانات والمعارض التي تدخل في نطاق اهتماماته.. مثل المعرض النيجيري الدولي ومهرجانات الفنون والثقافة.



موسوعة الآثار الإسلامية

وقد اهتم المركز بدراسة المواقع الأثرية في نيجيريا.. فتشكلت لجنة لدراسة هذه المواقع منذ عام ١٩٨٨ ميلادية.. وقامت اللجنة بالتعرف على أهم المواقع التاريخية والأثرية في ولاية «كانو» وقامت بإجراء العديد من الحفريات في عدة مواقع أخرى وإجراء الدراسات اللازمة بشأنها.. وذلك لتأصيل التاريخ والثقافة الإسلامية لهذه الولاية.

ويقوم المركز حاليا بإعداد أول موسوعة ثقافية حول ثقافة وتاريخ منطقة (الحوسه) وتوثيق الإبداعات الفنية المتمثلة في الإنتاج الحرفي لأبناء هذه المنطقة وتسويقه.. وإعداد أفلام تسجيلية عن أهم الأحداث والتطورات التي عرفتها ولاية كانو.

ويقوم المركز بدور مهم في تنمية المهارات الفنية في مجالات الزخارف الهندسية والنباتية والحفر على الخشب ولوحات الصدف إلى جانب لوحات الزجاج المعشق والخزف والفخار والنسيج والقيشاني.. وذلك من أجل تطوير المهارات وتحسين إنتاج هذه المنتجات الحرفية وتمويلها فيقدم المركز مساعدات مادية ومعنوية ويقدم الأجهزة اللازمة لإنتاج هذه الحرف اليدوية للعاملين فيها وللراغبين في الحصول عليها.. وقام المركز بدور إيجابي في كتابة تاريخ أهم مدن ولاية «كانو» التي اشتهرت عبر المراحل التاريخية المختلفة بإنتاج الحرف اليدوية.. وتضمنت مشروعات المركز بيان حركة العمران الإسلامي لهذه الولاية والتطورات التي طرأت على تحفيظ القرآن الكريم.. من الطرق التقليدية التلقينية وحتى إنشاء المدارس القرآنية الحديثة.. وتطور تعليم الفتاة المسلمة منذ دخول الإسلام إلى نيجيريا وحتى يومنا هذا.. وذلك من أجل تأصيل الهوية الإسلامية لولاية كانو ونيجيريا كلها.

مسلمو أفريقيا أبدعوا علوما وآدابا وفنونا إسلامية راقية

الحفاظ على التراث الإسلامي

فإذا تركنا نيجيريا وذهبنا إلى دولة أفريقية أخرى مثل أوغنده، لنتعرف على الجهود الإسلامية المبذولة لصياغة التراث الإسلامي.. فإننا نجد مركز البحوث الأفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي «تراث».. وهو من المؤسسات حديثة العهد حيث بدأ أعماله في العاصمة الأوغندية «كمبالا» منذ فبراير عام ١٩٨٩ ميلادية.. بهدف إيجاد وعي بين الشعب الأوغندي والشعوب الأفريقية.. بضرورة الحفاظ على تراثها الثقافي ووضع الاستراتيجيات اللازمة لصيانة التراث الإسلامي من الاندثار لصالح الأجيال المسلمة.. ويقوم هذا المركز بترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغات المحلية المتداولة في القارة الأفريقية والتعريف بمعالم هذا التراث.. عن طريق تنظيم المحاضرات والحلقات الدراسية والمعارض إلى جانب تشجيع إنشاء المراكز الثقافية والمكتبات والمتاحف وغيرها.. ويشرف على المركز مجلس من الأمناء يضم أعضاء يمثلون المنظمات الإسلامية العالمية و٣ أعضاء يمثلون المؤسسات والجمعيات الإسلامية في أوغنده.

دور الحضارة الإسلامية

ويضم مركز البحوث الأفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي.. أربعة أقسام للبحث والآثار والمعارض والاستثمارات وقسم للتعاون العربي – الأفريقي.. وذلك لبيان دور الحضارة الإسلامية العربية في النهوض بالمجتمع الأوغندي..

افريقيا كنز كبير

والتأثير العربي – الإسلامي على ثقافات السكان وتأثير اللغة العربية على اللغة السواحلية وتدوين هذه اللغة بالحروف العربية .. لأنها جاءت نتيجة للتلاقح اللغوي بين العربية وبين اللهجات الأفريقية المتداولة في شرق القارة الأفريقية.

ويتعاون المركز مع المؤسسات الإسلامية الأفريقية والعربية والعالمية.. مثل الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والمتاحف والمكتبات ومنظمات الشباب.. لإجراء العديد من البحوث. ومن الدراسات القيمة التي أنجزها المركز.. دراسة حول أوغنده والعالم الإسلامي في القرن العشرين.. فشملت الدراسة الفترة من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٨٩ ميلادية.. ودراسة أخرى حول المساهمات العربية الإسلامية في مجال محو الأمية والتعليم في أوغنده من عام ١٨٤٠ ميلادية إلى عامنا هذا.

كنوز المعارف الإسلامية

وفي مدينة «تمبكتو» التي تعتبر من أهم المدن الإسلامية في «مالي» وفي القارة الأفريقية كلها.. اجتمع خبراء الثقافة الإسلامية الأفريقية في عام ١٩٦٧ ميلادية.. وأوصوا بإنشاء مركز إسلامي يهتم بالتراث الإسلامي والمخطوطات العربية والإسلامية المدونة باللغات الأفريقية.. وحصر هذه المخطوطات وتحقيقها ونشرها في بلدان العالم.. وقد قرر مؤتمر اليونسكو إقامة مركز لإجراء الدراسات في الثقافة الأفريقية.. فتم إنشاء مركز «أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث» في مدينة تمبكتو بجمهورية مالي.. وقد تم وضع حجر أساس هذا المركز في ٢٣ يناير عام ١٩٧٠ ميلادية.. وافتتح رسميا في ٨ نوفمبر عام ١٩٧٣ ميلادية.. وبعد عدة سنوات من العمل المتواصل ظهرت بوادر إنجازات هذا المركز منذ عام ١٩٧٧ ميلادية.

كانت مدينة تمبكتو في أوج مجدها في القرن السادس عشر الميلادي.. وكان علماؤها على صلة بعلماء الإسلام في القارة الأفريقية وغيرها.. خاصة علماء الأزهر في مصر وقد دعم علماء تمبكتو صلتهم بالعالم المصري جلال الدين السيوطي.. ونقلوا مؤلفاته إلى مدينة تمبكتو التي اشتهرت في التاريخ الإسلامي الأفريقي بأنها السوق الرائجة للكتب الإسلامية.. حيث تأسست بها دور نسخ المخطوطات الإسلامية وتوزيعها ونشرها.. إلى جانب ترجمتها إلى اللغات الأفريقية المختلفة.. وقد برز من علماء الإسلام في هذه المدينة الشيخ أحمد أبابا الذي توفى عام ٦٢٧ ميلادية بعد أن أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من مؤلفاته.

تنمية العلاقات الثقافية

يعمل مركز أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث.. على اقتناء وجمع وتصنيف الوثائق التاريخية باللغات العربية والأفريقية مثل : «الهوسا» و«اليوربا» و«الفولاني» وغيرها.. والتي تتعلق بتاريخ وثقافة القارة الأفريقية وتسجيلها على «الميكروفيلم» ونشر المعلومات الواردة في هذه الوثائق وتوزيعها على المؤسسات الإسلامية والعلمية في كافة أنحاء العالم.. ورعاية المخطوطات وصيانتها باستخدام وسائل التقنية الحديثة وتقديم الثقافة الإسلامية الأفريقية المدونة باللغة العربية.. من خلال الأعمال الوثائقية للتأكيد على أن الأفارقة تعربوا بفضل القرآن الكريم.. إلى جانب الإسهام في تنمية الثقافة الإسلامية – العربية.. التي كانت مدينة «تمبكتو» مركزا من أهم مراكزها في القارة الأفريقية.

ويعمل المركز كمعهد إعلامي وثقافي مفتوحا للباحثين وذلك من أجل تطوير العلاقات الثقافية بين بلدان العالم العربي والإسلامي والدول الأخرى التي تهتم بالثقافة والحضارة الإسلامية.

التعاون مع الجامعات

ويقوم مركز أحمد أبابا الإسلامي.. بإصدار مجلة علمية شهرية تتضمن الأبحاث وأسماء المخطوطات الإسلامية التي عثر عليها أو تم تحقيقها.. وقد صدر أول عدد من هذه المجلة في يناير عام ١٩٨٥ ميلادية.. ويتعاون المركز مع الجامعات الإسلامية في نشر وتحقيق كتب التراث الإسلامي الأفريقي.. حيث قامت جامعة «أبيدان» في نيجيريا بالتعريف بالمخطوطات الإسلامية التي قام المركز بتحقيقها وضمها إلى مكتبة الجامعة.

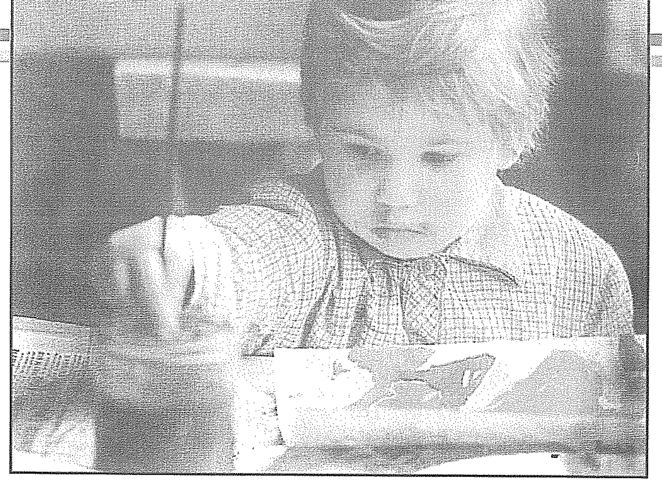
ومن هذه المخطوطات مؤلفات لعلماء الإسلام الأفارقة مثل الشيخ عبدالله بن محمد بن فودى والشيخ عثمان بن فودى وغيرهما.. وأكدت الدراسات التي أعدها المركز أن مدينة تمبكتو في مالي.. كانت مدينة الثقافة الإسلامية في أفريقيا.. وكان لها نفس مكانة القيروان في تونس وفاس في المغرب وقرطبة في الأندلس.. وأن مراكز البحث والثقافة الإسلامية في تمبكتو.. كانت لها صلات مع الأوروبيين في القرن السادس عشر الميلادي.. كما كانت تتعامل مع الثغور الإيطالية وبخاصة فلورنسا..

ويقوم المركز بتسجيل الترجمات الشفوية لمعاني القرآن الكريم باللغات الأفريقية.. ويتعاون في هذا المجال مع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول – التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي – والذي يقوم بحصر الترجمات الشفهية لمعاني القرآن الكريم.

أفريقيا أنجبت علماء أنعشوا الثقافة الإسلامية

وبعد ..

هذه بعض النماذج المشرفة التي يبذلها الأفارقة للحفاظ على تراثهم الإسلامي الأصيل وهو ثمرة من ثمار الصحوة الإسلامية المعاصرة.. التي تسود المناخ الأفريقي العام الذي استجاب لدعوة الدين الإسلامي الحنيف منذ العهد النبوي الشريف.. وقد أصبحت أفريقيا بحق قارة الإسلام حيث تزايدت أعداد المسلمين وخرجت الأقليات المسلمة من قوقعة الأقليات إلى رحب الأغلبيات المسلمة.. واهتمت المؤسسات الإسلامية بإحياء كنوز الثقافة الإسلامية وصيانة التراث الإسلامي الأصيل□



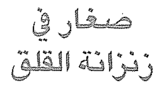
القلق استجابة لتهديد غير محدد أو غير معروف، وينبع في حالات كثيرة عن مصادر أو مشاعر عدم الأمان ويكون كل ذلك من داخل نفوسنا

القلق خبرة عامة ومشتركة، وهو شعور عام بالرعب أو الخشية، أو أن هناك مصيبة على وشك الوقوع. وهنا يجب التفرقة بين القلق والخوف، فالخوف استجابة لخطر واضح وموجود فعلا، على حين أن القلق استجابة لتهديد غير محدد أو غير معروف والذي ينبع في حالات كثيرة عن مصادر أو مشاعر عدم الأمان ويكون كل ذلك من داخل نفوسنا(١).

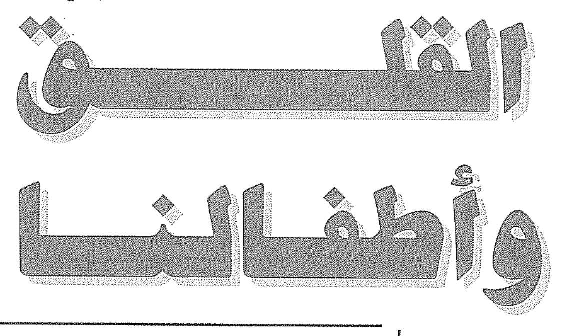
وللقلق في علم النفس الحديث مكانة بارزة، فهو المفهوم المركزي في علم الأمراض النفسية والعقلية، والعرض الجوهري المشترك في الاضطرابات النفسية، بل في أمراض عضوية شتى.

ومن ثم يتضح لنا صدق المقولة: (إننا نعيش في عصر القلق)، ولا ينسحب هذا القول على عالم الكبار والراشدين فحسب، ولكنه يضم عالم الصغار.

●رعاية الطفل في وقت مبكر يمتّعه بصحة نفسية جيدة



القلق وأطفالنا



صغار في زنزانة القلق

بقلم: أميمة محمد عزالدين

عندما يمرض الطفل نفسيا، فإن ذلك يعني أنه قطع شوطا طويلا من المعاناة المتراكمة التي تم إهمالها من قبل والديه. وغالبا ما يكون هذا الاهمال نتاجا لغياب المستوى الثقافي الضروري لفهم ومعرفة الارهاصات الاولى للانحرافات السلوكية عند الاطفال، مع التأكيد على أهمية تضافر جهود جميع الجهات المحيطة والمرتبطة بالسلوك (عائلة، روضة، مدرسة) بحيث تؤدى في النهاية الى منظومة تربوية سوية حقا.

لهذا يعطي علم النفس اهتماما كافيا بطبيعة العلاقات العائلية ويرصد مدى تأثيرها على نشوء الانحرافات السلوكية عند الاطفال.

العُصَابية: أسباب وعوارض

العُصابية هي نوع من التهيج العصبي الذي يكثر انتشاره في مرحلة الطفولة، ويمكن إضعاف أثره بصورة تدريجية مع تقدم السن اذا ما توافرت الشروط التربوية السوية في العائلة.

من الناحية التكوينية: ترتبط ظاهرة العصابية بالطفل منذ الولادة، من دون أن يعني ذلك بأن العامل الوراثي هو المسؤول عن وجودها بالرغم من ظهور تأثير محدد له، يطال النمط العام للاستجابة العصبية في العائلة التي يولد فيها الطفل.

ومن الأسباب المساعدة على ظهور العصابية يمكن ذكر تلك الحالة العصبية التي تواجهها الأم خلال فترة الحمل من جراء المنازعات والمشاحنات التي تواجهها سواء في العائلة أم في مكان عملها أم في أثناء تسوقها.

إن القلق الشديد الذي تسببه المعاناة، يؤدي الى تغيرات هرمونية في جسم المرأة الحامل مما يؤثر على شبكة الدورة الدموية ويترك مضاعفات مضرة على الانجاب وعلى تطور ضوابطه العصبية اللازمة للحمل، والطفل الذي يولد في ظل هذه الظروف ، يرتعش عادة من أقل الأصوات ضجة، عدا اضطراب في نومه النهاري أو الليلي. وقد تصبح هذه الأعراض العصابية أكثر وضوحا وبروزا بعد السنة الأولى من عمر الطفل، وتستمر هكذا طوال السنوات اللاحقة.

رعاية أطفالنا

إن الأطفال المصابين بالعصابية يحتاجون الى اهتمام ورعاية خاصين، لأنهم يتميزون عن غيرهم بحساسيتهم المفرطة وانفعالهم العاطفي الجامح، واستعدادهم السهل للاضطراب النفسي وشح الشهية وتعطل آلية النوم لديهم(٢). فهم ينتفضون من اللوم الموجه اليهم، فيتألمون بسرعة ويكون البكاء المتواصل أحد ردود أفعالهم الدفاعية الأولى. لذلك يجب على الوالدين أن يراقبا طفلهما جيدا، خصوصا في حالتيه الانفعالية والعاطفية، وأن يكونا على أهبة الاستعداد لتقديم كل العون له.

وغالبا ما يستصحب الأطفال المصابون بالعصابية. عدم تحمل الضجيج الملازم للأماكن المزدحمة بالناس، فتراهم يشعرون بالتعب وفقدان القدرة على تنسيق أفعالهم ومراقبتها، لذا ينصح بالرعاية المكثفة لهم ويتحقق ذلك فقط، عندما يقلع الوالدان عن استخدام أساليب معاملة التربية البدائية الفظة في علاقتهما كزوجين بعيداً عن المشاحنات والتوترات العصبية(٣) المستمرة التي تؤثر سلبا على التطور النفسي لطفلهما وتساهم لاحقا في تثبيت عصابيته وتحويلها الى عصاب مستحكم لا يمكن استئصاله الا بمساعدة مستمرة من الطبيب النفسي.

والاسلام دين يصلح للحياة وللآخرة، ولذا نجده اهتم بالطفولة ورعاها، ووضع لها قواعد. فقبل أن يولد الطفل، وعندما يذهب الرجل للبحث عن شريكة حياته وأم أطفاله، يجب أن يكون هدفه من الزواج بناء أسرة سعيدة صالحة، وهنا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد رسم الطريق للرجل في اختيار زوجته. فقال عليه الصلاة والسلام: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري].

وهكذا يجب أن يهيأ الجو للنشأة الصالحة. فالوراثة والبيئة إذا، تؤثران على سلوك الطفل وشخصيته وانفعالاته وطموحاته وصحته النفسية، وقد أطلق عليهما الامام الغزالي الطبع والتطبع، فالأول يورث والثاني يكتسب■

الهوامش:

(١) أحمد محمد عبد الخالق، قلق الموت، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٧م.

(٢) Kureshi, A. (1969) Neuroticism,anxiety, self. Concept, Indian Journal of clinical Psychology, P: 199.

(٣) أحمد مرعي، مجلة الشاهد، العدد ٦٢، ١٩٩٠م.

لابد وأن تكون لكل دعوة حجة دامغة، وبرهان قاطع تدليلا على صدقها وصحتها وابتغاء التصديق بها، وهذه الحجة وذلك البرهان يتمثلان في المعجزة التي هى أمر خارق للعادة يظهره الله عز وجل على يد نبيه ﷺ تأييدا لنبوته.

الإعجاز اللغوي في القرآن

بقلم: علي عبد الاله طنطاوي*

وغني عن البيان أن معجزة كل نبي هي من جنس مابرع فيه قومه ومانبغوا فيه، فموسى عليه السلام أرسل إلى قوم نبغوا في السحر فكانت معجزته الكبرى أنه ألقى عصاه فإذا هى حية تسعى تلقف جميع حيات السحرة، فآمن هؤلاء لأنهم أيقنوا أن ماجاء به موسى عليه السلام قد فاق قدرتهم ونبوغهم في فن السحر، وأنه من عند الله تعالى فخروا سجدا قائلين: ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ [الشعراء: ٤٧و٤٨].

وقد أرسل نبي الله عيسى عليه السلام إلى قوم نبغوا في الطب، فكانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما كان العرب قد ملكوا زمام الفصاحة والبيان، فقد جاءت معجزة رسول الله محمد ﷺ القرآن الكريم، ليتحدى العرب في فصاحتهم وبلاغتهم، حتى لايقال تحداهم في شيء لايعرفونه ولايجيدونه.

وقد جاء القرآن الكريم بمنهاج كامل للحياة، مصحوبا بحجج خالدة وقاطعة.

جاء معجزاً في بلاغة الأسلوب، وسمو المعنى، وجوا مع الكلم.

جاء معجزا في كلماته وحروفه.

جاء معجزا في قصصه عن الأمم السابقة والأنبياء والرسل الذين أرسلوا اليهم.

جاء معجزا بما حوته آياته الكريمة من العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادي للكون مما لم يكن للناس علم به وقت نزوله وبعده حتى عهد قريب.

جاء معجزا بما حواه من قواعد اجتماعية، وتشريعات حكيمة، ومثل عليا ابتغاء الوصول بالفرد والمجتمع الى درجة السمو والكمال الإنساني.

جاء معجزا بحكمه العالية، وبحقائقه المؤثرة في القلوب، والمطهرة للنفوس.

جاءت معجزته مناسبة لخلود رسالته، عامة كعموميتها، لايقيدها زمان ولا مكان فهى حجة على العرب وغيرهم من سائر الخلائق منذ نزوله إلى يوم الدين.

لقد زعم المشركون أن النبي ﷺ صبأ عن دينهم، وأنكروا نبوته وسفهوا رسالته، فجاء القرآن متحديا لهم بعد أن زعموا أن النبي ﷺ جاء به من عنده، وافتراه على ربه، فتحداهم بأن يأتوا بمثله. ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ [الطور: ٣٤].

وبعد أن عجزوا عن الاتيان بمثله تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ [هود:١٣و١٤].

وبعد عجزهم عن الإتيان بعشر سور تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [البقرة:٢٣]. وقوله عز وجل: ﴿أم يقولون إفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [يونس:٣٨].

ولقد حار المشركون، واضطربت أحوالهم، وباتوا يجادلون في الحق ولايجدون مايدفعونه به، فهاهو الوليد بن المغيرة يقول لزملائه من المشركين بعد سماعه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل:٩٠]: (والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني، أعرف رجزها وقصيدها، والله مايشبه الذي يقوله شيئا من ذلك، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، إنه ليعلوا ولايعلى عليه، وما يقول هذا بشر) [البيضاوي].

وهاهو عتبة بن ربيعة توفده قريش مفاوضا للنبي ﷺ على ترك دعواه، على أن يجمعوا له الأموال حتى يصير أغنى قريش، أو يسندوا له الرياسة التي يصبح بها أرفعهم مقاما وأعزهم ملكا، أو يتلمسوا له الطب حتى يبرأ من هذا الذي يأتيه فينطقه بكلام عجيب.

وبعد سماع الرسول ﷺ لما جاء بعد عتبة بن ربيعة قرأ عليه قول الله تعالى: ﴿حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيراً ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لايسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون. قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي انما الهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين﴾ [فصلت:١-٦].

*رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا

حتى وصل الى قـولـه تعـالى: ﴿فقل أنـذرتكم صـاعقـة مثـل صـاعقـة عـاد وثمـود﴾ [فصلت:١٣] فـانصرف عقبة مأخوذا بما سمع مـن جمال لفظ وسحر بيان وقال لقومـه - إني والله قد سمعت قـولا مـاسمعت مثله قـط، والله مـاهـو بالشعر، ولا السحر ولا الكهانة يامعشر قريش أطيعوني وخلوا مـابين هذا الرجل وبين ماهو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ. لقد أجـابني بشيء والله ماهو سحر ولاشعر ولاكهانة.

وقـرأ عليهم سورة فصلت حتى الآيـة ١٣ فأمسكت وناشـدت محمدا الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمـدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينـزل عليكم العذاب [رواه البيهقي]. وكما هـو ثـابت بكتب التاريخ فإن عقـلاء قريش وحكماءهم لم يحاولوا الإدعـاء بمجاراة القـرآن الكريم، ولم يتهـافت إلى ذلك إلا مسيلمة الكـذاب الذي قال لفض خلاف وقع بين أصحابه: (والذئب الاولم، والجذع الأزلم، ما انتهكت أسيـد من أحرم)، ويقـول في سخـافاتـه أيضا: (والليل الـدامس، والذئب الهامس، ماقطعت أسيـد من رطب ولايابس)، ومن قوله: (الفيل مـا لفيل، ومأدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل)، وقوله في الضفدع: (ياضفـدع بنت ضفدعين، نقي مـــاتنقين، ونصفـك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكـــدرين، ولا الشـــارب تمنعين) (١).

والنـاظـــر لهذه الأقـوال يجد الفـــرق شاسعا بين لغة القرآن الكريم التي تتسم بجزالة اللفظ وبلاغة القول وبديع النظم، وسمو المعنى، وجميل النسج وبين سجع مسيلمة الكذاب ،الواهي الـذي كله ركاكة واضطراب، ونسج مبتذل المعنى لاينهض ولايتماسك .

ومنذ رسـالة النبي ﷺ حتـى اليوم لم يستطع إنس ولاجان أن يأتي بسورة من مثله، وصدق اللـه العظيم حين قال: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يـأتـوا بمثل هذا القـرآن لايأتون بمثله ولـو كان بعضـهم لبعض ظهيرا﴾ [الاسراء:٨٨].

فقد مضت القرون إثر القرون دون أن نجـد من البلغـــاء من استطـاع أن يأتي بأسلوب يقترب من أسلوب القرآن.

هـذا فضـلا عن الـــروعـة التي تلحق بقلـوب سـامعيـــه، والهيبـة والخشيـة والرهبـة التي تعتريهم عند تلاوتـه، وقد أسلم الكثير بمجـرد سماع بعض آيـاتـه (٢).

والأسلوب القرآني يحمل في طيـاته من وسـائل إعجازه مـايترفع بـه عن بلاغـة البشر، وليس هـــذا راجعـــا إلى جمال أسلوبه، وبلاغة تصويره وحلاوة إيقاعه فحسب، بل يرجع إلى القوة المسيطرة على الحروف والكلمات والآيات التي تستـأثر بالقلوب

أنزل الله تعالى القرآن الكريم منهاجا كاملا للحياة مصحوبا بحجج خالدة وقاطعة

لاسيما عندمـا يتحدث ذو الجلال والإكـرام عن ذاته العليـة وصفاته القـدسية، وقـدرته وعظمته ولطفـه ورحمته التى وسعت كل شيء (٣). وأعجـاز القـرآن لايقتصر على ســوره وآيـاتــه وإنما يشمل كلماتــه وحروفه.

إعجاز الكلمات

إن كل كلمـة من كلمات القرآن الكـريم وضعها المولى عـز وجل بميـزان وحكمة، فنجـد الكلمات التي تتكـون منها الآيـات مرتبطـة إرتباطـا وثيقا لايقبـل التجزئة، بحيث لـو نـزعت كلمـة منهـا ثم نقبت معاجم اللغة للبحث عن كلمة أفضل منها في تأليفها وموقعها وسدادها لعجزت عن ذلك، ولـو وجد المعـانـدون والمكابـرون سبيلا إلى نقـض كلمة واحدة مـن القرآن لفعلوا.

وقـد نجـد في القـرآن الكــريم بعض الألفـــاظ التي لايستسيغهـــا السمع بمفردها، ولكنها إذا تليت في القرآن كانت من أعـذب الكلمات، ولـو بحثت في كتب اللغة عن لفظ اخـر، ماصلح لهذا الموضع غيرها، ولقـد كان العرب يئـدون البنات، ويبقون الـذكور، ويـزعمون أن الملائكـة والأصنام بنات الله، فنزل قوله عز وجل: ﴿ألكم الـذكرو له الانثى، تلـك إذا قسمة ضيزى﴾ [النجم:٢١و٢٢].

فكـانت غرابـة هذا اللفظ - ضيـزى - أكثـر الألفـاظ مـلاءمة لسخـافـة هـذه القسمة الجائرة، رغـم مافي أسلـوب هذه الآية مـن السخرية والتهكـم على القائلين بذلك (٤).

وقد وضـع اللـه جل وعلا كل كلمـة من كلمات القرآن في مكانها بحكمة بالغة فقد تحذف الكلمـة أو الكلمات من الآيـة دون أى تأثير على معنى الآية، هـذا فضـلا عما يتضمنـــه الحذف من روعـة الأسلـــوب وإنسجـامـه وآية ذلك قـولـه عـز وجل: ﴿ولما ورد ماء مـدين وجد عليـه أمة من الناس يسقـون - أي أغنامهـم - ووجد من دونهم امـــرأتين تـــزودان قـــال ماخطبكماقالتـا لانسقي - أي أغنامنا - حتى يصـدر الرعـاء وأبونـا شيخ كبير، فسقى لهما - أي أغنامهما-﴾ [القصص ٣٣و٣٤].

والمتأمل لهذا النص القـــرآني يجد أن المفعول قد حذف في ثـلاثة مواضـع دون إخلال بالإعجاز اللغـوي أو روعة البيان (٥).

والقرآن الكريم قد يقدم كلمة ويؤخرها في موضـع آخر حسب مقتضيات السياق، ومن ذلك قـولـــه عــز وجل:﴿ولاتقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ [الانعام:١٥١].

فقد قدم وعده بالرزق للآباء على وعده بـرزق الأبناء ومـرجع ذلك أن الخطـاب موجه للفقراء من الأباء وذلك خلافا لقوله

الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض

جل وعلا: ﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾ [الاسراء:٣١].

فقد قدم الله وعد الأبناء بالرزق على الآباء لان الخطاب موجه للأغنياء الذين يخشون الفقر بالصرف على الأبناء.

ومن أوجه الاعجاز اللغوي في كلمات القرآن الكناية حيث يستعمل اللفظ الذي يؤدي المعني المقصود وبأسلوب رقيق مهذب، ومن ذلك قوله تعالى في إباحة التيمم.. ﴿أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فأمسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا﴾ [النساء:٤٣]. والملامسة هنا كناية عن الجماع. ومثل قوله عز وجل: ﴿فلما تغشاها حملت حملا خفيفا﴾ [الأعراف:١٨٩].

والقصد أنه تدثرها لقضاء شهوته. وخلاصة القول أن كل كلمة من كلمات القرآن الكريم: كأنها قطعة من الماس يعطيك كل ضلع منها شعاعا، فإذا نظرت إلى اضلاعه جملة واحدة بهرتك بألوان الطيف جميعا (٦).

أعجاز الحروف

لو سقط حرف من حروف كلمات القرآن، أو أبدل بغيره، أو أقحم معه حرف آخر لأحدث ذلك خللا في نسق الوزن، وإنسجام العبارة ذلك أن وضع الحرف في موضعه إعجاز لانه يربط الكلمة التي هو فيها بما قبلها ومابعدها.

وقد يحذف الحرف في نهاية الكلمة كما في قوله تعالى: ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير﴾ [تبارك:١٨]، أي نكيري. وكما في قوله تعالى: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ [القمر:١٦]، أي انذاري، وقد يضاف الحرف في آخر الكلمة أو الكلمات كما في قوله تعالى: ﴿ماأغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه﴾ [الحاقة:٢٨و٢٩] والأصل مالي وسلطاني والإضافة للحفاظ على اتساق الوزن مع الكلمة السابقة، وفي قوله تعالى: ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ [الحاقة:٢٧] (٧).

اعجاز حفظه وخلوده

من معجزات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى حفظه من أن تعبث به أيدي الأعداء والحاقدين، فصانه مما حدث للكتب السماوية السابقة عليه وفي ذلك يقول

ف

كل كلمة من كلمات القرآن الكريم كأنها قطعة من الماس يعطيك كل ضلع منها شعاعا، تبهرك ألوان طيفه

ضي
لة الشيخ
محمد متولى الشعراوي:

* إن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل إختلافا آخر.. فكل رسول كانت له معجزة وكتاب ومنهج.. معجزة موسى عليه السلام العصا.. ومنهجه التوراة ومعجزة عيسى عليه السلام الطب ومنهجه الإنجيل لكن رسول الله ﷺ معجزته هي عين منهجه ليظل المنهج محروسا بالمعجزة وتظل المعجزة محروسة بالمنهج..وهنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخلة في نطاق التكليف.. يمعنى أن الله سبحانه وتعالى يكلف عباده بالمحافظة على هذه الكتب.. غير أنهم أدخلوا فيها هوى النفس وأخضعوها للتحريف.. ولكن عندما أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن قال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩] لماذا؟

اولا:لأن القرآن معجزة.. وكونه معجزة لابد أن يبقى بهذا النص وإلا ضاع الإعجاز.

وثانيا: لأن الله جرب عباده في الحفظ على الكتب السابقة فلم يحفظوها وحرفوها عن موضعها ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قرر أن يحافظ على القرآن ..فنجده الآن في كل مكان.في كل منزل ومكتب وسيارة.. حتى غير المسلم يحافظ عليه ويحفظه..فنجد شخصا ألمانيا يفكر مثلا في أن يكتب القرآن في صفحة واحدة وبشكل جميل، فلماذا يفعل ذلك مع القرآن قبل أن يفعله مع الكتب السماوية السابقة، ومالذي يجعل دولة كاليابان وايطاليا تتفننان في طباعة المصحف بشكل جميل أنيق.. إن ذلك يحدث لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن (٨).

الاعجاز الغيبي

من معجزات القرآن الكريم أنه تحدى في الإخبار بأمور غيبية يستحيل على البشر إداركها. فقد حث المشركين بما يجول في أنفسهم، وماهو في داخل حدودهم، والذي لم تهمس به شفاههم: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ [المجادلة:٨].

ولو لم تحدثهم أنفسهم بما ورد في القرآن الكريم لسارعوا الى نفي ذلك عنهم وكان ذلك أكبر دليل لكي يكذبوا الرسول ﷺ ويعلنوا أنه يقول كلاما غير صحيح.

ومن معجزاته الغيبية إخباره سلفا عن نتيجة معركة حربية ستقع بين قوتين عظميين قبل حدوثها بسبع أو ثماني سنوات وحدد المنتصر فيها وهم الروم عكس منطق الأمور الذي كان سائدا وقتئذ وعكس ماكان يتوقع البشر.

﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح

المؤمنون بنصر الله﴾ [الروم:١-٥].

ومن الأحداث المستقبلة التي أنبأ بها القرآن وعد الله عز وجل لرسوله ﷺ بدخوله المسجد الحرام ظافرا ومنتصرا: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين روسكم ومقصرين لاتخافون، فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ [الفتح:٢٧]. وقد حقق الله عز وجل وعده الذي جاء بكتابه.

ومن الأنباء الغيبية التي وردت في القرآن وعد الله جل وعلا لعباده المؤمنين باستخلافهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ [النور:٥٥].

ومصداقا لقول الله عز وجل دانت الجزيرة العربية كلها للمسلمين في عهد الرسول ﷺ ثم فتح أصحاب النبي ﷺ من بعده بلاد الفرس واقتطعوا الشام ومصر من ملك الروم.

وكقوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ [النصر:١و٢]. ولاجدال في أن المراد بالفتح في هذه السورة الكريمة هو فتح مكة وقد وقع ماأخبربه القرآن سلفا إذ فتحت مكة وتوافد الناس من أهل مكة والطائف على الدخول في الإسلام فوجا من بعد فوج في حياة النبي ﷺ.

وكقوله عز وجل: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [الحجر:٩] وكان المستهزئون نفرا من أهل مكة ينفرون الناس عن الرسول ﷺ ويؤذونه فهلكوا بضروب البلاء وفنون العناء وأتم الله عزو جل نور النبوة وأكمل ظهورها.

وكقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾ وقد تحقق ما وعد الله به نبيه ﷺ في كتابه الكريم وكانت الغلبة للمسلمين على الكافرين.

وكقوله جل وعلا: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة:٦٧] وقد تحقق ما أنبأ به القرآن وحفظ الله عزوجل رسوله ﷺ مع كثرة من قصد ضره وعصمه حتى انتقل من الدار الدنيا.

وكقوله تعالى: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر. سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر:٤٣و٤٤] وقد نقل عن عمر رضي الله عنه انه قال عندما نزلت هذه الآية: (لم أعلم ماهي حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول: ﴿سيهزم الجمع﴾ فعلمته) (٩).

وكقوله سبحانه: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة:٤ ١]، و

أقرّ جهابذة العربية في الجاهلية والإسلام، من المؤمنين والمعاندين بإعجاز القرآن الكريم اللغوي والبياني

قد وقعت هذه الأخبار وفق ما أخبر عنها القرآن.

وكقوله جل وعلا: ﴿لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون﴾ [آل عمران:١١١]، أي بالطعن بالقول وتخويف الضعفاء من المسلمين. وقد وقع ما أخبربه القرآن فقد أمن الله المؤمنين من ضرر اليهود وكانت الغلبة للمسلمين عند قتالهم ولم تحصل لليهود قوة أو شوكة بعد انهزامهم.

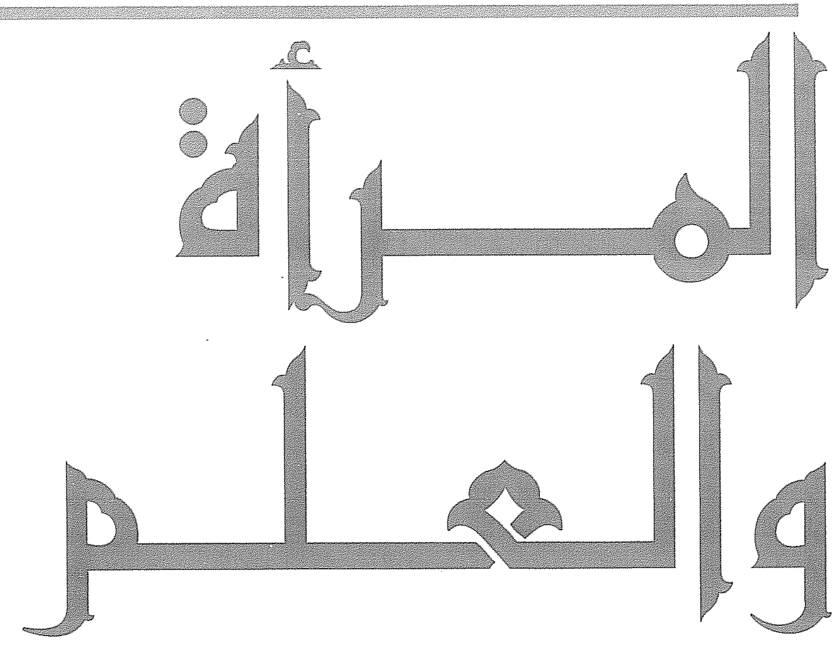
وكقوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [البقرة:٢٣و٢٤].

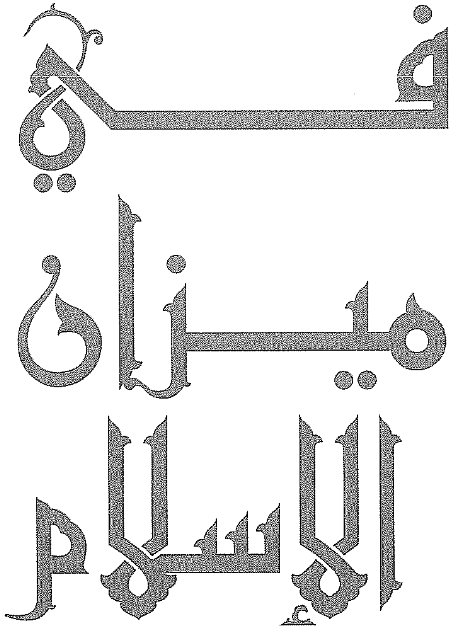
ورغم شدة عداوة مشركي العرب للنبي ﷺ وضراوتها وحرصهم على إبطال أمره فان القرآن الكريم تحداهم وقرعهم بقوله: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾، وذلك يجعلهم اشد حرصا لو كانوا قادرين على الاتيان بمثل القرآن أو بسورة منه لو استطاعوا ولكنهم لم يأتوا بشيء مما يظهر إعجاز القرآن ولوصح ما ادعوه من أن القرآن من عند النبي ﷺ لما بالغ في التحدي إلى درجة التقريع، ولو لم يكن صادقا في أمره لما قطع القرآن بأنهم لايأتون بمثله ومازال هذا التحدي قائما وسيظل إلى يوم الدين ولم يخل وقت من عهد النبي ﷺ حتى الآن من عداوة ضارية للاسلام والمسلمين ورغم اتساع العمران وتقدم العلم لم يستطع انس ولا جان أن يعارض ولو آية من آيات القرآن الكريم. وبالاضافة الى ماتقدم أخبرنا القرآن بأخبار القرون السالفة والأمم الهالكة وكما هو معروف كان النبي ﷺ أميا وقد تربى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام ولايعرفون الكتاب كما جهلوا العلوم العقلية ولم تثبت غيبته عن أهله إلا في رحلة قصيرة الى الشام بقصد التجارة ولم يفارقه رفاقه خلالها ولم يلتق بأحد من الاحبار حتى يقال أنه عرف منهم بعض اخبار هذه الأمم.

وهذه الامثلة ليست إلا نذراً يسيرا من فيض وفير مما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل □

الهوامش

١) إعجاز القرآن، للباقلاني.
٢) القرآن كتاب الله الخالد، للاستاذ فؤاد حسين طلبه.
٣) من كتاب دُرر منثورة في الادب العربي، للاستاذ عبد الله عفيفي.
٤) القرآن كتاب الله الخالد.
٥) المرجع السابق.
٦) من كتاب النبأ العظيم، للدكتور دراز.
٧) القرآن كتاب الله خالد.
٨) بتصرف من كتاب: معجزة القرآن.
٩) اظهار الحق، للشيخ رحمة الله الهندي، تحقيق د. احمد حجازي السقا.





المرأة والعلم في ميزان الإسلام

بقلم: حاتم محمد أبو العباس

تعددت أدوار المرأة في عصر النبوة وكان العلم هو الوسيلة المعبرة عن فكرها الناضج الذي يستمد دعائمه من خلال الإيمان بالله وبرسالة خاتم الأنبياء ﷺ، وكان لقيام الحضارة الإسلامية دور فعال في اتساع رقعة مهام المرأة وبخاصة في مجال التعليم والتعلم - حيث اتسم بالموسوعية في جميع مناحيه - فقد أسهمت في إثراء الحضارة الإسلامية بعطائها المتواصل وبجهدها الذي أنتج أجيالا صلبة تدرك رسالتها في الحياة.

العلم معان ودلائل

لاجدال في أن العلم هو السبيل الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى حيث إنه من أهم الأسس التي قامت عليها دعوة خاتم الأنبياء، فقد تعددت معانيه ولم تتباين أهدافه، لذلك نجد أن البدايات الأولى للرسالة النبوية تجعل من العلم القيمة التي تكفل للإنسان انسجاما في صلته بالخالق تبارك وتعالى وبحركة الكون، فإن أول آيات نزلت على قلب النبي ﷺ فسرت لنا هذه المعاني: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم﴾ [العلق:١-٥] ومن هذا المنطلق الفطري الذي يرتبط بجوهر الرسالة النبوية، اعتبر الإسلام العلم درجة أفضل من العبادة، لأنه يضع للمسلم أسس الخير مع نفسه وخالقه وحركة الكون، فتتكون بهذا نماذج تستقي وجودها من معاني هذا العلم الذي يعد وسيلة إلى معرفة الله، نرى ذلك جليا في أحاديث رسول الله ﷺ. فعن سعد بن أبي وقاص قال: قال النبي ﷺ: «فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»(١)، بل إن هناك حديثا يوضح درجة العالم مقارنا إيها بدرجة العابد حيث قال النبي ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير»(٢).

يقول الإمام الغزالي معقبا على هذا الحديث: (فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد من العلم، وإن كان العابد لايخلو من علم بالعبادة التي يواظب عليها، ولولاه لم تكن عبادة. وأهل العلم أولئك الذين استحقوا هذه المنزلة، أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل وكيف ذلك؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة)(٣).

الإسلام وتعليم المرأة

لقد أجزل الإسلام الثواب والعطاء لطالب العلم لذلك نجد النبي ﷺ يوجه الأمة إلى تعلم العلم حيث لا يفصل بين الرجل والمرأة، وإنما يجعل منهما الثنائية التي تجتمع على ميثاق واحد من الشرعية، لأنهما يكوّنان البنية الأساسية لحركة الكون، بل يجعل من المعطيات الكونية عنصرا مشاركا ينطق بلسان السماء، ويعبر عن عطائها لمن يقوم بتعلم العلم، فعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر»(٤) نجد أن لفظ مسلم في الحديث يستغرق الرجل والمرأة على السواء، حيث إن المرأة داخلة في هذا التعميم.

وإذا تأملنا الإطار الذي رسمته الشريعة الإسلامية للمرأة من خلال دائرة التكليف، نلاحظ أن التباين لم يكن في الأصول بينها وبين الرجل وإنما اقتصر على أحكام فرعية قد ميزت بينهما، ليتوافق كل حكم من هذه الأحكام

الفرعية مع الطبيعة البشرية من حيث الذكورة والأنوثة.

وإذا أمعنا النظر في شريعة الإسلام من خلال مجالات التكليف للمرأة نجد أنه ليس هناك انفصام بينها وبين الرجل وإنما عليها مثل ما على الرجل من تكليف عيني في الشعائر المسنونة (الذكر، الصلاة، الصيام، الحج) وفي الأخلاق والمعاملات (الصدق، العدل، البر، الإحسان، التقوى، الأدب) وفي الحياة العامة (الصبر والهجرة إزاء الكافرين والموالاة والطاعة إزاء جماعة المؤمنين) وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب/٣٥].

حقيقة إن دور المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية يحتاج إلى علم يرتكز على معطيات لاتخل بالإطار الذي رسمته شريعة الإسلام لها، حيث إن الأصل في الأحكام هو اتحاد الشريعة وعموم الخطاب، ولم يثبت هناك أي تخصيص أو تمييز، وإذا عدنا إلى عصر النبوة وجدنا مجالس العلم كانت تقام بين يدي رسول الله ﷺ وكانت السيدة عائشة تتصدى للفتوى، وكانت النساء تجادلن برأيهن بين يدي رسول الله ﷺ وخلفائه حيث إنه دين يقرر الحوار ولاسيما في مجالات التعليم والعلم بين المرأة ومثيلاتها.

فضل تعليم المرأة

لاشك أن تعليم المرأة يعد من العناصر الأساسية التي تكوّن شخصية ذات معالم مضيئة، حيث إن العلم هو الوسيلة إلى تقويم السلوك البشري وتهذيب النفس وتثقيف العقل وإلى وضع المقاييس والمعايير الصحيحة التي تتصل بالهدف الحقيقي لوجود المرأة في هذا الكون، والتي تكفل لحركة هذا الكون استمرارا يستمد حيويته من خلال شرائع السماء، لقد اعتبر الإسلام التعليم من المكوّنات الأساسية لشخصية المرأة التي نشأت في بيئة ذات تربية إسلامية سليمة، حيث قال النبي ﷺ: «من كان له أختان أو ابنتان، فأحسن إليهما ما صحبتاه، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وفرّق بين إصبعيه»(٥) بل اعتبرها الإسلام ذات مسؤولية تقوم عليها بيئة المجتمع الإسلامي والتي قد وضع لنا معالمها النبي ﷺ في حديثه الشريف: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»(٦) وهي مهمة متعددة الجوانب منها الاقتصادي والصحي والاجتماعي والتربوي والنفسي والإداري، وأهمها مكانتها من طفلها وهو في دور امتصاص الإيحاء والسلوك والأفكار والأخلاق، وهذا يترجم إلى

> [أهل العلم أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم) [الإمام الغزالي]

التزامات تندمج فيها بفكرها ووجدانها حتى تحقق نموذج القدوة الحسنة.

(وهذا الاعتبار – أنها ذات مسؤولية – له أثره في حياتها الفكرية والنفسية، فإن الإحساس بالمسؤولية هو في الواقع إحساس بالذات وباعث الاستجابة إلى الواجب، ومن ثم فهو مناط الإحساس بالكرامة وأهمية الوجود. ذلك إلى أنه ينبه فيها جوانب غافلة أو خاملة إلى التزامات في آفاق عدة، فتدب في نواحي النفس ألوان من النشاط والحركة ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر. فهو اعتبار له أثره في دعم الوجود واكتمال الشخصية)(٧).

وأما بالنسبة للمقومات التي يجب أن تتوفر لها للقيام بهذه المسؤولية فهي (العلم بدينها وكل معرفة تثير ذهنها وتقوِّم ضميرها وتصلها بآفاق الحياة العامة وتبصِّرها بأصول مهمتها وأهداف زوجيتها وأموميتها الروحية والاجتماعية. وواجبها في توفير الظروف الحسية والنفسية لعمل كل من قانوني الزوجية والأمومة وحقيقة إنسانيتها ورسالتها التي يجب أن نحققها بها في الحياة)(٨).

> «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» [حديث شريف]

العلوم التي يجب أن تتعلمها المرأة

لقد قسَّم العلماء العلم الذي ينطبق عليه الفرض إلى ثلاثة أقسام:

أ) الآية المحكمة: التي توضح الحلال والحرام في الإسلام.

ب) السنة القائمة: التي تفصِّل كتاب الله وتوضح مجمله.

ج) الفريضة العادلة: التي تعطي كل ذي حق حقه ويدخل في إطار الفريضة على المسلم ما أطلق عليه العلماء اسم فرض الكفاية، الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو تعلم ما تقوم به مصلحة المسلمين ولا غنى لهم عنه.

ويحدثنا الإمام الغزالي في هذا الصدد فيقول: (أما فرض الكفاية – أي في العلم – فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. هذه العلوم التي لو خلا البلد ممن يقوم بها لأحرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض عن الباقين، فلا تعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات، كما أن أصول الصناعات من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة، بل والحجامة والخياطة) وماذكره الغزالي هو على سبيل المثال لا الحصر.

فتعليم المرأة هذه العلوم وغيرها من علوم فرض الكفاية داخل في هذا الاختصاص، وكما تقول القاعدة الفقهية (ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب) فعلوم اللغة العربية تعد مدخلا لفهم الآية المحكمة والسنة القائمة، وإذا تحدثنا بمفهوم الاختصاص في توزيع فروض الكفايات لوجدنا أن اثنين على الأقل

المرأة والعلم في ميزان الإسلام

مما ذكره الغزالي داخل في صميم اختصاص المرأة، فالأول: هو الطب والثاني: هي الخياطة، فلا جدال أننا في حاجة إلى الطبيبة التي تعالج أمراض بني جنسها، وكذلك المعلمة التي تعلم البنات في مختلف المراحل التعليمية فهي قادرة على فهم مشاكلهن والوصول إلى مداركهن من خلال الإحساس بها وتحمل تبعة مهامها الجسيمة التي تقع على عاتقها من تربية وتعليم وتهذيب وتقويم وإبراز للقيم والمبادىء الإسلامية.

فكل ذلك يفرض عليها إحاطة جيدة بعالمها وما استحدث في مجالها العملي من علوم مثل اضطلاعها بعلوم النفس والاجتماع وعلوم تنمية شخصية الطفل، وعلوم استخدام وسائل الاتصال الحديثة من صحيفة وتلفاز وحاسب ألكتروني في الدعوة والتعليم، وكل هذه المجالات تتفق مع طبيعة المرأة من الناحية النفسية والاجتماعية والإنسانية، وهذا يعتبر تحديدا لمعالم المنفعة التي تجد المرأة كيانها من خلاله في مجتمعها المسلم.

دور الأوائل في التعلم ونشر العلم

إن دور المرأة المسلمة عبر التاريخ البشري يعتبر سجلا حافلا بالانجازات في مجالات عديدة، ومن هذه النماذج السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث كانت متبحرة في الفقه والطب والشعر كما أنها كانت حافظة لأكثر من ثلث أحاديث رسول الله ﷺ، وقد تحدث عن علمها كثير من الصحابة حيث يقول أحدهم: (ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولابطب ولا بشعر من عائشة) وكذلك قال الزهري: (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل).

ومن هذه النماذج نجد في عصر النبوة أسماء بنت أبي بكر، وأم عطية الأنصارية، وأم سليم، وأم الدرداء، وفاطمة بنت قيس، وكن جميعا من راويات الحديث، وإذا راجعنا طبقات النساء المحدثات في مسند الإمام أحمد من التابعيات لوجدنا أنه يضم وحده خمسين تابعية، ونذكر منهن على سبيل المثال: حفصة بنت سيرين، وزينب بنت المهاجر، وصفية بنت شيبة.

وكذلك كان في الأندلس أيام الخلافة الأموية نحو ستين فقيهة، ومن أبرزهن فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي صاحب كتاب (تحفة الفقهاء) والتي قد تفقهت على أبيها، وحفظت تحفته، وتزوجها علاء الدين بن أبي بكر صاحب كتاب

الرجل والمرأة يشتركان في أصول الأحكام وقد يفترقان في بعض الفروع نظرا لاختلاف طبيعة كل منهما

في عصور الإسلام الزاهرة كانت المرأة أستاذة الرجال والنساء

(البدائع) وعندما كان زوجها يخطيء ترده إلى الصواب.

ومن أهم ما يميز هؤلاء الفقيهات في العصر الأموي أنه كانت توقد على بيوتهن السُّرُج دلالة على أنهم أهل الفتوى والفقه.

لهذا يجب على المرأة المسلمة اليوم أن تكون امتدادا لهذا الجيل من الصحابيات والتابعيات اللاتي حملن الرسالة المنوطة بهن وكن مثالا يحتذى به في كل زمان ومكان.

دور المرأة المسلمة اليوم

على المرأة المسلمة اليوم وهي تواجه تحديات عدة تريد أن تبعدها عن دينها وأن تجعل منها نموذجا تافها مقلدا للمرأة في الغرب الأوروبي لذلك يجب عليها:

١) أن تفهم الإسلام بشكله الواضح المتكامل، دون تجزئة ولا تفتيت لمعالم جوهره، فتحث الخطى لمعرفته وتطبيقه في أنواع من السلوك وألوان الحياة المختلفة.

٢) وأن تتفاعل مع مجتمعها بشكل إيجابي، فتدعو بسلوكها، وكونها قدوة ومثلا واقعيا فتدرك حقائق الحياة بكل مستجداتها ومتغيراتها، كما تعلمتها من الإسلام.

٣) وأن تنظر إلى مشكلات السلوك والفكر في مجتمعها برؤية شمولية وبشكل يتوافق مع التصورات الإسلامية للحياة من أجل أن تزداد وعيا بهذه الحياة وفهما لها.

٤) وألا تتأثر بالثقافة الغربية فكرا وسلوكا، لأنها تعد نوعا من التغريب داخل المجتمع الإسلامي وذلك بأن تحيا مكرَّمة ترتدي زي الإسلام، وتكون بعيدة عن النظرات المستهينة والمواقف المبتذلة

٥) أن تتخذ العلم وسيلة من وسائل التسلح بالإيمان الذي يصل الإنسان بربه.

٦) وأن تكون طبيعة منهجها التعليمي ومضامينه الاجتماعية والسياسية والعقائدية معبرة عن الفكر الإسلامي المستنير وعن الأوعية التي يستقي منها هذا الفكر أهدافه واتجاهاته وأسسه وقيمه□

الهوامش:

(١) صحيح الجامع للألباني (٤٢٢٤).

(٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني (٤٢١٣).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (١/٧، ١١).

(٤) صحيح الجامع (٣٩١٤).

(٥) الأحزاب، آية ٣٥.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١٠٢٦/٣).

(٧) رواه البخاري ومسلم.

(٨) انظر: الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة،

راحتنا الصلاة

شعر: عبد الله القولي

إذا اشتد العنا(١) هبّت شكاة ... فأنقذنا(٢) فراحتنا(٣) الصلاة

إلهي أنت للعباد عون ... بفضل الله كان لهم ثبات

فكم صلة إلى الرحمن مُدَّت ... من الآفاق يزجيها(٥) التقاة

أقمناها إله الكون طوعا ... عسى تحنو على الحوض(٦) السقاة

نسبح خالقاً أحداً تعالى ... فتسمو الروح تنفحها الهبّات(٧)

هبات من كريم(٨) مستجيب ... عطايا ليس تدركها الحصاة(٩)

نعظم ربنا طوعا وكرها ... قويا ليس يعجزه العتاة(١٠)

وندعو ربنا حالا(١١) وقالا(١٢) ... وتشهد ذكره منا الغداة(١٣)

وليل ننصب القامات فيه ... بحمد الله ما لانت قناة(١٤)

أقمناها عمود الدين(١٥) خمسا ... فتنهانا عن الفحشا الصلاة

وتحدونا(١٦) إلى الخيرات طرا ... وتسعدنا وقد جهل العصاة

وصلينا كما المختار صلى ... فهادينا تضيء به الحياة

نقلده عسى الرحمن يرضى ... وتسعدنا بشرعته(١٧) الصفات

فسجدتنا بها عز تسامى ... وركعتنا بها انتصر الدعاة

وجبهتنا بها آثار قربى ... وأنوار يروح بها الهداة

هدية ربنا فرضت علينا ... بمعراج الرسول لنا عظات

فتاركها على جحد كفور ... وفي نار له حقا ثبات

ومتقنها له منها خشوع ... وكم صلحت من الإحسان ذات

تقبلها إله العرش منا ... مقربة تكون بها النجاة

الهوامش:

(١) العنا: مقصور العناء وهو التعب، والمقصود هموم النفس ومشقات الحياة.

(٢) جاء في الأثر أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

(٣) وجاء في الأثر أيضاً أن النبي ﷺ كان إذا دخل وقت الصلاة قال: «أرحنا بها يا بلال» أو كما قال ﷺ.

(٤) جاء في التنزيل العزيز: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة:٤٥].

(٥) يزجيها: يرسلها.

(٦) الحوض: المراد حوض الكوثر الذي أكرم الله تعالى به نبيه وصفيه محمدا ﷺ في الجنة.

(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه» [رواه البخاري]. ومعنى الملائكة تصلي: أي تطلب المغفرة ورحمة الله.

(٨) وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح».

(٩) الحصاة: العقل.

(١٠) العتاة: الجبارون.

(١١) حالاً: المقصود سلوكا وفعلاً.

(١٢) قالا: قولا.

(١٣) الغداة: الصبح.

(١٤) قناة: المقصود بها قامة الجسم.

(١٥) عمود الدين: الصلاة، وفي الأثر الصلاة عماد الدين.

(١٦) تحدونا: تحثنا وتدفعنا.

(١٧) بشرعته: بشريعته ودينه.



● الشيخ أحمد يسوي

الصحوة الإسلامية في بلاد تركستان

بقلم:
الدكتور عوني الخان*

بعد نكبات عديدة حلت بالمسلمين في العالم الإسلامي، ومازال بعضها يُنْزف قلوبنا دما، وقعت في السنوات الأخيرة في العالم الإسلامي أحداث هامة وسارة في نفس الوقت، فعلى رأس هذه الأحداث يأتي انتصار المجاهدين الأفغان على أقوى جيوش العالم الجيش الأحمر السوفيتي، فإن هذا الانتصار ليس انتصاراً خلَّص بلاد الأفغان من وطأة الاحتلال الأحمر السوفيتي فحسب، فإنه أحد أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار امبراطورية الاتحاد السوفيتي.

تحدث الآن بين شعوب البلاد الاسلامية القديمة في الدول الإسلامية الحديثة التي ظهرت عقب انهيار الاتحاد السوفيتي تطورات سارة جداً، فإن الهيئات والوفود الإسلامية التي تقوم الآن بزيارات إلى هذه البلاد تعود بمشاعر وانطباعات مبشرة.

أصالة الإسلام ورسوخه

هذه الشعوب التي تربت ونشأت تحت وطأة التعاليم الإلحادية والدعايات اللادينية منذ أكثر من سبعين سنة، تعلن الآن انتماءها للإسلام وانتسابها إلى العالم الإسلامي، ورغم إمكانياتهم الضيقة فإنهم يحاولون أن يبنوا مساجد ومدارس دينية متواضعة(١).

رغم حملة تعليمية مادية ورغم حظر تام على التعليم الديني دام أكثر من سبعين عاماً فكيف يستطيع هؤلاء الناس أن يعلنوا عن تمسكهم بحماس وافتخار، وكيف أمكن بقاؤهم على عقيدتهم الحنيفة...

يمكن إرجاع ذلك التمسك إلى سببين رئيسيين، فهذان السببان متعلقان ببعضهما، أولهما: استمرار التلقينات الدينية حتى في أصعب الظروف وأخطرها، فقد كان الأجداد والجدات يهمسون في آذان أبنائهم وأحفادهم بأن دينهم الإسلام مسلمون، وأن الذين يجيدون الكتابة العربية كانوا يكتبون ما في ذاكرتهم من السور القرآنية لكي يحفظ أبناؤهم وأحفادهم حتى يقرأوها في صلواتهم وبهذا كانوا يحولون دون ابتعادهم عن دينهم وعقيدتهم، وإلى جانب ذلك، العاداتُ والتقاليد الإسلامية التي كانوا يعيشونها في حياتهم اليومية ولم تكن محظورة عليهم كانت تساعدهم على تمسكهم بكيانهم الإسلامي، وإلى جانب ذلك نقطة مهمة أخرى أن في هذه التقاليد الصوفية والتي ترجع إلى السنوات الأولى لانتشار الإسلام، هذه التقاليد كانت تصاحب معها

---

*الأستاذ المساعد بكلية الإلهيات جامعة التاسع من سبتمبر - أزمير

ظاهرة الانتساب والتبعية للعلماء والمشايخ القدماء.

وثانيهما: وجود أسماء ومراقد العلماء والمحدثين والمشايخ الذين نشأوا في هذه البلاد مثل الإمام البخاري والإمام الماتريدي والإمام السمرقندي والبيروني وأمثالهم، ومن بين هؤلاء العلماء عالم جليل له تأثيره العميق ومكانته الخاصة بين شعوب هذه المناطق، ولم يزل تأثيره منذ ألف عاما قائماً بين هذه الشعوب بأشعاره الملهمة والمرشدة، هذا العالم هو الشيخ أحمد يسوي.

الشيخ أحمد يسوي

ولد الشيخ أحمد يسوي في بلدة صيرم قرب مدينة جيمكنت الواقعة في جنوب قوزاقستان، ولا يعرف تاريخ ميلاده بالتحديد، يعتقد أنه ولد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، سبب اشتهاره بلقب يسوي يرجع إلى استيطانه في مدينة يسي المعروفة الآن باسم تركستان. وتلقى تعليمه الابتدائي في يسي، وفقا للمناقب المنسوبة إليه ظهرت كراماته منذ حداثة سنه. انتسب في شبابه إلى شيخ يسمى آرسلان بابا. انتقل أحمد يسوي إلى مدينة بخارى بعد وفاة شيخه آرسلان بابا، وانتسب إلى الشيخ يوسف الهمداني(ت٥٥٣هـ/١١٤٠م) المبحر في العلوم الظاهرية والباطنية والمعروف بخدماته التدريسية والإرشادية. حذا حذو شيخه تماماً، وتمسك بالأحكام الشرعية والسنة النبوية ومبادىء المذهب الحنفي تمسكا قويا. بعد وفاة شيخه عاد إلى يسي وبقي هناك قائما بالدعوة والإرشاد حتى وفاته في تاريخ ٥٦٢هـ/١١٦٦م.

سبب تأثيره وبقاء هذا التأثير إلى يومنا هذا في مسلمي آسيا الوسطى وسيبيريا والأناضول وآذربيجان والبلقان يرجع خاصة إلى إلى أشعاره البسيطة الخالصة والمعلمة التي يفهمها الخاصة والعوام بسهولة، وإلى شخصية أحمد يسوي المخلصة المثالية. الشيخ يسوي كان يعلم مبادىء الإسلام لتلاميذه في حلقات دروسه بأشعاره التي سماها «الحكمة» وهاك نموذجا من شعره:

إلى السلاطين الذين يدعون ملكية الدنيا،

الى الذين يكنزون أموال العالم بغير حدود،

إلى الذين يشغلون أنفسهم بالأكل والشراب،

عندما يحين أجل لا يبقي منها شيء،

أيها الأصدقاء المغرورون الساهرون،

كاذبين يوما وليلة، نائمين في غفلة،

سيأتي ملك الموت يوما بدون إنذار،

لا يليق المشي في الأرض هكذا بغفلة.

أيها العبد الشيخ أحمد، انتظر موتك،

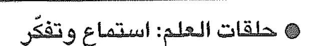
استعد للرحيل إلى الآخرة،

مازلت تقف في بداية الطريق على أمل الوصول،

إذا أتى ملك الموت لا يدع لك فرصة.

آلاف من مريديه وتلاميذه الذين نشأوا على يديه أو في كنفه انتشروا في هذه البلاد وكل واحد منهم داعية مخلص، خاصة بين الأتراك الرحالة الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً.

الشيخ يسوي مع شهرته الرائعة رغم الإمكانات المتاحة له كان يعيش على عمل يديه، كان يصنع المعالق والمغارف من الخشب ويبيعها، كان يُضْرَب به المثل في شغفه بحب النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكه بسنته ﷺ، حينما بلغ الشيخ يسوي ٦٣ من عمره بنى حجرة تحت حديقة زاويته التي كان يزاول منها نشاطاته الإرشادية وكان ينزل إلى هذه الغرفة عن طريق السلم، ودخل في هذه الحجرة ولم يخرج منها حتى وفاته، إذ أنه كان يرى أن يتمتع من نعم الدنيا والبقاء فيها أكثر من النبي عليه الصلاة والسلام، إساءة للأدب وعدم الاحترام له عليه الصلاة والسلام ويُروى أن حياته بعد انعزاله واعتكافه في حجرته دامت عشرين سنة.



● حلقات العلم: استماع وتفكّر

واجبات تجاه الصحوة

ما أجمل صحوة الإسلام بعد حملة مضنية دامت أكثر من سبعين سنة لمحو الدين ودعايات متواصلة لتوطيد الإلحاد وبعد إغلاق المدارس والمساجد والمؤسسات الإسلامية.

في هذه المرحلة الحساسة، على عاتقنا نحن المسلمين ولاسيما مسلمي تركيا واجبات مهمة جدا.. هؤلاء الناس الذين أعلنوا تمسكهم بإسلامهم بافتخار وامتنان محرومون من أبسط المعلومات الدينية، فهم يريدون أن يصلّوا ولكن لا يعرفون كيف يصلّون وماذا يقرأون في صلواتهم. فهم يطلبون من الأساتذة والمعلمين الذين سيعلمونهم ما يتعلق بدينهم من العبادات ونحوها...

باختصار فهم يريدون من المرشدين الذين يرشدونهم في حياتهم الدينية الجديدة، هذه البلاد التي تشكل جزءاً كبيرا من جغرافيا العالم الإسلامي تحتاج الآن إلى الذين يخدمون فيها بنفس الروح والحماس اللذين كان أحمد يسوي يتمتع بهما حينما كان يعمل لإعلاء كلمة الله في هذه البلاد، فهذه الخدمة في نفس الوقت دين الوفاء بهذه البلاد ذات التاريخ المجيد.

إذن فهيا بنا إلى الخدمة... ومَرْحَى بإخوان العقيدة وطلائع النور□

الهوامش:

(١) بهذه المناسبة نبشر بأن مسلمي تركيا سيبنون في هذه البلاد في القريب العاجل ٦٠٠ - ٧٠٠ مدرسة عن طريق حملة تقوم بها رئاسة الشؤون الدينية التركية.

(2) Alexandre Bennig- -Chantal Lemerciler-sen Quelqueejay,
صوفي وقوميسر، (ترجمه إلى اللغة التركية، عثمان تورر) انقرة، ١٩٨٨، ص: ٢٧١،٢٥١.

آثار المخدرات الضارة تفوق المخاطر النووية

بقلم: محمد محمد عيسوي الفيومي
ماجستير التربية والصحة النفسية

يجابه العالم حاليا عدوا يدمر اقتصاديات الأمم ويحطم أخلاقيات شبابها ويتجه بهم إلى التخلف والهاوية، ويطعن الشعوب في أغلى ماتملك من الثروات وهي ثروتها البشرية، هذا العدو يتمثل في المخدرات بأنواعها سواء الطبيعية كالنباتات أو الصناعية كالاقراص والمواد الكيماوية والكحولية تلك التي تتفق جميعها على تدمير جسم وعقل متعاطيها، ولذلك جاء تحريم الإسلام لها قاطعا وصريحا وواضحا في قوله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩٠و٩١]. وكذا في حديث الرسول ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» [أخرجه مسلم]..

ذلك لأن المخدرات لها آثار ضارة بالعقل منبع الحكمة ومصباح الهداية ونور البصيرة ووسيلة السعادة للانسان في الدنيا والآخرة وبه امتاز الانسان عن غيره من سائر المخلوقات مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء:٧٠]..

فكلما أعمل الإنسان فكره وعقله وتصرف ببصيرته ووعيه حظى بالأمن ونعم بالسلام والاستقرار، ومن هنا أمر الاسلام بحفظ العقل ومنع أي أعتداء يقع عليه أو يؤدي الى اتلافه وانتقاصه تكريما وتفضيلا للبشرية وتحقيقا للمصالح العامة التي تقوم عليها حياة الناس والمحافظة على العقل تقضي بالحيلولة بين العقل وأن تناله آفة تعجزه أوتتلفه أو تجعل صاحبه مصدر شر وأذى على المجتمع، ومن أجل ذلك عاقبت الشريعة الإسلامية متعاطي المخدرات أيا كان نوعها.

المخدرات تسرى سريان السم

في الآونة الأخيرة نشطت أسواق المخدرات وانتشرت منافذ السموم، ومما يدعو للقلق أن هذه السموم انتشرت بين صفوف الشباب والطلاب وسرعان ماسقطت الضحايا نتيجة هذه السموم التي خربت العقول ودمرت النفوس وأزهقت الأرواح وسرى ضررها وخطرها في المجتمع سريان النار في الهشيم. وهل من العقل والمنطق أن ينحدر الانسان بعقله ورشده، بعد أن كرمه الله وفضله فيدمر حياته بنفسه ويلغى علقه وهو أشرف عضو فيه، وقد ثبت أن المخدرات تؤدي إلى إخماد جذور الفكر وتطفىء سراج العقل وتقتل الإرادة وتميت العزيمة وتضعف الشخصية وتذهب بالأخلاق الفاضلة وتؤدي إلى الخنوع والانحلال وانهيار القوى وهدم بنية الجسم والبدن وفتور الأعضاء..

وجدير بالذكر أن الإسلام قد أولى اهتماما كبيرا بالعقل ودعا إلى المحافظة عليه إلا أنه من المؤسف أن يتنكر الإنسان لهذه النعمة العظيمة التي كرمه الله بها فيبدد هذه الطاقة من العقل والفكر والإدراك والوعي وراح يدمرها بالسموم والمخدرات ويطفىء فيها نور الإيمان واليقين ويغلفها بطلاء من الدنس والرجس.



● الإدمان، مشكلة الشباب الأوروبي

المخدرات عدو يدمر اقتصاديات الأمم ويحطم أخلاقيات شبابها وينتجه بهم إلى التخلف والهاوية

عوامل ودوافع انتشارها

المعروف أن تناول المخدرات عادة يكتسبها الفرد خلال حياته ومعنى ذلك أنها ليست وراثية أو فطرية بحيث يولد الفرد مدمنا أو مكرها على تناول المخدرات والدليل على ذلك أن هناك من يتعاطى المخدرات ومن لايتعاطاها وهو أمر لايوجد في حالات السمات الوراثية التي يولد الانسان مزودا بها، أوعلى الأقل مزودا بجذورها عند الميلاد كالأكل والشرب والجنس والاخراج والنوم وهى حاجات توجد عند جميع بني البشر بصرف النظر عن اختلاف بيئاتهم الثقافية والحضارية لان الحاجات الفطرية تكون واحدة عند كل أفراد الجنس تكون لازمة لحفظ بقاء النوع..

ولاشك أن عادة انتشار المخدرات بين المراهقين والشباب لها أبلغ الاضرار وجديرة بالاهتمام من قبل الآباء والمربين حتى يمكن السيطرة عليها والقضاء عليها في مهدها. وغالبا مايكون تعاطي المخدرات عرضا لبعض الظواهر ولذلك ينبغي معرفة الدوافع وراء المخدرات ومحاولة ازالة الدوافع من أساسها فقد يلجأ الفرد الى المخدرات نتيجة لعدم شعور المراهق بالسعادة وتصبح المخدرات المنفذ الوحيد أونتيجة لاضطرابات في محيط الاسرة، وقد تكون نتيجة لفقدانه التوازن حيث يريد الشاب أن يحتل مكانه في المجتمع غير أن المجتمع ينظر إليه على أنه مازال صغيرا مما يعمق لديه الشعور بالنقص ويريد أن يعوضه و ويؤكد ذاته فيجرفه تيار المخدرات..

وقد تكون بدافع التقليد أو نتيجة لاختلاطه بغيره من رفقاء السوء لأن علاقة (الشلة) تؤثر في أفرادها نتيجة تفاعل الفرد مع الجماعة التي ينتمي إليها ومسؤولية الأسرة هنا في اختيار الجماعة الصالحة التي ينتمي إليها الابن، وقد تكون نتيجة لحب الاستطلاع إذ يتناول الفرد المخدرات لأول مرة بغرض معرفة مذاقها ثم سرعان مايجرفه التيار فيصبح من المدمنين، وربما كان نتيجة الاعتقاد الخاطيء بأن المخدرات لها علاقة بالجنس أو نتيجة لضعف الوازع الديني والاعتقاد بزيادة القدرة على السهر والانتاج، كما أن ضغوط الحياة أو كثرة الاعباء أحيانا تدفع بالفرد إلى تعاطي المخدرات هربا مما يعانيه من أعباء نفسية وربما لكثرة المال في يد الشباب المدلل قليل الخبرة حيث يجد لديه وفرة من الوقت يريد أن يلهو فيها.

آثار المخدرات الضارة

لقد أكدت الابحاث أن تعاطي المخدرات بالاضافة الى انها محرمة شرعا - لما تحدثه من أضرار جسيمة على الفرد والاسرة والمجتمع - فانها تؤثر تأثيرا سيئا على صحة الانسان البدنية والعقلية، فهى تؤثر مباشرة على الجهاز العصبي ومراكز التفكير والجهاز الهضمي والدم وتسبب هبوط القلب وتذهب بالعقل وتفقد الوعي وتضعف قدرة الفرد فيصبح المدمن شخصا مهزوزاً غير متوازن كسولاً متواكلاً مهملاً منحرف المزاج، وتؤدي إلى الاصابة بمرض السل وتضعف الذاكرة، وتقلل الشهية و تعيق التنفس، وتهيج الأعصاب وتحدث انحطاطاً عاماً في الجسم، وتساعد على الاصابة بضغط الدم، وتمييع الخلق وتحلل الإرادة وتضعفها، ويصبح الفرد عبدا للعادة السيئة ويتعود على ا لكسل والاسترخاء وتقضي علي كل مظاهر الحيوية في الإنسان، وتقلل من قوة التحمل وتؤدي إلى سرعة الغضب الذي هو آفة مذمومة وتجعل لدى الفرد قابلية للايحاء، كما تؤكد تقارير الصحة العالمية أن الوفيات بين المدمنين الذكور تزيد ٦٨٪ عنها بين غير المدمنين..

المخدرات تدمر الاقتصاد

ان ماينفق من أموال على المخدرات يعتبر اضاعة للمال في أضرار يعود أثرها السيء على الفرد والأسرة والمجتمع، وهو إسراف دون مبرر ونوع من الاستهلاك والتبذير الذي نهى عنه الإسلام، وقد يؤثر ذلك على حياة الأسرة وربما دفعه إلى الانحراف عن الطريق السوي فيلجأ الى الرشوة والسرقة وبذلك يعود الضرر على الأخلاق

آثار المخدرات الضارة تفوق لمخاطر النووية

والفرد والمجتمع فضلا عن أن المخدرات تضعف البنية الأنسانية وتقلل من انتاجية الفرد بوجه خاص والمجتمع بوجه عام إذ أن المجتمع المدمن مجتمع مختل ومهزوز وضعيف، ولذلك تلجأ بعض الدول الي ترويج المخدرات في بعض المجتمعات للتأثير عليها وأضعافها..

كما أن تعاطي المخدرات ينجم عنه مشكلات وتعقيدات اجتماعية حادة وضارة وقد تؤدي إلى كارثة قومية وأخطر جانب من جوانب المخدرات أن إدمانها يؤدي لاعتماد مستمر ورغبة قهرية للحصول على المخدر بأي وسيلة مع ميل مستمر وتدريجي إلى زيادة الجرعة يوما بعد آخر بالاضافة الى أن نشر المخدرات بين صفوف الشباب يلهيهم عن واجباتهم تجاه بلادهم ويقتل طموحاتهم ويحولهم إلى هياكل خاملة وهو مايؤدي الى استنزاف اقتصاد البلاد على مجالات غير انتاجية سواء في علاج مرضى المخدرات ومطاردة المهربين وحراستهم في السجون..

ولقد أكدت الأبحاث والدراسات أن تعاطي الحوامل للمخدرات يؤدى الى انجاب أطفال منحرفين في سلوكهم عند الكبر ومعنى هذا أن المخدرات تهدد أمن واستقرار وحضارة العالم بطريقة الموت البطيء وتكون الكارثة أشنع إذا انتشرت المخدرات بين صفوف الجيوش فتحطم قوة المجتمع، ومن الأمور التي تجعل آثار المخدرات شيئا أشد خطرا من التلوث النووي أن التلوث النووي يكون في أكثر الاحيان واضحاً ومعروفاً مما يعطي الفرصة لمقاومته وتجنبه..

أما أخطار المخدرات فلأنها تروج في الخفاء حتى يتحول الفرد الى مدمن ثم يصبح مشكلة اجتماعية وقومية ذلك لأنها تشكل عاملا ضمن عوامل الهدم في المجتمع حيث يتحول الافراد الى طاقة معطلة بعد أن كانت قوة منتجة وخاصة في المجتمعات النامية التي تحتاج الى كل يد تساهم في بناء نهضتها فضلا عن أن الأخطار النووية تحدث في فترة معينة ثم تنتهي ولكن تفشي المخدرات إذا لم يقاوم فإنه يزيد بشكل مستمر.

الوقاية والعلاج

لاشك أن الوقاية خير من العلاج ولذلك ينبغي على كل قادر أن يمنع وقوع اي انسان فريسة لهذا السم الخطير يساهم في حماية المجتمع من الدمار، كما ينبغي تشديد الرقابة على مصادر المخدرات حتى لايحصل عليها المدمنون بسهولة وحتى لاتتفشى ظاهرة الاستهتار وعدم أخذ الأمور بالجدية الكافية وعدم تفهم كثير من الشباب والحرفيين بقيمة كل منهم في الحياة وحقيقة الاحترام الواجب منه لنفسه وللآخرين والمجتمع فيتنافسون وينساقون وراء التقليد أو التظاهر الكاذب والمتعة الخادعة وضعف إيمانه وعدم فهمه الحقيقي لدينه ولذلك ينبغي على الأسرة حسن توجيه ابنائها وتثقيفهم وتبصيرهم بأخطار المخدرات ومراقبة أوضاع أبنائهم والتعرف على سلوكهم وتحركاتهم وأن يعالجوا انحرافهم مبكرا حتى يصلوا بهم إلى شاطيء السلامة وحمايتهم من رفقاء السوء وتوفير المناخ الصحي لنشأتهم وتحصين الشباب سيكلوجيا ضد مفاسد العادات السلوكية.

– كما ينبغي على المدرسة أن تؤدى دورا هاما في حسن تربية الطلاب خلال الدراسة ونشر الوعي بين الطلبة حتى يتكون لديهم اتجاه مضاد للمخدرات.

– كما ينبغي على دور العبادة أن تؤدى دورها في المساهمةو التصدي لهذه الظاهرة وحث من يترددون عليها على الوقاية منها ومكافحتها بالاكتشاف المبكر وحسن العلاج.

– ينبغي تدعيم عملية علاج المرضى النفسيين ومعاملتهم نفس معاملة مرضى الأعضاء حتى يسهل على المريض نفسيا تخفيض توتره علاجيا بدلا من اللجوء إلى الإدمان.

– كما يجب تدعيم النشاط الرياضي والاجتماعي للشباب.

– كما أن وسائل الإعلام لها دورها الخطير للمساهمة في مكافحة الإدمان عن طريق ماتقدمه من برامج توعية.

– تنظيم عملية الاتجار بالعقاقير الطبية والمواد المخدرة.

– كما ينبغي أن تتغير نظرة المجتمع الى المدمن واعتباره انسانا مريضا نفسيا مثل أي مريض بمرض عضوي وضرورة مشاركة كل أفراد المجتمع في الإبلاغ عن أي مدمن دون أي حرج لأن تركه بلاعلاج يعد جريمة في حق الإنسانية والمجتمع ولقد ثبت أن العلاج سهل وميسور.

– وأخيرا ينبغي تنمية الوازع الديني واتباع تعاليم الدين السمحة، وي تأدية بعض الفرائض مما يساعد على الشفاء من المخدرات كالصيام ولاشك أن الإسلام يحرص عل ماينفع الناس ويحقق الخير للإنسانية ويحرم مايلحق الضرر والأذى بالفرد.. كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ [البقرة:١٩٥].

– كما نهى عن قتل النفس في قوله تعالى: ﴿ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ [النساء:٢١].

– والإسلام دين السماحة ليس فيه ضرر ولاضرار وإذا كان قد ثبت ضرر المخدرات وتحقق خطرها صحيا ونفسيا واجتماعيا كما أوضح الإسلام واعتبرها من الخبائث لفتكها بالجسم فاجتنابها واجب، والله عز وجل قد أحل للناس الطيبات وحرم الخبائث للحفاظ على أجسامهم وسلامة تفكيرهم وظهورهم في المجتمع بمظهر محبب جميل لقوله تعالى: ﴿ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ [النساء:٢].

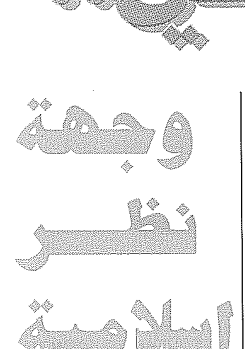
– كما أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وانتشار المخدرات لدى الشباب من شأنه أن يجرفهم إلى أمور شديدة القبح وشنيعة الفساد والانحراف وعامل هام من عوامل انتشار الجرائم بكافة أنوعها. فهى طريق إلى الفحشاء والمنكر لذلك ينبغي أن تساهم كل المؤسسات في الكشف لشباب الأمة وبشكل مستمر عن ضرر المخدرات البالغ وخطرها الكبير ومحاولة الضرب بيد من حديد على المهربين ليأمن الشباب شرها وليتسلح بالخلق القويم والعادات والقيم الفاضلة وصيانة القيم الاخلاقية من الانهيار حيث أنها من أسباب نهوض الأمم وتقدمها..

وصدق الشاعر اذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبو

التلقيــح الصناعــي..

وجهة نظــر إسلامية



● جنين مكتمل النمو

بقلم: د. محمد السقا عيد

لقد استهدف الإسلام من بين مقاصده الضرورية المحافظة على النسل، ولذا فقد شرع النكاح وحرم السفاح والتبني. وقد جعل الإسلام الاختلاط بالمباشرة بين الرجل والمرأة هو الوسيلة الوحيدة لافضاء كل منهما بما استكن في جسده. قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ [الفرقان:٥٤].

في هذه الآية امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بالنسب والصهر وعلق الأحكام في الحل والحرمة عليهما ورفع قدرهما. ومن أجل هذه المنة كانت المحافظة على النسل من المقاصد الضرورية التي استهدفتها أحكام الشريعة الإسلامية.

جلب المنافع ودفع المفاسد

وفي هذا قال حجة الإسلام الإمام الغزالي:(إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل مايتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل مايفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة) [المستصفي للغزالي حـ ١ ص ٢٨٧].

ومن أجل المحافظة على النسل شرع الله النكاح وحرم السفاح: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم:٢١]. ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [الاسراء:٢٢].

ذلك أن الولد ثمرة الزواج الصحيح ينشأ بين أبوين يبذلان في سبيل تربيته والنهوض به والمحافظة عليه النفس والنفيس. أما ولد الزنا فإنه عار لأمه ولقومها إذ لا يعرف له أب وبذلك ينشأ فاسدا مهملا ويصبح آفة مجتمعه.

وإن كان فقهاء الشريعة قد عرضوا لهذا النوع من الأولاد وحثوا على تربيته والعناية به وأوصلوا أحكامه في كتب الفقه تحت عنوان «باب اللقيط». ذلك لأنه إنسان لا يسوغ إهماله وتحرم إهانته ويجب إحياؤه: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ [المائدة:٣٢]. وذلك ارتقابا لخيره واتقاء لشره.

ومن هنا كان حرص الإسلام، على سلامة الأنساب بالدعوة إلى الزواج وتشريع أحكامه وكل ما يضمن استقرار الأسرة منذ ولادة الإنسان وحتى مماته.

وبالجملة فقد نظم الإسلام حياة الناس أحسن نظام وأقومه بالحكمة والعدل مع الإحسان ومراعاة المصلحة.

وإذا كان النسب في الإسلام بهذه المثابة فقد أحيط كغيره من أمور الناس بما يضمن نقاءه ويرفع الشك فيه.

فجاء قول الرسول ﷺ كما رواه البخاري ومسلم عن عائشة: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» والمراد بالفراش أن تحمل الزوجة من زوجها الذي اقترن بها برباط الزواج الصحيح فيكون ولدها ابنا لهذا الزوج.

والمراد بالعاهر: الزاني. وبهذا قرر الحديث الشريف قاعدة أساسية في النسب تُحفظ حرمة عقد الزواج الصحيح وثبوت النسب أو نفيه تبعا لذلك.

ومن ثم فمتى حملت امرأة ذات زوج من الزنا مع رجل آخر أو من غصب فإن حملها يثبت لزوجها لا إلى من زنا معها أو اغتصبها لأن فراش الزوجية الصحيحة قائم فعلا.

كذلك فمن وسائل حماية الأنساب – فوق تحريم الزنا – تشريع الاعتداد للمرأة المطلقة بعد دخول الزوج المطلق بها، وحتى بعد خلوته معها خلوة صحيحة شرعا.

كذلك حرم الإسلام – بنص القرآن الكريم – (التبني) بمعنى أن ينسب الإنسان إلى نفسه إنسانا آخر نسبة الابن الصحيح لأبيه أو أمه مع أنه يعلم يقينا أنه ولد غيره.

وذلك صونا للأنساب وحفظ حقوق الأسرة التي رتبتها الشريعة الإسلامية على جهات القرابة. وفي هذا قال الله سبحانه: ﴿... وما جعل أدعياءكم أبناءكم..﴾ [الأحزاب:٤].

وبهذا لم يعترف الإسلام بمن لا نسب له،

التلقيح الصناعي وجهة نظر اعلامية

ولم يدخلـه قهرا في نسب قـوم يأبـونه. ولا تتخلق نطفـة الـرجل إلا إذا وصلت إلى رحم المرأة المستعـد لقبولها، وقـد يكـون هـذا الـوصـــول عن طـريـق الاختـلاط الجنسي (الجماع) وعندئذ يكون نسب الوليد من هذا الاتصال مـوصـولا بأبيه متى كـان قد تم في ظل عقد الـزواج الصحيح (الولـد للفراش) وقد يكون عن طريـق ادخال نطفة الرجل في رحم المرأة بغير الاتصال الجسـدي وفي هذا أقوال كثيرة.

أقوال العلماء في التلقيح

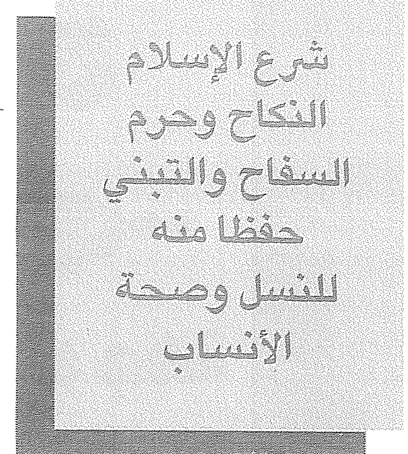
١ - إذا أخـذ منى الـزوج ولقحت بـه الزوجة التي لا تحمل بشرط وجود الزوجين معا..

فمن المعــروف أن الهدف الأسمـى من العلاقـة الزوجيـة هو التـوالد حفظـا للنوع الإنساني. ويتأتى هذا عـن طريق الاختلاط وهو الوسيلة الأساسيـة والوحيدة لإفضاء كل منهما بما استكن في جسـده واعتمل في نفسه حتى تستقر النطفة في مكمن نشوئها كما أراد الله وبـالوسيلـة التي خلقها في كل منهما، لا يعـدل عنهـا إلا إذا دعت دواعيـه كأن يكـون بـواحد منهما مـا يمنع حـدوث الحمل بهذا الطريق الجسدي المضاد مرضا أو فطرة وخلقا من الخالق سبحانه.

فإذا كـان كل شيء مـن ذلك وكـان تلقيح الـزوجـة بـذات مني زوجهـا دون شك في استبداله أو اختلاطه بمني غيره من إنسان أو مطلق حيـوان جـاز شرعـا إجـراء هـذا التلقيح.

٢ - إذا أخذ منى رجل غير الزوج ولقحت به الزوجة..

هـذا غير صـالح ومحرم شرعـا لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب بل ونسبة ولد إلى أب لم يخلق من مـائه، وفوق هـذا ففي مثل هـذه الطـريقـة - من التلقيح إذا حـدث بها الحمل - معنى الزنـا ونتائجـه وكما نعرف فالزنا محرم بنص الكتاب والسنة.



٣ - لـو أخـذ منى الـزوج ولقحـت بـه بـويضـة امرأة غير زوجتـه ثم نقلت هـذه البـويضة الملقحـة إلى رحم زوجة صـاحب المني، لأن هذه الأخيرة لا تفرز بويضات..

صورتـه كسابقتها تدخل في معنى الـزنا والولد الذي يتخلق ويـولد من هذا الصنيع حـرام بيقين لا لتقـائه مع الزنـا المبـاشر في اتجاه واحد. ويؤدي إلى اختلاط في الأنساب وذلك مـا تمنعه الشريعـة الإسلاميـة التي تحافظ على سـلامة أنساب بنـي الإنسان. ذلك لأنه وإن كان المنى للزوج ولكنه - كما هو معروف - لا يتخلق إلا بإذن الله وحين التقائه ببـويضة الـزوجة. وهـذه الصورة افتقـدت فيهـا بـويضـة الـزوجـة وجيء ببـويضـة امـرأة أخـرى ومن ثم لم تكن الزوجة حرثـا في هذه الحال لزوجها، مع أن

اشتط البعض وتوسع في مشاريع التلقيح الصناعي بما يتجاوز الحد الشرعي والأخلاقي

الله سمى الزوجـة حرثـا كما قال تعـالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [البقرة:٢٢٣].

فكل مـا تحمل بـه المرأة لا بـد أن يكـون نتيجة الصلة المشروعـة بين الزوجين سـواء باختلاط أعضاء التناسل فيهما كالمعتاد أو بطـريق استـدخـال منيه إلى ذات رحمهـا ليتخلق وينشأ كما قال سبحانه: ﴿يخلقكم في بطـون أمهـاتكم خلقـا من بعـد خلق في ظلمات ثلاث﴾ [الزمر:٦].

وإذا كـانت البـويضة في هـذه الصـورة ليست لـزوجة صـاحب المني وإنما لامـرأة أخرى لم يكن نتـاجهـا جـزءا من هـذين الـزوجين بـل من الـزوج وامــرأة أجنبيـة محرمة عليه، فلا حـرث فعلا، فصارت هذه الصـورة في معنـى الـزنـا المحـرم قطعـا كسابقتها.

٤ - إذا أخـذت بـويضـة امـرأة لا تحمل ولقحت بمني زوجهـا خـارج رحمهـا (أنابيب) ثم بعد الاخصاب:

١ - تعـاد البـويضـة الملقحـة إلى رحم الزوجة مرة أخرى.

٢ - وإذا كـان مكان الأنـابيب حيوانـات تصلح لاحتضـان هـذه البويضـة أي تحل محل رحم هذه الزوجة لحين أو لفترة معينة يعاد الجنين بعدها إلى رحم ذات الزوجة..

أ - إذا حـدث هـذا دون استبـدال وخلط بمني آخر وكان هنـاك ضرورة طبية داعية لذلك الإجـراء كمرض الزوجة مـرضـا يمنع الاتصـال العضوي مع زوجهـا أو كان بـه مــرض يمنـع ذلك ونصح طبيب حــاذق مجرب بأن الـــزوجـــة لا تحمل إلا بهذا الطـــريق. ولم تستبـدل الأنبـوبـة التي تحتضن فيها بـويضة ومني الـزوجين بعد تلقيحهما كـان الإجـراء في هـــذه الصـورة جائزا شرعا.

وذلك لأن الأولاد نعمـة وزينـة وعـدم الحمل كعـائق وإمكان عـلاجـه أمر جـائز شرعا، بل قد يصير واجبا في بعض المواطن.

«فقد جاء أعرابي فقال يـا رسول الله أنتداوى؟ قال: نعم فإن الله لم ينزل داءً إلا أنـزل له شفـاء علمـه من علمه وجهلـه من جهله» [رواه أحمد، نيل الأوطار للشوكاني جـ٨ ص ٢٠٠ في أبواب الطب].

ب - سيكتسب هذا المخلـوق صفات هذه

الأنثى التي اغتذى بدمها في رحمها وائتلف معها حتى صار جزءا منها، فإذا تم خلقه وآن خروجه يدب على الأرض كان مخلوقا آخر. الا ترى حين ينزو الحمار على الفرس وتحمل هل تكون ثمرتهما لواحد منهما..؟ إنه يكون خلقا آخر صورة وطبيعة.

هذا إن بقيت البويضة بأنثى غير الإنسان إلى حين فصالها.

أما إذا انتزعت بعد التخلق وانبعاث الحياة فيها وأعيدت إلى رحم الزوجة فلا مراء كذلك في أنها تكون قد اكتسبت الكثير من صفات الإنسان التي احتواها رحمها ولا مرية في أن هذا المخلوق يخرج على غير طباع البشر.

لأن وراثة الطباع والصفات أمر ثابت بين السلالات حيوانية ونباتية تنتقل مع الوليد وإلى الحفيد.. ذلك أمر قطع فيه العلم ومن قبله الإسلام ﴿ألا يعلم من خلق﴾ [الملك:١٤].

التوجيه النبوي في حسن الاختيار

لهذا يدلنا المصطفى الكريم على نصائح في اختيارنا للزوجة فيقول ﷺ: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء» فتح الباري في شرح صحيح البخاري حـ ٩ ص ١٠٢ وقال «اياكم وخضراء الدمن» [رواه الدار قطني من حديث أبي سعيد الخدري، إحياء علوم الدين حـ٤ ص ٧٢٤].

هذه التوجيهات تشير إلى علم الوراثة وأن ارث الفضائل والرذائل ينتقل من السلالة ولعل الحديث الشريف الأخير واضح الدلالة في هذا المعنى.

(وخضراء الدمن) هي المرأة الحسناء في المنبت السوء. و(الدمن) تفسره معاجم اللغة بأنه ما تجمع وتجمد من روث الماشية.

فكل ما نبت في هذا الروث وإن بدت خضرته ونضرته إلا أنه يكون سريع الفساد، وكذلك المرأة الحسناء في المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به.

ولعل نظرة الإسلام إلى علم الوراثة تتضح جليا في هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وضمضم بن قتادة إذ قال يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود قال: هل لك من إبل: قال نعم قال فما ألوانها: قال حمر. قال هل فيها من أورق (في لونه سواد) قال نعم. قال: فأنى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال ﷺ: «فلعل ابنك هذا نزعه عرق» [رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة في بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني، وشرح سبل السلام حـ ٣ ص ٢٤٦ في باب اللعان].

وبهذا ترى أن البويضة الملقحة التي نقلت إلى رحم أنثى غير الإنسان تأخذ منه مالا فكاك لها منه إن قدرت لها الحياة والدبيب على الأرض، وبذلك إن تم فصاله ودرج هذا المخلوق على صورة الإنسان لا يكون إنسانا بالطبع والواقع. ومن يفعل ذلك يكون قد أفسد خليفة الله في أرضه.

ومن الفوائد التي أصلها فقهاء الإسلام أخذا من مقاصد الشريعة الإسلامية أن درء المفاسد مقدم على جلب المنفعة لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات. يدل على هذا قول الحق تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن:١٦].

وقول الرسول ﷺ: «فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» [رواه مسلم].

وإذا كان التلقيح في هذه الصورة مفسدة آية مفسدة فإنه يحرم فعله.

حكم الطبيب القائم بالتلقيح

ولنتساءل الآن: ما هو وضع الطبيب الذي يجري التلقيح بهذه الصور؟

يتعين على الطبيب الذي يجري هذا النوع من التلقيح أن ينظر إلى كل صورة يجريها حتى يتحدد وضعه ومسؤوليته شرعا. فإن كانت الصورة مما تبين تحريمه قطعا على الوجه المبين في ما سبق كان الطبيب آثما وفعله محرما وكذلك كسبه، لأن الإسلام إذا حرم شيئا حرم الوسائل المفضية إليه حتى لا تكون ذريعة للتلبس بالمحرم، لهذا حرم على المسلم المشي إلى مكان ترتكب فيه الكبائر كحانة الخمر أو بيت القمار حتى لا يقع فيه.

وكذلك حرم عليه النظر إلى محاسن المرأة الأجنبية أو الخلوة بها لأن النظرة والخلوة من وسائل الوقوع في المحرم وهو الزنا.

أما إذا كان بالطرق الشرعية التي سبق أن أوردناها فلا بأس في ذلك لأنه يقع في دائرة إباحة التداوي التي قد تكون سبيلا للرزق بولد شرعي تستكمل به سعادتهما النفسية والاجتماعية في هذه الحياة.

إطلاق العنان في مجال التلقيح الصناعي

تعالت كثير من النعرات في الآونة الأخيرة لانشاء مستودع (بنك) تستحلب فيه نطف الرجال الأذكياء أو ذوي الأجسام القوية لتلقح بها أنثى رشيقة القوام سريعة الفهم لاثراء الصفات في الجنس البشري.. وهذه تصلح فقط لتحسين سلالات الحيوانات التي لا تعرف لها أبا.. وكذلك فمن النباتات التي تسمق سيقانها حاملة وفير الثمار وذلك أمر مشروع.

أما هذا الاقتراح فهو شر مستطير على نظام الأسرة ونذير شؤم لها. لهذا فمن باب سد الذرائع وصونا للأنساب يحرم الإسلام الانطلاق في مجال التلقيح الصناعي لتوالد الإنسان ولا يجيزه – كما سبق – إلا بين الزوجين وبالشروط السابقة الذكر.

وبديلا لهذه البنود وجه الإسلام الإنسان إلى المحافظة على قوة نسله وسلامة جسده ونفسه وذلك باحسان اختيار كل من الزوجين للآخر.

وإلى الاغتراب في الزواج بمعنى ترك الزواج من ذوي القربى القريبين حتى لا يضوي النسل ويضعف كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناصحا إحدى القبائل (قد أضويتم فانكحوا الغرائب) وقيل قديما (بنات العم أصبر والغرائب أنجب) هذه هي المعايير المشروعة التي يقرها الإسلام للحفاظ على النسل – نسل الإنسان – سليما قويا لا تلك التي يتنادى بها بعض الناس مقلدين أقواما أغوتهم المادية وانغمسوا فيها وتحللوا من كل قيم الدين.. فحسبوا الإنسان ونسله مزرعة تجارب.. مزرعة للنباتات أو الحيوانات مع أن الله قد كرم الإنسان وأعلى قدره وسخر له ما في السموات والأرض□

يقول الرافعي واصفا عظماء الإسلام: إذا سلوا السيف سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون

هذا المقال دعوة إلى التأسّي بالسلف الصالح وبيان فضلهم على الحضارة الإنسانية، وكيف دانت لهم الدنيا بأسرها.. وما السّر؟

طالع المقال وانظر واقعنا وحاول التغيير منه فأملنا في غد أفضل، وعودة حميدة إلى الدين بلا حدود.

دفع الملل

حين يعتري الهمة الفتور، وينتاب الأسلوب الوهن، وأحس بأن قدرتي على تناول المعاني قد أصابها الضعف، واحتاجت إلى مدد يجدد منها مارثّ، أعود إلى قراءة بعض الكتب الأدبية كـ(البيان والتبيين) للجاحظ، أو (وحي القلم) لمصطفى صادق الرافعي.

ولبعض كتب شيوخي، وممن تشحذ قراءة آثارهم الهمم، وتجدد الطاقة، وتضخ الغيرة في القلوب، وترهف الحس، وتوقظ الوعي الغافي. والضمير الوسنان شيخ الدعاة الشيخ محمد الغزالي، وشيخ القضاة الشيخ علي الطنطاوي.

مع الطنطاوي وكتابه

مضى على قراءتي أول كتاب للشيخ الطنطاوي مدة ثلاثين عاما، وهو كتاب (رجال من التاريخ) ومنذ فترة وجيزة أعدت قراءته مرة أخرى، لأجدد صلتي بمن صنعوا تاريخ هذه الأمة، وأستعيد ذكر من صنعوا للإسلام مجدا. يهرم الزمن ولا يهرم، صنعوه بالعزائم القوية. والقلوب النقية نسوا من أجله أنفسهم، فحرموها حظوظ الدنيا. لتستوفي حظوظها في الجنة.

والكتاب عبارة عن أحاديث أذيعت من إذاعة دمشق، وإذاعة المملكة العربية السعودية منذ مدة طويلة، ولكنها أحاديث قُرئت من أجل إعداد كل حديث منها مئات الصفحات، فجاءت أقرب إلى الأبحاث منها إلى الأحاديث الإذاعية، وتلك هي طريقة أفذاذ العلماء والأدباء. ولكن طريقة الشيخ في الإلقاء وأسلوبه الرائع جعلا من هذه الأحاديث متعة للسامع والقارىء، وكل حديث منها هو وجبة دسمة للعاطفة وللروح والعقل.

والكتاب دعوة هادئة إلى البناء بطريقة البناة من سلف الأمة، فهو يتحدث عن صناع التاريخ الإسلامي من خلفاء وعلماء وقادة جيوش ونساء. منهم العربي المسلم، ومنهم المسلم غير العربي. ولكن يجمعهم جميعا أن لهم على جبين الدهر غررا، وأنهم علامات بارزة في تاريخ الإنسانية. يقرأ تاريخهم المسلم وغير المسلم، ويجمع الجميع على احترام عبقريتهم، لأنهم رجال، لا ككل الرجال، وعلماء لا ككل العلماء، وقادة جيوش لهم خطط ومناهج تدرسها الجيوش لتتعلم منها فنون



بقلم: د. محمد محمود متولي

الحرب، وإدارة المعارك.

سلفنا الصالح

إنهم مصابيح هدى أضاءت في دياجير الظلمات. وأئمة رشاد، كل منهم في حينه جامعة بأكملها، وينابيع تقى آثروا ما يبقى على ما يفنى فأورثهم ربهم الخلد في الدنيا والآخرة وهم ينابيع تقى. وصدق الله العظيم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠]، لقد نضّروا بفعالهم وجه تاريخ الإسلام، وقام كل فرد منهم بما لا يقوم به ألوف بل ملايين من مسلمينا الآن.

ومن أجمل ما وصف به هؤلاء العظماء وصف الرافعي لهم في كتابه القيم (وحي القلم) يقول رحمه الله: (إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع في العالم تمييزه بين الحق والباطل وهم ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود أنفسهم وشهواتها، وإذا سلوا السيف سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون. ولأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي، فإنهم جميعا في واجبات القلب، وواجبات العقل، ويكاد الضمير الإسلامي في الرجل منهم يكون سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته.

فالمسلمون لا يفهمون متاع الدنيا بفكرة الحرص عليه، والحاجة إلى حلاله وحرامه، فهم القساة الغلاظ المستكلبون كالبهائم، ولكنهم يفهمون متاع الدنيا بكفرة الاستغناء عنه، والتمييز بين حلاله وحرامه، فهم الإنسانيون الرحماء المتعففون.

والمسلمون اليوم في حاضرهم الجامع بين الضعف والفقر، والذل والجوع، والفرقة والتخلف أحوج ما يكونون للنظر في سير هؤلاء الأفذاذ من أسلافهم، وحمل الأنفس على النسج على منوالهم. فلقد حمل هؤلاء القادة قلوبا استعذبت المر، ولان لها الصعب، وذلت لهم الجبال، وركبوا البحار، وجابوا القفار، ونسجوا للإنسانية من نور الفجر ضياء وجعلوا العدل شرعة، والمساواة سنة، وقدسوا الحرية، وحفظوا للإنسانية الكرامة وأوذوا في دينهم فما وهنوا ولا استكانوا، وكانوا في رسوخ عقيدتهم كالأطواد في شموخها.

يقول الشيخ الطنطاوي: (وآذوا المسلمين الأولين ليفتنوهم عن دينهم. وكانوا يبطحون المسلم عاريا على الرمال الملتهبة التي تشوي اللحم، ويضعون عليه الصخرة الهائلة، ويلوحون له بالماء، ويقولون: أكفر بمحمد، حتى نسقيك، وننجيك، فيقول: أحد، أحد.

وتشغله لذة المناجاة عن لذعة العذاب، ونشوة الأمل بالجنة عن شقوة الألم في الدنيا، احتملوا في سبيل الله كل شيء. الضرب والجرح والحرق والجوع والسهر، واستحلوا في سبيل الله الحرائر، واستحبوا أبغض المكاره إلى النفوس، إن كان فيها رضا لله)

إن البخار الذي من طبعه الانطلاق إلى الأعلى لا يحصر في زجاجة، وإن حصرته وجد منفذا، أو حطم الإناء، وكذلك صنع الإسلام.

أرأيتم أبناء الإسلام اليوم كيف كان

سلفكم؟ أعرفتم الآن كيف تبوأوا مفرق الدهر ونزلتم أنتم إلى مواطىء أقدامه، أنتم تشغلكم لذات من الأرض، وما هو من التراب إلى الفناء، يصير، وإلى التراب يعود، وهم محلقون رفافون في الأفق الأعلى. وربما لا يتصور كثير من مسلمي اليوم أن هناك لذائذ للروح، لأنهم محبوسون في سجن الأرض وقتامة الجسد، وزهومة الطين. يقول ابن الأطنابة:

أبت لي عزتي وأبى بلائي
وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإعطائي على المكروه مالي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي
لأرفع عن مآثر صالحات
وأحمي بعد عن عرض صحيح

فأين الرفع عن المآثر الصالحات؟ والمسلمون لا يستطيعون حل الخلافات المشتجرة بينهم، حتى يأتي غيرهم، فيتصالحوا بين يديه. وحتى ينصاعوا لقول الحق: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال/٤٦].

عائشة رضي الله عنها

سيدتان من الرعيل الأول قيل في الحكم: الناس بزمانهم أشبه. فمن آماله وآلامه تأتي آمالهم وآلامهم، فإذا ساد السهل، واستصعب الصعب، وانتشر الزيف والبهرج وقل السعي إلى الأصيل، وصار زخرف القول والعمل عملة رائجة، فإن الغثاء يطفو على سطح المجتمعات، وينتشر الاعتناء بالظاهر من لباس ورياش، بينما تتضاءل فضائل القلوب وقد يخرب القلب والمظهر في أوج الكمال.

يلاحظ هذا في قطاع كبير من النساء، وبخاصة المتظاهرات بالتحجب، دون الالتزام بآدابه فالتحشم قيمة قبل أن يكون ثوبا، وإلا فما قيمته والأصباغ تملأ الوجه والكفين.

ولنعرض النموذجين، سيدتان من السلف: فأما الأولى فعائشة رضي الله عنها... امرأة لها منهجها في التثبت من صحة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت تعارض أحيانا كبار الرواة من الصحابة، وكانت صنو أبيها في السخاء. إذا جاءها عطاؤها وزعته فلم تبق ولا درهما، ولو كان العطاء مائة ألف درهم. وامرأة خيرت فاختارت، خيرت في الصبر على لأواء العيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يمتعها ويسرحها سراحا جميلا، وأعطيت مهلة لاستشارة أبويها، ولكنها آثرت عيش الخشونة مع الرسول الكريم على النعيم مع غيره.

يقول الشيخ الطنطاوي: (كانت امرأة كاملة الأنوثة. تؤنس الزوج، وترضي العشير، وكانت عالمة، واسعة العلم. تعلم العلماء، وتفتي المفتين، وكانت بليغة، بارعة البيان، تبز الخطباء، وتزري باللسن المقاويل، وكانت زعيمة في كل شيء في العلم، وفي المجتمع، وفي السياسة، وفي الحرب.... ولقد عد الزركشي لعائشة أربعين منقبة لم تكن لغيرها).

إنها أم المؤمنين والمؤمنات، فأين في المؤمنات من هي كعائشة في طلب العلم، وبراعة البيان، وقيادة المجتمعات، وأين من هي مثلها في الإيثار والسخاء، وليت العاقلات من المسلمات يدركن أنه:

ليس الجمال بأثواب تزيننا
إن الجمال جمال العلم والأدب

ومَنْ مِنْ بناتنا تدرك حين تمتحن في أغلى ما تملك، وتتهم زورا أن الله قائم على كل شيء، رقيب على كل نفس. هكذا أدركت عائشة، فأنزل الله في شأنها قرآنا يتلى مادامت السموات والأرض. وكيف لا تكون كذلك، وهي الصديقة بنت الصديق.

فأما السيدة الثانية فأختها أسماء رضي الله عنها، امرأة شامخة شموخ النخيل، راسخة رسوخ الجبل، صلبة صلابة الماس، ثابتة ثبات الحق، قهرت بثباتها الحجاج، حتى صغر أمامها كأنه هباءة، ومن قبله وقفت وقفة دونها وقفة أسد. أمام أبي جهل وعصبته. خدمت زوجها أوفى ماتكون، وعلمت شدة غيرته، فرفضت الركوب مع أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام، وأكبر فيها الرسول الكريم احترامها لغيرة زوجها، هي صاحبة الوسام الذي أبلى الزمان، ومازال توءم اسمها، فهي ذات النطاقين.

أيتها الغافلات عن أداء دورهن في خدمة الإسلام وبلاده. انظروا إلى هذه السيدة ما الذي كان يشغلها، وهي ابنة رجل أفنى ماله في سبيل الله هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه، وزوجة حواري من حواريي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم مجاهد كاد أن يصبح أميرا للمؤمنين. لولا أنه كما قيل: كان بطلا في الحرب، ولم يكن عليما بالسياسة، رضي الله عنه.

كان الزبير فقيرا فكانت تمشي أميالا تجمع النوى لبعيره لتعلفه به بعد دقه، وكان يقسو عليها أحيانا فتصبر، (سيدة ذات مبدأ أوفت له، وثبتت عليه، سيدة شاركت في صنع الأحداث في السلم والحرب، سيدة كانت ربة بيت، صبرت على مره، ولم تبطر بحلوه، سيدة كان لها من نبل القلب، وكبر العقل، وثبات الأعصاب، مالم يكن مثله إلا للقليل من عظماء الرجال.

عبرة وأمل

وفي قصتها عبرة للنساء، وأمل لمن ابتليت بالفقر من الزوجات، وإثبات لمن يحتقر النساء أن المرأة قد تكون أعقل وأنبل من الرجال. وإنها قد تترفع عن زخارف الأزياء، وألاعيب النساء، حتى تكون ركنا في بناء الأمة، وعونا على تحقيق مثلها العليا... كانت تعرف كيف تدافع عن نفسها، وتمشي مرفوعة الرأس، ثابتة النظر، شاعرة بالكرامة.

انظروا إليها وقد جاء ابنها عبدالله يطلب مشورتها حين كادت الهزيمة أن تلحق به، فأجابته بأن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها، وحين صلب الحجاج جثته ذهبت إليه وقد قاربت المائة من العمر، وكف بصرها وجابهته قائلة: (أما آن لهذا الفارس أن يترجل).

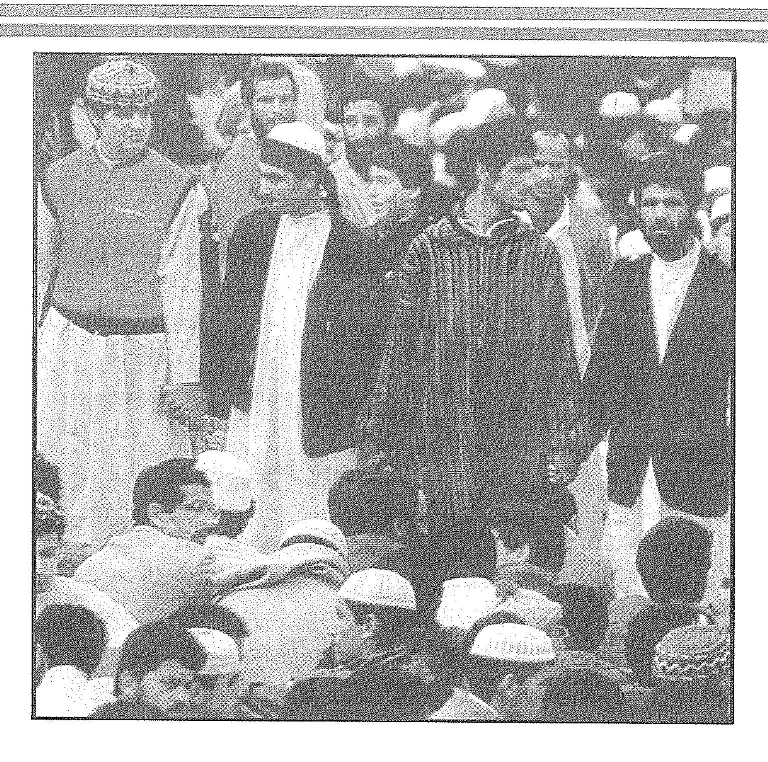
فمن منكن في ثبات كهذا الثبات واقتناع بما هو الحق كما اقتنعت هي به.

لو أن في نساء المسلمين اليوم من تقتنع بالحق، وتدافع عنه، وتحمل أبناءها عليه ما احتلت لنا أرض، وما انتصر علينا عدو، ليت كل من سمى ابنته أسماء عرفها بسيرة من سميت بأسماء حتى تتشرب البطولة من سيرتها، ويقول شيخنا الطنطاوي معلقا على موقف أسماء رضي الله عنها من ابنها: (أما أن هذا الموقف لو كان لامرأة فرنسية أو انكليزية لنظمت فيه مائة قصيدة، وألفت فيه مائة قصة، ولكن أسماء كانت عربية مسلمة، والعرب قد أضاعوا بيانهم وأدبهم، مع ما أضاعوا من تراث الجدود ، هذه أسماء السيدة الجليلة التي يتشرف بها تاريخ الأمة التي تكون سيرتها فيه).

وصدق ربي عز وجل: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة/١٠٠]□

صراع المصالح

ترجمة: محمد عبد الرحمن السعلة



(ليس هـذا وقت التجول في منطقـة القصبة الجزائريـة)، هكذا يقـول (بـرايان جينكينـز) لعدد من الأمريكيين الـذين يصرون على زيارة الجزائر، حيث تحتدم الحرب الأهلية منذ ثلاث سنوات بين الطغمـة الحاكمة مـن العسكريين والأصوليين المسلمين، الذين يتخذون الأجانب أهدافا لهم، غير أن السنـوات الأخيرة - بالرغم من ذلك - كـانت أفضل وقت لاستكشـاف احتياطيات النفط والغاز الخام في الجزائر..

واستغلت الشركات الأمريكية فرصة التحرر الاقتصـادي، واقتنصت عقـودا حكـوميـة للاستكشـاف والإنشاءات، الأمـر الذي يعتبر صدمـة لفرنسـا التي كانـت تعتبر المستعمرة السابقـة لها إحدى الإقطاعيـات التابعـة، وما زال حوالي (٤٠٠) أمريكي يقيمون في الجزائر، ولحسن الحظ لم يصب أي منهم بأذى، بل لم يكن أحد منهم من بين القتلى الأجانب الـ(٨٠) منذ بداية عام (١٩٩٣م).

هل هو الحظ أم شيء غير ذلك؟

يرتاب الفـرنسيون كثيرا في جهود واشنطن لتجنب المآسي التي نجمت عن سيـاستها تجاه الثـورة الإيـرانيـة، وفي محاولـة للبحث عن المعتدلين الإسلاميين، والعثـور على شخصية أخرى خلاف ما يطلق عليه (الشيطان الأكبر)، التقى عدد من المسـؤولين الأمريكيين مرارا مع أعضاء في المنفـى من جبهة الإنقاذ الإسـلامي المحظـورة في الجزائر، بل إن أحـد أعضـاء الجماعـة سُمح له بـالإقـامـة في (شيكاغـو)، بـالـرغم من المعـارضة الفـرنسيـة، وخـلال الأسبـوع الماضي، تأيـدت سيـاسـة واشنطن عنـدمـا حضرت جبهـة الإنقـاذ مع عـدد من أحزاب المعـارضة العلمانيـة مؤتمرا في رومـا، حيث قـرر الحاضرون وقف إطلاق النـار، وإعداد برنامج لإجراء انتخابات جديدة، وعزل النظـام الحاكم في الجزائر المؤيِّـد مـن قبل فرنسا.

وعقب ذلك، أثـار عـدد من الفـرنسيين الغاضبين شائعات مفادها بأن البيت الأبيض عقد صفقـة لحماية مصالح الولايـات المتحدة والمواطنين الأمـريكيين في الجزائر، وذكـرت مجلة (الفيجـارو FIGARO) الأسبوعيـة المحـافظة: (ليس سرا أن حلفـاءنا الأمـريكيين يؤيدون جبهـة الإنقـاذ الإسلامي). وأضافت: (أليس من المثير والمدهش أنـه لم يُقتل أحد من الأمريكيين حتى الآن؟). بل إن إحـدى المجلات الأسبوعية الأخرى اتهمت الأمريكيين في فصل الخريـف الماضي حين قـــالت: (إذا وصـل الأصـوليون إلى السلطـة في الجزائر، فإن ذلك سوف يتم بمؤازرة ومساعدة - العم سام).

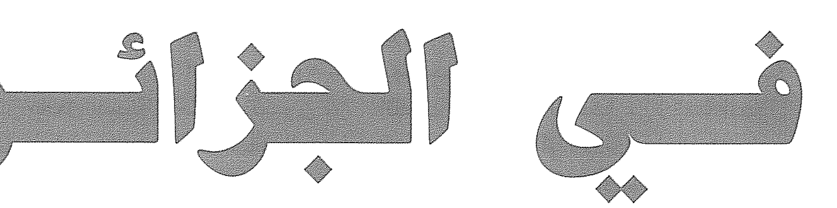
أما الشركـات الأمريكية العـاملة في الجزائر فإنها تعبر عـن رأيها وتقـــول إنها تستغل الفرصـة التي حانت مـؤخراً، وكما يقـول أحد مديري الشركات البتـرولية: (إننا نذهب حيث يـوجـد النفط، وفي الجزائر هنـاك كثير من النفط). وتقـدَّر احتياطيـات النفط في الجزائر بحـوالي (٤٥) بليـون بـرميل، ومن ثم تحتل الجزائر المرتبـة الـرابعـة في العـالم من حيث الاحتياطيات بعد منطقة الخليج العربي، ويرى بعض المحللين أن لديها الإمكانات لتحتل مكانة المملكة العربيـة السعـودية بصفتها أكبر منتج للنفط، والـلاعب أو العـامل المؤثر في السـوق العـالمي للنفط، عـلاوة على قـربها من المستهلكين، ويـوجد حـاليا أنبوب للنفط من الجزائر إلى جزيرة صقلية، وهنـاك أنبوب آخر تحت الإنشاء إلى إسبـانيا، ممـا يتيح لأوروبا فـرصـة الحصـول على النفط مبـاشرة من المصدر.

وتعتقد الشركات الأمريكية أن الحاجة الملحة لإصـلاح الاقتصـاد الذي عـانى من الـدمـار والتخـريب بسبب الفسـاد وسـوء الإدارة على النمط السوفييتي قد يرغم أي حكومة جزائرية على انتهـاج سيـاسـة الاعتدال، وسـواء تمكن الحكم الحالي مـن سحق المعـارضـة، أو تمكن المسلحـون مـن الوصول إلى السلطـة، فإن على الحكومة القـادمة أن تنحني تحت ضغط رفع العـائدات البترولـيـة، ولـذا يقـول (بـروس ستوفر) الـذي قضى ثلاث سنوات في الجزائر لتشغيل أول شركـة أمـريكيـة منـذ الانفتـاح الاقتصادي: (من السـذاجة القول إن الجزائر ستكـون إيـرانـا أخـرى بسبب استيـلاء [المسلمين] على السلطة).

وبالـرغم من أن المسؤولين في جبهـة الإنقاذ يقولون إنهم لـن يلتزموا بالعقـود المبرمة بعد عـام ١٩٩٢م، إلا أنهم يـرون المحـافظـة على المنشآت البترولية بعيدا عن الصراع، وقد أشار



● عناصر من الشرطة الجزائرية المقنّعة



في الجزائر

المتحدث الرسمي باسم الجماعة خلال مؤتمر روما عبد الرحمن نور الدين إلى أن الأولوية حاليا ليست في وضع حد للهجمات التي تُشن ضد المدنيين فقط، ولكن إنهاء جميع الهجمات التي توجه للمنشآت الاقتصادية في البلاد.

ولا يعبأ الأفراد بما يقال، ولن تتأثر أية شركة تعمل في الجزائر أكثر من شركة (بكتل BECHTEL) الأمريكية العملاقة التي تتولى إنشاء خط أنابيب للغاز بين المغرب وأوروبا بقيمة (٤٧٥) مليون دولار، كما تقوم بتحديث منشآت معمل لتسييل الغاز الطبيعي بقيمة (٥٦٧) مليون دولار، ويقول (ريبرت تيكفور) الذي أشرف على إنشاء مجمع سكني: (إنك تحمل روحك على كفيك). وخلال العام الماضي غادر الجزائر نحو (٢٠٠) شخص من الأجانب بعد اغتيال أحد الأجانب من الإنجليز.

وهل يتمتع الأمريكيون بنوع ما من الحصانة؟

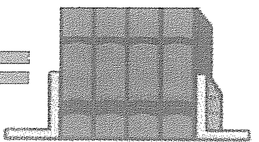
لا يستبعد المسؤولون الأمريكيون محاولة المتطرفين التفريق بين الحلفاء حيث يتخذون من الفرنسيين أهدافا لهم بينما يبتعدون عن الأمريكان، وربما تبدو هذه النظرية غير مؤكدة بسبب انشقاق المعارضة الإسلامية التي لم يعد لها متحدث واحد يتكلم باسمها، كما أن المسلحين لا يفحصون جوازات السفر، ويعلق (ستوفر) قائلاً: (الأجنبي هو الأجنبي). ولكن الشركات الأمريكية رحّلت من لا تحتاج إليه من العاملين، وأضاف: (إننا نقلل من الظهور ونقتصر على أداء العمل فقط).

أما السلطة ا لاستعمارية السابقة فلا يمكن لها أن تخفض وجودها في الجزائر، بل إن الحرب الأهلية في الجزائر تلقي بظلالها كقضية سياسية في فرنسا، حيث تجرى الانتخابات الرئاسية هذا العام، ويخشى صناع القرار السياسي من سقوط النظام العسكري الحاكم في الجزائر وتحول قرابة مليون مهاجر جزائري نحو اليمين. وفي هذا الصدد يقول أحد مسؤولي وزارة الخارجية الفرنسية: (الولايات المتحدة بعيدة جدا عن الأحداث، بينما الجزائر تلعب دورا مهما في الحياة السياسية في فرنسا).

ومن السخرية أن تفقد الروابط التاريخية بين فرنسا والجزائر تأثيرها، بينما يجري تنويع الاقتصاد، وربما يتيح الحوار السياسي بين أمريكا وجبهة الإنقاذ فرصة للتقارب فيما بينهم لكن الفرنسيين يصرون على أن هذه النظرة هي على المدى القصير، حيث يقول أحد المسؤولين الفرنسيين: (قد يقيّم البعض في الولايات المتحدة حساباته على هذا الوضع، إلا أنه فهم خاطيء لـلأمور). وكما يعتقد فإن التاريخ والجغرافيا في نهاية المطاف سوف يؤكدان وجودهما لصالح فرنسا، ويضيف: (حتى لو استطاع الأصوليون تولي مقاليد الأمور، فإن مرسيليا على بعد ساعة واحدة من الجزائر، بينما نيويورك على بعد ٧ ساعات، ويظل الجزائريون يستمتعون بمشاهدة التلفاز الفرنسي، ويتحدثون اللغة الفرنسية والعربية، ولكنهم لن يتحدثوا باللغة الإنجليزية، وسوف تبقى العلاقات الاقتصادية ولن تنتهي أبدا بين فرنسا والجزائر). ومهما كانت نتائج ا لحرب، فمن المؤكد أن حقول النفط والغاز في الجزائر سوف يظلان مسرحا لصراع تجاري على نطاق واسع□

الهوامش:

*مجلة نيوزويك الأمريكية NEWS-WEEK (٢٣/١/٩٥)



اثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت الاسلامي

(دراسة فلكية وفقهية)

تأليف:
د. نضال قسوم
وأ. محمد العتبي
ود. كريم مزيان
الناشر:
دار الأمة، الجزائر، ط١٩٩٣م

عـــرض
د. أبو بكر خالد سعد الله

نشرت دار الأمة كتابا قيما من ٢٢٢ صفحة عنوانه (اثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت الإسلامي - دارسة فلكية وفقهية) من تأليف الأساتذة نضال قسوم ومحمد العتبي وكريم مزيان. والمؤلف نضال قسوم دكتور في الفيزياء الفلكية وكان باحثا في الوكالة الفضائية الأمريكية (نازا). كما ان الدكتور كريم مزيان مختص أيضا في الفيزياء الفلكية ويشتغل باحثا في مركز بحوث علم الفلك والجيوفيزياء بالجزائر. وأما الأستاذ محمد العتبي فهو خريج كلية الحقوق وموظف بأحد المصارف الجزائرية.

وقد جاء تأليف هذا الكتاب من طرف هؤلاء المختصين (استجابة لصرخة معاناة الأمة الإسلامية) التي تعرف (فوضى ثقافية واجتماعية كل سنة مرتين عند بداية شهر رمضان ونهايته). وفيما يخص تصميم الكتاب، قسم المؤلفون عملهم الى ثمانية فصول زيادة عن فصل الملاحق. كما يضم فهرسين احدهما للاعلام والآخر للمصطلحات والمواضيع.

ويعتبر الفصل الأول بمثابة مقدمة عامة للكتاب استهلها المؤلفون بالآية الكريمة: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [يونس/٥]. ثم أشار المؤلفون إلى أن القرآن الكريم هو دستور أمتنا وملهم الخير فينا وهو يدعونا أن ننظر إلى النجوم والشمس والقمر لنأخذ من ذلك الهداية والحساب وتعداد السنين.

ومضوا بعد ذلك في استعراض أهمية النجوم والكواكب وأهمية انتظام حركة الشمس والقمر في حياة الإنسان لان هذا الانتظام هو الذي يسمح بالحساب والتنبؤ.

إن أهمية التقويم الزمني والتحكم في تقدير الوقت والتاريخ في أية حضارة لاتحتاج الى برهان. والشهر القمري المعروف بالدورة الكاملة للقمر حول الأرض (لا برؤيته) يدوم ٢٩,٥٣ يوما. ولذا يبدو بديهيا أن نقدر الشهر القمري بالتناوب ٢٩ يوما ثم ٣٠ يوما. وهذا التقدير يجعل السنة القمرية تتكون من ٣٥٤ يوما (بدل ٣٦٥يوما في السنة الشمسية). ثم إن هذا التقدير يجعل نفقد ثماني ساعات و٤٨ دقيقة و٣٣ ثانية كل سنة قمرية (أي حوالي يوم كل ثلاث سنوات). وانجر عن ذلك أن القدماء لجؤوا الى عدة تصحيحات تتغير بتغير الزمان والمكان، فمنهم من أضاف شهرا كل ثلاث سنوات لاستدراك الفرق بين عدد أيام السنة القمرية والسنة الشمسية .ومنهم من اضاف يوما واحدا كل ثلاث سنوات لاستدراك الثماني ساعات المشار إليهاسابقاوهناك من يجري تعديلات كل ٥ أو ٨ أو ١٩ سنة.

وكان العرب يضيفون يوما في ذي الحجة كل سنتين أو ثلاث سنوات،وكانوا أيضا يحتسبون شهرا اضافيا يسمى النسيء كل ثلاث سنوات. وقد نتجت عن ذلك مشكلة حضارية بالغة الخطورة حيث مكن الأقلية التي كانت أهل دراية بالحساب الفلكي بالتحكم في الزمن فصاروا يستغلونها استغلالا بشعا في عدم تسديد القروض وتجاوز الاشهر الحرم والمواسم الدينية. ذلك أن علماء الفلك آنذاك كانوا يعتبرون من الكهان ومن القوى الضاغطة على السلطة. قال تعالى: ﴿إنما االنسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما﴾ [التوبة/٣٧].

وصعوبة المشكلة عند المسلمين لاتكمن في وضع جدول تقويم سنوي واضح وموحد فحسب، بل ترتبط أيضا بكيفية اثبات الشهور اعتمادا على رؤية الهلال الجديد لتقدير أو اثبات دخول شهري رمضان وشوال على الخصوص. إن من مدعاة الخجل أن المسلمين لايملكون إلى اليوم، جدول توقيت مضبوط في حين أن أول الجداول المهيكلة بناء على نتائج أرصاد لمنازل القمر ظهرت في سومر منذ ستة آلاف سنة! ونحن لم نكلف انفسنا حتى بإنشاء مؤسسة على مستوى العالم الإسلامي توكل لها مهمة اعداد مثل هذه الجداول.

وفضلا عن ذلك فإن للمسلمين سؤالا فقهيا بخصوص هذا الموضوع: هل يجوز العمل بالحساب في عملية اثبات الشهور ام لا؟ وهناك سؤال علمي يقول: هل يمكن وضع جدول توقيت اسلامي يقوم على الرؤية، وكيف ؟ إن الكتاب الذي بين أيدينا الف لتقديم الاجابة عن هذه الأسئلة.

يمكن القول أن هناك تعريفين للشهر القمري حسب طريقة الحساب. اما ان يحسب بزمن الاقتران (أي تراصف الأرض والقمر والشمس) وهو زمن دخول الشهر بالمعنى الفلكي، واما ان يحسب بناء على رؤية الهلال بالعين. وهنا يجب التأكيد على أن البحوث الفلكية التي انجزت لحد الآن

تسمح بحساب امكانية الرؤية بالعين وبالتنبؤ بوقوعها أو عدم وقوعها بدقة معتبرة وقبوله لدى الكثير.

ويشير المؤلفون إلى الفوضى العارمة التي تسود العالم الإسلامي في مناسبتهم ومواعيدهم الدينية. فهذه دولة لاتعتمد الا على رؤية الهلال وتلك اخرى لاتقبل بغير الحساب الفلكي.. بل ذهبت بعض الدول الى اعتماد الحساب الفلكي خفية وهي توهم شعبها بأنها تعتمد على الرؤية! ويرى المؤلف أن هذه الفوضى ناتجة عن الأسباب الرئيسية التالية:

١) انعدام الحوار والتفاهم بين الفقهاء المناوئين لعلماء الحساب والفلكيين.

٢) عدم إلمام جل الفقهاء بعلم الفلك.

٣) عدم تتبع أغلب المهتمين بهذا الموضوع للتقدم العلمي الذي احرزه الفلكيون والباحثون.

ويلاحظ المؤلفون أن معظم الفقهاء لم يشدهم واجب تنظيم الزمن والتوقيت بل الذي يشغلهم هو العبادات التي تجري في الأوقات المعينة. لكن كيف يمكن تحديد المواعيد الدقيقة لهذه العبادات إذا اضطربت الشهور؟ ويؤكد المؤلفون أن مادفعهم الى تأليف كتابهم هو الحسرة والإحساس بالذنب أمام هذه الفوضى، وكذا اقتناعهم بأن المعلومات العلمية التي في حوزتهم (والتي هي في معظمها نتيجة ابحاث حديثة جدا صدرت في الفترة ١٩٨٨-١٩٩٢) ذات فائدة جمة في هذا الموضوع وبامكانها ان تقدم مساهمة طيبة في سبيل حل هذه المشكلة.

وقد استعرض المؤلفون في الفصل الثاني من الكتاب طرق اثبات الشهر الهلالي في الفقه الاسلامي (الكلاسيكي). والمقصود بلفظ (كلاسيكي) هنا هو(الموافق لتقاليد معينة) حتى ولو كان حديثا. واستهل هذا الفصل بتقديم مختصر للأدلة النقلية ثم عرض المؤلفون آراء المذاهب الفقهية عرضا خاليا من أية أحكام نقدية. فتعرضوا الى المذاهب التالية مرتبين اياها ترتيبا ابجديا: الإباضي، الامامي، الحنبلي، الحنفي، الزيدي، الشافعي، الظاهري المالكي. وفيما يخص تصميم العرض قسم المؤلفون كلامهم الخاص بكل مذهب الى ثلاث فقرات: الاولى: حول رأي المذهب في طرق اثبات الهلال والثانية: تقدم رأيه في الحسابات الفلكية والثالثة: حول قضية اختلاف المطالع (أي هل ثبوت الهلال ببلد يلزم ثبوته على غيره).

وبعد هذا العرض الوصفي انتقل الاستاذ فسوم ورفيقيه الى النقد والمناقشة، فناقشوا في بداية الأمر أولئك الذين يفرقون بين شهر وشهر ونقدوهم نقدا يغلب عليه الطابع الموضوعي. ومن بين الحجج التي أتى بها أصحاب التفريق فيما يتعلق باشتراطهم لشهادتين في شوال وغيره باستثناء رمضان الذي قبلوا فيه بشاهد واحد ان شوال يتعلق به نفع العباد والشاهد الواحد فيه يشهد بدخوله ليجر الى نفسه ذلك النفع وهو الافطار. بينما لايتعلق برمضان نفع ولايوجد فيه مايجره الشاهد الى نفسه فانتفت التهمة. وانتقد المؤلفون هذا الرأي بتقديم حجج كثيرة موضحين أنهم لايعتقدون بأن الشاهد بهلال شوال يجر النفع لنفسه ولايجر الشاهد برمضان هذا النفع، لأن معنى النفع لايستوي عند جميع الناس. ولذا يمكن أن نقول مثلا ان الذي يحب شهر رمضان الحب الشديد وتشتاق اليه نفسه طول السنة إذا ترقب الهلال فيمكن أن يخدعه بصره فيتوهم رؤية الهلال المبشر بقدوم موضوع شوقه كما يتوهم العطشان رؤية الماء في الصحراء وهو سراب. واضافة الى هذه الحجج العقلية ناقش المؤلفون جملة من الحجج النقلية.

ثم ناقش المؤلفون موضوعا آخر يتعلق بحجج المفرقين في اثبات الشهور بين حالتي الصحو والعلة وبين الحواضر والبوادي. كما عالجوا بنفس الاسلوب حجج مشترطي الشهادة لاثبات الشهر قياسا على سائر الحقوق. ومعلوم أن مذاهب الاباضية والامامية والحنفية والزيدية والشافعية والمالكية اشترطت شهادة العدلين لاثبات أهلة الشهور قياسا على الحقوق المتخاصم فيها. وأورد المؤلفون، في هذا الشأن، رد ابن حزم الذي يعارض هذا الاشتراط، وواصلوا اجابتهم موضحين ان اثبات الشهور يتعلق بالظواهر الكونية، اما اثبات الحقوق فيتعلق بالمعاملات الاجتماعية.

ومن جهة اخرى، انتقد المؤلفون في مناقشتهم المعتمدين على العدد في الشهادات لاثبات الشهور. فقد اشترط اغلب فقهاء المذاهب الفقهية المشار اليها آنفا العدد أو النصاب لاثبات الشهور. والملاحظ ان القائلين بالعدد المفيد للظن الراجح (باستثناء الذين قصدوا به اثنين) لم يتفقوا على تقديره. ويوضح المؤلفون ان الاستناد على العدد كبرهان أو كمرجح للظن هو مسلك لامبرر له من الناحيتين الواقعية والشرعية معا. ناهيك أن ثمة نصوصا عن أئمة آل البيت تسقط الاعتبار بالعدد وتشير الى اعتماد معايير موضوعية لقبول الشهادات. كما ذكر المؤلفون أن علماء فقه القضاء اجازوا الحكم بشهادة الواحد إذا كان خبيرا بما يشهد به وإذا علم القاضي أو غلب على ظنه صدقه وإذا (اقترن بخبره مايفيد معه اليقين) (حسب ابن قيم الجوزية).

وانتقل المؤلفون بعد ذلك الى نقد مشترطي العدالة في مثبتي الشهور.

ويقتضي هذا الاشتراط ان يوجد لدى الحكام، قضاة كانوا أو موظفين، قائمة محددة بأسماء العدول في منطقة اختصاصهم. ويشير المؤلفون بهذا الصدد الى التناقض لدى هؤلاء حيث أنهم تكلموا بقبول اثبات الواحد العدل إذا جاء من خارج المصر. فكيف يطلبون، في هذه الحالة، من الحاكم الذي يوجد في نطاق اختصاصه موطن الشاهد ان يخبرهم إذا كان هذا الشاهد مصنفا في العدول لديه؟ وبهذا الخصوص يرى المؤلفون أن العدالة إن كانت مطلوبة في الخصومات فلأن هذه الأخيرة متعلقة بالحياة والعلاقات الاجتماعية. ثم إن اشتراط العدالة يقتضي في الواقع اشتراط الاسلام، في حين ان إثبات الشهور الهلالية يهم المسلمين وغيرهم من أهل الذمة المقيمين معهم في المجتمعات المعتمدة على التقويم الهلالي. ولهذا لايعتقد المؤلفون أن هناك أي إشكال في قبول شهادة الذمي بالهلال مادمنا مستغنين عن ضابط العدالة، وهم يعتبرون أن أقوى بينة من الشهادات هي العلم بالظواهر الفلكية لأنها تستند الى استقراءات عديدة وتجارب

الكتاب: اثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت الاسلامي

علمية.

وفي الفصل الثالث المخصص لموضوع اثبات الشهور عند فلكيي العصر الاسلامي أوضح المؤلفون، في البداية، العوامل التي جعلت العصر الإسلامي يهتم بعلم الفلك فالرسالة القرآنية حثت المسلم على التأمل في خلق الله كما أن فقه العبادات يطرح جملة من المسائل المتعلقة بعلم الفلك والرياضيات. ولهذا عكف المسلمون على ضبط أوقات الصلاة بدقة كبيرة واستلزم الحال وضع جدول تقويم هجرى. ثم ان ازدهار الرياضيات ساهم في تطوير علم الفلك إذ برز كثير من الرياضيين الذين ابدعوا في دراسة علم الفلك مثل الخوارزمي ونصير الدين الطوسي. ومن المعلوم أن مشكلة رؤية الهلال قديمة وطرحت قبل الاسلام حيث كانت الحضارات القديمة تستند لتحديد أوقات شعائرها الدينية على رؤية الهلال. وقد تمكنت المجتمعات من تطوير حساب حركات الاجرام ووضع جداول زمنية قائمة على حركة القمر. والدراسات الأولى للتنبؤ بظهور الهلال تؤرخ بظهور الاسلام رغم ان اقدم الأرصاد التي تخص الهلال وصلتنا من البابليين، وقام المسلمون باعادة طرح مسألة التنبؤ برؤية الهلال ومناقشتها، فاقترح البيروني مثلا قاعدة بسيطة يرجعها إلى الساكن مفادها أن اليوم الأول في رمضان يحدث بعد ٥٩ يوما من ظهور هلال رجب، كما وظف عبد الرحمن الصوفي (٩٠٣-٩٨٦م) الاسطرلاب في هذه القضية.

واستعرض المؤلفون تصور نظام العالم عند بطليموس ثم تعمقوا في أمور تقنية وحسابية كان لابد منها لفهم (معيار الاثنتى عشرة درجة) الذي ينبني على حساب الزاوية الحدية الفاصلة بين الشمس والقمر على طول الاستواء السماوي. كما تطرقوا بنفس الطريقة الى (معيار انخفاض الشمس) الذي يعتبر أن رؤية الهلال تكون ممكنة فقط إذا كان انخفاض الشمس عند غروب القمر يساوي على الأقل قيمة معلومة. واشار المؤلفون الى معايير أخرى قدمها الفلكيون المسلمون (مثل البتاني وابن يونس) نظرا لعدم دقة المعيارين السابقين.

وتناول الفصل الرابع من الكتاب مسألة اثبات الشهر الهلالي في علم الفلك الحديث، ولاحظ الاستاذ فسوم وزميليه أن هذه المسألة لم تعرف أي تطور خلال القرون العديدة التي تلت عصر الحضارة الاسلامية. ولم نر جديدا الا سنة ١٩١٠ عندما ظهر بحث هام اقترح معيارا جديدا يتعلق بالتنبؤ بالرؤية، وتلاه بحث آخر في السنة الموالية يقترح معيارا مماثلا. ويشترك هذان المعياران في خاصية هامة مع معايير العلماء المسلمين وهى الاستناد الى اعتبارات فلكية وهندسية محضة يمكن تلخيصها كالتالي: (سيتمكن المشاهد من رؤية الهلال الجديد إذا توفر شرط هندسي (هو أساس المعيار) بين الهلال والشمس والمكان المعتبر). وتوالت بعد ذلك البحوث في هذا الميدان ومن بينها بحث الأمريكي فرانس برمن سنة ١٩٧٧ وبحث الماليزي محمد إلياس سنة ١٩٨٤ وبحث الأمريكي برادلي شيفر سنة ١٩٨٨.

وقبل توضيح ماقدمته هذه الابحاث من جديد قام المؤلفون بدراسة تقنية مطولة استعرضوا فيها حركة القمر والكواكب موضحين ذلك برسوم واشكال عديدة. كما تطرقوا الى جداول إحداثيات القمر وإضائيته. ومن جهة اخرى تحدث المؤلفون عن المعطيات الرصدية ودلالاتها وعن النتائج المتعلقة بامكانية الرؤية وبخاصيات الهلال (كالطول والعرض والتوجه).

وبعد ذلك دخل المؤلفون باب المناقشة التي استهلوها بموضوع شروط قبول أو رفض المشاهدات. وقد اكدوا بهذا الخصوص على صعوبة رؤية الهلال الرقيق إذا لم تتوفر الكثير من الشروط الجوية، وذكروا بتجربة دوجت وشيفر التي بينت أنه يكفي ان يجتمع زهاء اثنى عشر شخصا لكي يرى اثنان منهم (هلالا) ليلة الشك. وبطبيعة الحال، فهذه نتيجة احتمالية تبين تقدير الخطأ الذي يرتكب ليلة الشك. وهكذا فإن التنبؤ بإمكانية رؤية الهلال شيء غير سهل إذ لم يصل الى درجة الدقة والثقة العلمية التامة. واجتهد المؤلفون في توضيح هذه النقطة التقنية الى القاريء، وفي نفس الوقت لاحظوا أن رفض مشاهدة خاطئة ليس صعبا على الإطلاق لأن المشاهدة الصحيحة لايمكن أن تتناقض مع عدد الخاصيات العلمية المعروفة. وقدم المؤلفون البعض من هذه الخاصيات (مثل تلك التي تقول بأنه لم تتم أبدا رؤية هلال أقل عمرا من ١٥ ساعة و٢٤ دقيقة بعد الاقتران). كما لم يفتهم الحديث عن استعمال الاجهزة العلمية لمشاهدة الهلال.

وفي نهاية الفصل اقترح المؤلفون طريقة لضبط التوقيت الاسلامي ملاحظين ضرورة وجود هذا الجدول إذ أن جل المعاملات الدولية للبلدان الاسلامية تتم حسب جدول التوقيت الغربي الذي أمر بوضعه البابا غريغوار الثالث عشر سنة ١٥٨٢م. من جهة أخرى نعاني كلنا من الاختلافات الكبيرة حول بداية رمضان ونهايته في كل سنة. ومن ثم يجب وضع أسس وطرق لتوحيد جدول التوقيت الاسلامي.

وينبغي ان تكون لهذا الجدول صلاحية زمنية بعيدة المدى (خمس سنوات على الأقل) حتى تتمكن الامة من التخطيط لمواعيدها واعمالها ومعاملاتها. كما ينبغي ان تكون لهذا الجدول صلاحية جغرافية حتى تتقلص الفوارق التوقيتية من مكان لآخر.

واشاد المؤلفون بالمجهودات الجبارة التي يقوم بها منذ عدة سنوات الباحث الماليزي محمد إلياس في هذا الاتجاه، وفي نفس الوقت فهم يعيبون على هذا الباحث كونه لم يأخذ بالاعتبار نتائج البحوث الجديدة التي نشرها شيفر والمتعاونون معه.

ويتلخص اقتراح المؤلفين، المستند الى احدث البحوث الفلكية، فيما يلي: إنهم يقترحون تقسيم الكرة الأرضية الى اربع مناطق هى:

المنطقة الأولى: من ١٥٠ درجة شرق خط غرينتش الى ٧٥ درجة شرقا. وهى تشمل آسيا الشرقية والجنوبية (الهند، الصين، ماليزيا، أندونيسيا)

المنطقة الثانية: من ٧٥ درجة شرقا الى

٣٠ درجة شرقا. وهي تشمل آسيا الصغرى (الجزيرة العربية ، الشام، ايران، باكستان، افغانستان، الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي سابقا..)

المنطقة الثالثة: من ٣٠ درجة شرق خط غرينتش الى ١٥ درجة غربا. وهي تشمل افريقيا واوروبا.

المنطقة الرابعة: من ٤٥ درجة غربا الى ١٢٠ درجة غربا وتشمل القارة الأمريكية (شمالها، وجنوبها).

وبعد هذا التقسيم يعين مايمسى (بخط التاريخ القمري) فإذا وجدناه يقع مثلا في المنطقة الثانية تقرر ان الشهر الجديد يدخل في المناطق ٤،٣،٢ ويؤجل بيوم في المنطقة الأولى. ويلح المؤلفون على أن هذه الطريقة كغيرها، لايمكن أن تنتج توحيدا فعليا لجداول التوقيت الاسلامي الا اذا تبنته جميع الدول الاسلامية .

وفي الفصل الخامس يعالج المؤلفون الناحية الفقهية للضوابط العلمية لهذا الاقتراح وغيره. وهكذا تطرقوا في البداية الى المواطن التي يحتاج (أو لايحتاج) فيها الى شهادة لإثبات الشهور الهلالية مبينين ان هناك ثلاث حالات هي: حالة القطع باستحالة الرؤية وحالة القطع بامكانية الرؤية وحالة جواز الرؤية.

ثم تناول الدكتور فسوم وزميليه موضوع الاصول الشرعية العامة لقبول أو رد الشهادات فاستخلصوا أن الموطن الوحيد الذي تثبت فيه الشهور بالشهادة هو عندما يحكم الحساب الفلكي بجواز الرؤية. كما أوردوا عدة نقاط أخرى تتعلق بموضوع تهمة الشاهد. وفي آخر الفصل استعرض المؤلفون ضوابط رفض وقبول الشهادة بدخول الشهور.

أما الفصل السادس فيعالج شرعية اعتماد حساب الفلك لاثبات الشهور. وقد اشار المؤلفون الى مغبة نكران حساب علماء الفلك معتبرين أن الحساب امتداد للرؤية.

كما نقدوا الفقهاء المناوئين لاعتماد الحساب من أجل اثبات الشهور، وذلك بحجج علمية وفقهية بعيدة عن الاسلوب الجدلي.

وفي الفصل السابع تحدث المؤلفون من جديد (وباسهاب) عن توحيد التوقيت الاسلامي مشيرين الى انعدام النص الشرعي الصريح الذي يعالج مسألة جدول التوقيت الاسلامي. وقدم المؤلفون في نهاية الفصل خلاصة تضم مقترحاتهم في هذا الموضوع.

واستعرض المؤلفون في الفصل الثامن مجمل النتائج التي توصلوا اليها في شكل ملخص لكافة المقترحات المقدمة في الفصول السابقة. ويرى المؤلفون ان (على الفقهاء التخلي عن انغلاقهم الذي جعلهم يرفضون التعامل مع المستجدات العلمية في هذه المسألة ويتمسكون بالآراء الفقهية القديمة التي وضعت وقت انعدام المعرفة الفلكية عند المسلمين).وعليهم ايضا (التعرف على التطور الذي عرفته الانسانية في العلوم عموما وفي المجالات التي تؤثر على مجتمعاتنا وحضارتنا). وبالموازاة مع ذلك يذكر المؤلفون ان قضية التنبؤ برؤية الهلال ليست سهلة ويستشهدون بالباحث شفير الذي قال: (إن مسألة التنبؤ برؤية الهلال الجديد يمكن اعتبارها آخر مسألة غير بديهية تطرح على الانسانية وعلى العلم اليوم) ذلك أن حلها يحتاج الى تضافر جهود الكثير من الاختصاصات مثل الرياضيات وعلم حركة الاجرام السماوية والفيزياء. والضوئيات وعلم الطقس والفيزيولوجيا المتعلقة بالبصر وعلم الكومبيوتر. ورغم ذلك فإن الشوط الذي قطعه علم الفلك يسمح بالاجابة عن كثير من التسأولات التي يطرحها العالم والفقيه والحاكم.

ويؤكد المؤلفون على ضرورة إعادة النظر في فقه هذه المسألة على ضوء المستجدات العلمية التي حاولوا استعراض مجملها في كتابهم. وقد اوردوا البيت التالي تأكيدا على هذه الضرورة:

وليس يصح في العقول شيء
إذا احتاج النهار الى دليل

ويمكن تلخيص اقتراحات المؤلفين فيما يلي:

١) انشاء لجنة للتوقيت في كل قطر، أو مجموعة أقطار، تتشكل من علماء (فلك) وفقهاء لكي تعمل على وضع جدول توقيت.

٢) إنشاء لجنة عليا على مستوى العالم الاسلامي تجمع اللجان المحلية لكي تقوم بالتنسيق قصد القضاء على الفوارق المعروفة.

٣) انشاء عدد من المراكز العلمية عبر العالم الاسلامي لمعالجة المسائل الدينية المتعلقة بالفلك.

٤) تقسيم الكرة الأرضية الى اربع مناطق (بالطريقة المبينة سابقا).

٥) توحيد التاريخ في كل منطقة من هذه المناطق بحيث لايمكن أن تختلف منطقتان الا بيوم واحد على الاكثر.

٦) اعتماد فكرة (خط التاريخ القمري) لتحديد المنطقة الأولى التي يتغير فيها شهرما من السنة.

٧) اعتماد نموذج شيفر لحساب احتمال الرؤية ومواصلة البحوث قصد تدقيقه وتحسينه.

٨) القيام باكبر عدد ممكن من حملات الرصد الهلالي وذلك عند بداية كل شهر وفي كل الاقطار والمدن الاسلامية حتى يتسنى للعلماء تدقيق قيمة احتمال الخطأ في المشاهدة، وكذلك تقدير العوامل المختلفة الداخلة في النماذج (التلوث، الرطوبة ،الخ..) بالنسبة لكل مكان.

ويهيب المؤلفون في الاخير بجميع قراء هذا الكتاب أن ينشروا الافكار التي تضمنها (هانحن قد فعلنا!). وان يعملوا على توعية الشعوب الاسلامية بضرورة العمل بمقتضى الدراسات العلمية الجادة.

ومن جهتنا نرى بان هذا الكتاب قبس آخر ينير الطريق امام المسلمين وفقهائهم وعلمائهم وحكامهم ويقرب بينهم. إن القارىء لهذا الكتاب يشعر فعلا بنبل الهدف الذي يسعى المؤلفون الى تحقيقه ويدرك درجة الاخلاص والنزاهة العلمية التي عالج بها هؤلاء موضوع كتابهم.. ولذا نتمنى أن يواصل الاساتذة نضال فسوم ومحمد العتبي وكريم مزيان جهودهم لإصدار مؤلفهم في عدة طبعات مزيدة ومنقحة بناء على نتائج البحوث المتوالية.

كما لايسعنا الا ان نشكر دار الامة على اهتمامها بمثل هذه الكتب القيمة□

مفهوم السعادة

بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية

بقلم: علي القاضي

كل إنسان في هذه الحياة يسعى لتحقيق السعادة حتى يعيش في أمن وراحة بال، وهدوء نفس واطمئنان قلب. ترى كيف تتحقق السعادة؟

يرى بعض الناس أن السعادة تكون في المال الكثير أو الحسب والنسب أو الجاه أو كثرة الأنجال وقد كان لبعض الشعراء رأي في السعادة، ومن هؤلاء الحطيئة الذي كان يرى أن السعادة في التقوى فيقول:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

ومنهم حسان بن ثابت الذي كان يرى أن السعادة في السلامة من الناس فيقول:

وان امرأ يمسي ويصبح سالما
من الناس إلا ما جنى لسعيد

الحضارة الغربية ومفهوم السعادة

الحضارة الغربية ترى أن السعادة تكمن في الأشياء المادية ثم الاستهلاك بل والمزيد من الاستهلاك كما تكون في الحرية الكاملة وفي الانطلاق في الشهوات وفي السلطان وما إلى ذلك والإنسان الذي تدفعه شهوة السلطان أو المال لا يشعر بنفسه ككائن بشري له ثروته النفسية ومجاله الذي لا يحد.

و إنما يمسي ويصبح عبدا خاضعا لميل قوي في نفسه يدفعه إلى السير في هذا الاتجاه أو ذاك. ولذلك فإننا نلاحظ في المجتمعات الأكثر تقدما من الناحية التكنولوجية سلسلة من حلقات الرشوة والغش والاحتيال، كما نلاحظ السطو والنهب وإذلال الشعوب الباحثة عن طريقها.

ومن هنا فإننا نلاحظ أن الجاه أو المال أو غير ذلك لا يحقق السعادة الحقيقية التي يشعر بها الإنسان ولذلك فالحضارة الغربية لا تمثل إلا حضارة القلق والسآمة والحيرة.

وقد أصبح الناس في الغرب يعبدون العادات والتقاليد والأعراف التي يصنعونها – وحق عليهم ما جاء في القرآن الكريم ﴿أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات:٩٥-٩٦].

والإنسان لا يمكن أن يحقق ذاته إلا إذا بقي متصلا بحقائق وجوده الأساسية: جمال الحب وجمال التماسك وإلا فإنه يحس بمأساة عزلته وجزئية وجوده.

إن الملل الذي ينجم عن الفصل بين المرء وعمله (بل بينه وبين نفسه) ماهو إلا عامل من العوامل التي أدت إلى ضيق المرء بنفسه في الحضارة الغربية – مما يؤدي به إلى الهروب من المجتمعات بالمخدرات ومن الحياة بالانتحار ولذلك فإن نسبة الانتحار في الغرب تتزايد كلما ارتفع الناس في سلم الحضارة بمقياسها المادي.

ظاهرة الانفصال

يقول أريك فوم الفيلسوف المعروف (إن المجتمع الحديث يتألف من أفراد كل منهم غريب عن الآخر تربطهم مصالح ذاتية وضرورة نفعية لا أكثر).

والإنسان كائن اجتماعي في حاجة قصوى إلى المشاركة والمعاونة التي لا تستند إلى محض المنفعة.

كما أنه في حاجة إلى الإحساس بأنه فرد في جماعة متماسكة متشابكة أساسها الحب الخالص والتعاطف والمودة وتسمى هذه الظاهرة في الغرب (ظاهرة الانفصال) وهي علة العلل عند إنسان القرن العشرين.

نعم إن الحضارة الغربية هي حضارة مادية لا روح فيها، وهي حضارة القلق والسآمة وقد وصلت إلى ذلك لأنها أهملت عالم القلب والنفس.

كما أهملت معرفة الهدف الصالح للحياة والجانب الخلقي في الحياة الإنسانية ومن مظاهر ذلك:

الصداقة

التي تحولت عند إنسان الحضارة الغربية إلى سلع تجارية وأصبح الإنسان لا يقدر في مجتمعه بالصفات الإنسانية بل بما يملك من مال. ولذلك فإن الإنسان فقد الإحساس بالكرامة لأنه فقد الإحساس بذاته وبوظيفته في الحياة يقول هنريك آيس الفيلسوف النرويجي عام ١٩٠٦م: إننا لا نعرف سبيلا للسعادة يؤدي إلى السعادة الحقيقية – بل إن السبل كلها تبعدنا عنها.

وتولستوى الفيلسوف الروسي سنة ١٩١٠م يرى: (أن السبب في إخفاق الإنسان في نيل السعادة يكمن في أنه يسعى إلى نيل السعادة الشخصية فقط (والوصول إلى السعادة الشخصية لا يمكن الحصول عليه لأن ذلك يستدعي إيقاع الضرر بالآخرين ولن يسكتوا – والسعادة الحقيقية هي سعادة الجماعة عن طريق المحبة والتعاون والتضحية في سبيل إسعاد الآخرين. إن مأساة الغرب تكمن في اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف إنساني أو أخلاقي).

وتؤكد الدراسات العلمية في العالم الغربي على ارتفاع معدلات المصابين بأمراض نفسية نتيجة الإغراق في أوضاع عادية تفرض إيقاعا سريعا للحياة وتحكم على النجاح والفشل بمعايير مادية). معايير أساسها القوة والمال في حياة فقدت الجانب المعنوي من كيانها.

وقد صرح رئيس أمريكا جون كندي عام ١٩٦٢م بأن مستقبل أمريكا في خطر – لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للجندية يوجد منهم ستة غير صالحين لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية.

والإنسان له قدرة معينة على استيعاب المثيرات يطلق عليها «العتبة النفسية» فإن زادت عن حدها عجزت ميكانيزمات الجسم عن التكيف معها فإن ذلك يؤدي إلى الاختلال في السلوك – ويستجيب لذلك بالسلوك العدواني على كل من حوله وقد يكون العدوان على النفس بالانتحار.

وقد لاحظ ديل كانيجي ذلك فألف كتابه (دع القلق وابدأ الحياة) ورسم الطريق لجلب السعادة (حسب تصوره) فقال في كتابه:

(علينا أن نملأ قلوبنا بأفكار السلام والشجاعة والصحة والآمال، وأن نحاول ألا نثأر من أعدائنا وأن نتوقع الجحود وعدم الشكر وأن نعدد نعم الله علينا ولا نعدد

متاعبنا وأن نتجنب تقليد الآخرين وإذا منحنا القدر ليمونة فلنحاول أن نصنع منها شرابا لذيذا – وعلينا أن ننس تعاستنا من خلال محاولة إيجاد السعادة في نفوس غيرنا – ففي ذلك إحسان إلى النفس – وعلينا أن نتجنب التوتر والقلق).

وهي نصائح طيبة ولكنها لا تحقق السعادة المطلوبة، لأن السعادة الحقيقية تكمن في صلة الإنسان بخالقه بحيث يحس بكيانه وأهميته وبأن له وظيفة سامية على الأرض وهي تحقيق الخلافة وإذا قام بدوره فيها طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى، فإن الله سيمنحه السعادة الكاملة في الدنيا الفانية وفي الدار الآخرة الباقية.

الحضارة الإسلامية والسعادة

الإنسان في الحضارة الإسلامية له غاية في هذه الحياة ووظيفة يؤديها وهي عمارة الأرض طبقا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا قام بدوره المطلوب منه فإن الله سبحانه وتعالى سيمنحه السعادة في الدنيا وفي الآخرة. وهذا ما يتمناه كل إنسان في هذه الحياة.

والمسلم متصل بخالقة يعبده وحده ولا يشرك به شيئا منه يستمد عقيدته وشريعته وهو المعمر للكون، ولكي يتمكن الإنسان من تحقيق وظيفته في الحياة فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل له ضوابط تعينه على ذلك ومنها:

– الإخلاص في القول والعمل:

ففي الحديث الذي رواه البخاري يقول النبي ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوي) والاستقامة الكاملة على المنهج الإسلامي تظهر في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»، كما تظهر في قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام:١٥٣].

– الاخوة :

كل مسلم يحس بأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وبأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وبأن المسلم لا يظلم المسلم ولا يسلمه وأنه دائما في حاجة أخيه حتى يكون الله دائما في حاجته وبأنه ينفس من كرب لمؤمنين حتى ينفس الله كرباته في الدنيا والآخرة وعلى المسلمين جميعا أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا وألا يتنازعوا حتى لا يفشلوا.

وعلى كل مسلم أن يخالط الناس وأن يصبر على أذاهم، وبأن يعفو عمن أساء إليه، وبأن يصل من قطعه ويعطي من حرمه، وبأن لا يسخر من أحد وأن يجتنب الظنون التي تؤدي إلي التخاصم والحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب – إلى جانب السماحة في التعامل مع الناس.

– المسؤولية الفردية:

والمسؤولية الفردية تظهر في قول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [البخاري]. وفي قوله تعالى: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ [مريم:٩٥]. وفي قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة].

– القناعة:

والمسلم عليه أن ينظر إلي نعم الله تعالى عليه ولاينظر إلى ما ينقصه ومن حقائق الإسلام إن من بات آمنا في سربه معاق في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها والإنسان بطبيعته يحب المال الكثير والنبي ﷺ يقول: «فوالله لا الفقر أخشى عليكم – ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلكم كما أهلكتهم» [البخاري].

وقد تنبأ النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني بما سيحدث لفريق من أمته حيث قال: «سيكون رجال من أمتي يأكلون الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون بالكلام – أولئك شرار أمتي.

–الرضا:

والرضا يجلب للإنسان السعادة مهما كانت الظروف ومن ذلك ما يرويه التاريخ الإسلامي من أن رجلا أعمى مقعد كان يلبس ملابس مرقعة وكان جالسا أمام منزله يشكر الله تعالى على نعمه – فقال له رجل مار في الطريق: «ياهذا على أي شيء تشكر الله ولم يترك لك شيئا تشكره عليه؟» فأجابه بقوله : «أغرب عني أيها الجاهل لقد أبقى لي لسانا يذكره وقلبا يشكره». وبهذا كان الرجل يحس بالسعادة الكاملة لإيمانه الكامل بخالقه على الرغم مما يعانيه من نواح كثيرة.

القيم الإسلامية

والقيم الإسلامية هي التي تجعل المجتمع يعيش في أمن وطمأنينة ويستخدم ما في الأرض من خيرات وثروات ومافي البشر من طاقات وعلوم – حتى يكون للمجتمع الإسلامي دوره الواضح في إقامة الحضارة الإسلامية.

ويلاحظ أن نفس المؤمن الراضية المطمئنة إلى الإيمان الحقيقي لا تستريح إلا في الاكتشافات المستمرة لما في الكون للتعرف على أسراره وسننه – كيما يزداد اتصالا بالله سبحانه تعالى.

ذلك لأن غاية معرفة الله سبحانه تعالى استمداد العون منه لأداء دوره في الحضارة الإلهية التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور – وتجعلهم يحسون بالسعادة الحقيقية في هذه الحياة. وبالسعادة الدائمة في الدار الآخرة.

ومن هنا فإن المسلم في الحضارة الإسلامية يحس بأنه ليس وحده في هذا الكون الفسيح فإن من حوله وفي كل اتجاه وحيثما امتد به البصر أو طاف به الخيال يحس بأن له إخوانا من خلق الله سبحانه وتعالى.

إنهم مختلفون في الصور والأشكال، ولكنهم يسبحون بحمد الله تعالى مثله وإن كان الإنسان لا يفهم تسبيحهم كما يحس بأن الكون صديق له ومعين له على أداء وظيفته وهو لذلك يعيش آمنا مطمئنا إنه في الأرض ولكن قلبه معلق في السماء.

بينما الإنسان في الحضارة الغربية يعيش في قلق دائم وكآبة مستمرة كما أنه يحس بالغربة عن الكون وعن الناس. و أحيانا يحس بالغربة عن نفسه. كما أنه يحس بأنه يعيش بغير هدف وبغير غاية.

ولذلك فإنه يهرب من المجتمع المهدئات والمخدرات أو يهرب من الحياة بالانتحار وهذا ما يؤذن بانهيار الحضارة الغربية على النحو الذي انهارت به الشيوعية وعلي المسلمين أن يقوموا بدورهم في الحياة وأن يعودوا إلى أداء وظيفتهم بالعودة إلى كتاب الله سبحانه تعالى وسنة نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله على بصيرة وبالجهاد في سبيل نصر دينه فبذلك يرضون عن أنفسهم وعن مجتمعهم وبذلك يرضى الله تعالى عنهم.

وبذلك يفوزون بالسعادة الحقيقية في الحياة الدنيا الزائلة وبالسعادة الحقيقية الدائمة في الدار الباقية وهذا ما تتمناه كل نفس سوية قادرة على السير في طريق الله الذي يحقق كل ما يتمناه الإنسان، كما يحقق كل ما تصبو اليه النفوس الواعية ذلك لأن المنهج الرباني يحرر النفوس من اتجاهات الجاهلية.

ومن اتجاهات الحضارة الغربية ويجعل المسلمين يسيرون في اتجاه الإسلام والانقياد إلى تعاليمه ويقيمون ميزان القيم الأخلاقية بميزان الإسلام ولمثل هذا فليعمل العاملون□

جابر عثرات الكرام

بقلم: أنور صالح جعفر

[المشهد الأول]

(مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك - يدخل الحاجب)

الحاجب: خزيمة بن بشر بالباب يأمير المؤمنين.

سليمان: ويحك يارجل.. منذ متى وهو على الباب ينتظر الاذن بالدخول؟

الحاجب: ماوفد الا الساعة يأمير المؤمنين ومازالت عليه غبرة السفر.

سليمان: أهلا به ومرحبا.. فليدخل.

(يخرج الحاجب - يدخل خزيمة)

خزيمة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين.

سليمان: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يابن بشر.. بالله عليك ما الذي أبطأك عنا كل هذا الوقت؟

خزيمة: مأبطأني يأمير المؤمنين الا سوء الحال.

سليمان: ولماذا لم تعجل بالنهوض الينا؟

خزيمة: الضعف وقلة الحيلة.

سليمان : لاحول ولاقوة الا بالله.. وبم نهضت الآن إذن؟

خزيمة: لذلك قصة غريبة لو اذنت لي يأمير المؤمنين قصصتها.

سليمان: قد فرغنا من مشاغلنا وقضينا حوائج الناس والحمد الله فهات ماعندك.

خزيمة: تعلم أعزك الله يأمير المؤمنين اني بفضل الله وكرمه كنت في نعمة سابغة وخير عميم..

سليمان:ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.. والآن ماذا جرى؟

خزيمة: ارادة الله أن يتبدل الحال.

سليمان: الحمد الله على السراء والضراء ودوام الحال من المحال يابن بشر ولكن.. أين الاخوان ممن كانوا دوما موضع فضلك وبرك ومروءتك؟

خزيمة: واسوني حينا ثم ملوا.. لكن لالوم عليهم.

سليمان: وأي سبيل طرقت؟

خزيمة: أغلقت على بابي أتقوت مما عندي وقد عزمت الا أبرح داري الى ان يأتيني الموت.

سليمان : وبم نهضت اذن؟ وكيف أقلت من عثرتك؟

خزيمة: هنا وجه العجب يأمير المؤمنين، لاأدري.. هبطت علي ثروة من السماء.. أربعة آلاف دينار لا أعرف الى الآن ممن؟

سليمان: كيف؟

خزيمة: ذات مساء في هدأة الليل سمعت طرقا على الباب فخرجت أستطلع الأمر مشفقا أن يكون الطارق عابر سبيل أو طالب احسان وأنا على ماأنا عليه من فقر واملاق، فوجدت رجلا على دابة ناولني كيسا ثقيلا وهو يقول: اصلح بهذا شأنك، فوضعت الكيس على الارض وأمسكت بلجام الدابة أسأله من هو.. فقال: ياهذا ماجئتك في هذه الساعة من الليل وأنا أريد أن تعرف من أنا، فقلت له: لن أقبل الكيس قبل أن أعرف من أنت، فما زاد عن قوله: أنا جابر عثرات الكرام.

سليمان: جابر عثرات الكرام؟ أوماعرفته؟ أو ماتبينت من هو ؟

خزيمة: كانت الليلة غير مقمرة يأمير المؤمنين وكان الرجل ملثما ومأأسرع ماانطلق لايلوي على شيء.

سليمان: كم أنا متلهف الآن لمعرفة من هو جابر عثرات الكرام هذا، لو عرفناه لأعناه على مروءته وكرمه ولجزيناه أحسن الجزاء.

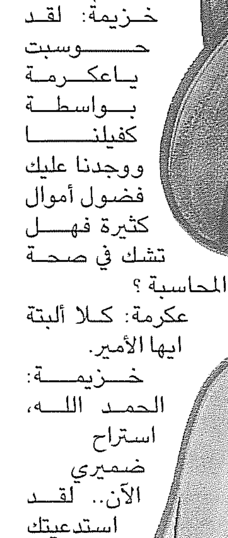
خزيمة: وأنى لنا أن نعرف يأمير المؤمنين من هو؟

سليمان: الحمد الله ان في رعيتي من يتصدق بالصدقة لاتدري شماله ماأعطت يمينه.. على أية حال يابن بشر لقد جئت في وقتك اذ رأيت أن اوليك امارة الجزيرة فقدعزلت واليها عكرمة.. فتعال معي الآن نحسن وفادتك.. ثم نتحدث فيما بعد عن المهام التي اريدها منك.

خزيمة: السمع والطاعة يأمير المؤمنين.

(إظلام)

[المشهد الثاني]



(مجلس خزيمة بدار الامارة بالجزيرة - أمامه عكرمه مكبلا بالأصفاد)

خزيمة: لقد حوسبت ياعكرمة بواسطة كفيلنا ووجدنا عليك فضول أموال كثيرة فهل تشك في صحة المحاسبة ؟

عكرمة: كلا ألبتة ايها الأمير.

خزيمة: الحمد الله، استراح ضميري الآن.. لقد استدعيتك من الحبس لأسألك

مـرة اخـرى.. أيـن فضـول تلك الأموال ياعكرمة؟

عكرمة: أصلح الله الأمير.. مالي الى شيء منها سبيل.

خزيمـة: ياعكرمة.. منـذ شـهر وأنت مكبل هكذا بالحديد مضيق عليك حتى مسك الضر. فهل أنت راض بما أنت فيه الآن؟

عكرمة: لـلـه الأمر والتدبير ايها الأمير وكل شيء بقضـاء الـلـه وقدره.

خزيمـة: ياعكرمـة.. انت ملزم بأداء هذا المال ان آجـلا أو عاجلا فهو أمانة ونحن جميعا عمال ولي الأمـر ولا نملك التصرف في شيء من مـال المسلمين الا بأذن ولي الأمر وعلمه.

عكـرمـة: واللـه ايها الأمير مأخـذت لنفسي أو لأهلي من مال المسلمين دانقـا، ومـابـددتـه في معصية، ووالله ماخنت الأمـانة قط منذ أن توليت.

خزيمة: أين اذن ذهب هذا المال وفي أي الوجوه أنفقته؟

عكـرمـة: ايها الأمير، لست ممن يصون ماله بعـرضـه، هناك أمور تقتضيها سياسة الـرعية وتدبير أمـورها صغـرت أم كبرت، وهي أمـور فيها مـالا يقال حفظـا لماء الوجـوه اذ هي أمـور لايعلمها الا الله، ومن كان طـرفا فيها، ولست في حل من ذكـرهـا لك،ولكني أذكـرهـا ان شاء اللـه أمـام أمير المؤمنين وحده.

خزيمة: مادام الأمـر كذلك فانا لاأملك الا الكتابة الى أمير المؤمنين وانتظار رده.. والي ان يصـل الرد لاأملك الا أن اعيدك الى الحبس.

عكـرمـة: أصلح اللـه الأمير.. اصنـع مـاشئت أنا راض بقضـاء الله وقدره.

(اظلام)

[المشهد الثالث]

(نفس المنظـر السـابق وأمـام خزيمة كاتبه)

خزيمة: واكتب.. وهـذا هو كل ماجرى بيني وبين عكرمة ووالله الذي لا اله الا هـو ياأمير المؤمنين لئن سـألتني الـرأي لأقـولن.. مـا اظن بعكرمة ظن السوء ابدا، فهو رجل طاهر الإزارمحمود السيرة، نقي السريرة، بـالغ الجود والكرم حتى عرف بيننا بعكرمة الفياض. ومـا أرى فضـول الأمـوال التي أظهرتها المحاسبـة الا من بذل في ضرورات اقتضتهـا السيـاسـة وتدبير أمـور الرعيـة بالجزيـرة، وذلك أمـر لاأملك البت فيـه الا بـرأيك وأمـرك وان رأيت أن نشخصـه اليك وتسمـع منـه اشخصناه.. والسلام.

(الكـاتب يجمـع أوراقـه ويهم بالخروج)

الكـاتب: جزاك اللـه الخير كل الخير سيدي الأمير فنعم ماأمليت ونعم ماشهدت به في حق عكرمة.

خزيمة: ماشهدت الا بما عرفت وخبرت من أمـره يـابني.. والآن انظر ان كان بـالباب احد قبل ان ننصرف.

الكاتب: نعـم أيها الأمير.. هناك غلام يريد مقابلتك ومأأنسانيه الا الشيطان.

خزيمة: دعه يدخل.

(يخرج الكـاتب ويعـود بعـد برهة ومعه غلام)

الغلام: السـلام عليكم ورحمة الله سيدي الأمير.

خزيمة: وعليك السلام ورحمة الله.. مالأمر؟

الغـلام: (مترددا) أمـرتني سيدتي زوج سيدي عكـرمة.. ان احدثك على انفراد سيدي الأمير.

(يـومـىء خـزيمـة للكـاتب بالانصراف فينصرف)

خزيمة: هات ماعندك.

الغـلام: تقـول لـك سيـدتي.. مـاكـان يجب ان يكـون الحبس والتضييق والحديد هو جزاءجابر عثرات الكرام ومكافأته عندك.

(صمت لبرهة)

خـزيمـة: يـاالهي.. يـاالهي.. أعكرمة الفياض هـو جابر عثرات الكرام.

الغلام: نعم ياسيدي. وأنا كنت برفقتـه ليلة أن توجـه اليك ولكنه أبعدني قبل أن يصل الى دارك فلم أعرف أي باب طرق ولا لمن أعطي المال.

خزيمة: واسوأتـاه.. واسوأتاه.

(الغلام يهم بالانصراف)

خزيمة : انتظريافتى.. لن تبرح هـذا المكـان الا معي.. سنجمع وجوه البلدة ونذهب الى عكرمة في الحبـس وسترى بنفسـك مـاسيكـون لتبلغ سيـدتك زوج عكرمة.. (إظلام)

[المشهد الرابع]

(اضاءة زنزانة سجن عكرمة)

عكرمة: اللهم ياعلام الغيوب.. انت وحـدك اعلم بحـالي ففـرج كربتي وهمي ياأرحم الرحمين.

(يفتح بـاب الزنـزانة ويـدخل خزيمة والغـلام والكاتب وبعض وجـوه البلـدة – عكـرمـة يـراهم فينكس رأسه محتشما)

خزيمة: ارفع رأسك ياعكرمة.. فـوالـلـه مـامـن أحـد هنـا أحق بتنكيس رأسه خزيا وعارا وأسفا مني فقد قابلت صنيعك بسـوء المكافأة وقبيح الفعال.

عكرمة: يغفـر الله لنا ولك أيها الامير..

خزيمة (للكاتب) فك قيوده..

(يسـارع الكـاتـب بفك قيـود عكرمة)

خزيمة: هـاتها هنا وضعها في رجلي..

عكرمة: ولم أيها الأمير؟

خـزيمـة: (وهـويجر القيـود ليضعها في رجلـه) اريد ان أنـال من الضر مثل مانالك.

عكرمة: أقسمت عليك بالله ان لاتفعل ايها الأمير..

خزيمة: كان يجب ان.. ان..

عكرمة: بالله عليك ايها الأمير.. مادمت قدعرفت.. فـدعني الآن اذهب الى أهلي..

خزيمـة: لا.. ليس قبل أن اغير من حـالك مارث وأتولى خـدمتك بنفسي ثم نذهـب إلى أهلك لأعتذر إليهم وبعـدهـا نسير الى أمير المؤمنين.

(اظلام)

[المشهد الخامس]

(مجلس أمير المؤمنين)

الحاجب: خـزيمـة بن بشر بالباب يا أمير المؤمنين.

سليمان: ويحه. ماذا جـرى.. والى الجزيرة يقـدم بغير أمرنـا.. مـا هـذا الا لـحادث جلل وأمـر عظيم.

(يومىء لـه بالاذن – ينصرف الحاجب يدخل خزيمة)

سليمان: ماوراءك ياخزيمة.

خزيمة: خير ياأمير المؤمنين.

سليمان : فما الذي اقدمك؟

خزيمة: ظفرت بجـابر عثرات الكرام فاحببت أن أسرك لما رأيته من تلهفك عليـه وتشـوقك الى رؤيته.

سليمان: ومن هو ؟

خزيمة: عكرمة الفياض ياأمير المؤمنين.

سليمان: وأين هو الآن؟

خزيمـة: ينتظر الاذن بـالمثول ياأمير المؤمنين.

سليمان: أهـلا وسهـلا ومرحبا..

(يتجه خزيمة الى الباب ويعود بعكرمة)

عكرمة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ياأمير المؤمنين.

سليمان: وعليك السـلام ورحمة اللـه وبـركتـه يـافـاعل الخير.. ادن مني. تعـال اجلس هنا..

عكرمة: زادك اللـه عزة ومنعة وتشريفا ياأمير المؤمنين.

سليمان: يـاعكرمـة.. ماكـان خيرك لخزيمة الا وبالا عليك.

عكـرمـة : لله الأمـر والتـدبير ياأمير المؤمنين.

سليمان: العفـو مـن شيم الكرام.. وأنت جـواد فياض فهل عفوت عن ابن بشر ؟

عكـرمة: مـاصنع ابن بشر الا كل خير.. فهكـذا يجب ان يكـون عما ل أمير المؤمنين قـوة وحزمـا وتصريفا للأمور.

سليمان: خـذ من الكـاتب ياعكرمة قـرطاسا ودواة واكتب حوائجك كلها.

عكـرمـة: أوتعفيني يـاأمير المؤمنين.

سليمان: لابد ياعكـرمة.. وكل ماستطلب سـأقضيه لك.. وفوقها عشرة آلاف دينار.

عكـرمة: أطـال الله لك البقـاء كطـول يـدك في العطـاء يـا أمير المؤمنين.

سليمان: وستعود ياعكرمة الى ولايتك وستضم اليهـا اذربيجان وأرمينيا، أما أمر خزيمة فهو لك. ان شئت ابقيته وإن شئت عزلته.

عكرمة: بل يرد الى عمله ياأمير المؤمنين.

سليمان: الحمد لله الذي هدانا للاسلام.. ولولا هداية الله لنا ما وجدنا بين ظهـرانينا امثالكم من الرجال البررة الكرام الأوفياء.

(ستار النهاية)□

وصاحبهما في الدنيا معروفا

كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - عندما أشرق نـور النبوة في مكة - شابا طري الغصن، غض الجلد، رقيق العاطفة، كثير البر بوالديه، شديد الحب لأمه.
ويصف سعد إسلامه بقوله: بلغني أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام، فمضيت إليه مسرعا، وما إن سمعت أمي بدخولي في الإسـلام حتى ثارت ثائرتها، وقالت لي: واللـه لتدعنّ دينك الجديد، أو لا آكل، ولا أشرب حتى أموت، ويتشقق فؤادك حزنا عليّ.
فقلت لها: لا تفعلي يا أماه، فأنا لا أدع ديني لأي شيء. ولكنهـا مضت في وعيدها، ولم تأكل، ولم تشرب، فهزل جسمها، ووهن عظمها، فجعلت آتيها سـاعة بعد ساعة، أسألها أن تأكل لو قليـلا من الطعام، ولكنها ترفض ذلك، فقلت لها: يا أمـاه إني على شديد حبي لـك، لأشد حبا للـه ورسوله. فلما رأت الجد مني أذعنت لـلأمر، وشربت على كره منها. فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾.

مصطلح بخيل

كان محمد بن الجهم بخيلاً. وقال له أصحابه مرّة: إننا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت انصرافنا. فأجابهم: علامة ذلك أن أقول: يا غلام، هات الغداء.

خشية من الله

قال يونس بن محمد المكي: زرع رجل من أهل الطائف زرعا، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق، فدخلنا عليه نسليه فبكى وقال: والله ما عليه أبكي، ولكن سمعت قول الله تعالى: ﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾، فأخاف أن أكون من أهـل هذه الصـفة، فذلك الذي أبكاني.

أدب الحديث والاستماع

قال عبد الله بن مسعود؛ رضي الله عنه: (حدث الناس ما مالوا إليك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فتورا فأمسك).
وقال عمر بن عتبة بن أبي سفيان: نزه سمعك عن استماع الخنا (أي فحش الكلام)، كما تنزه لسانك عن القول به، فإن السامع شريك القائل.

أقوال حكماء

بشاشة الوجه عطية ثانية.
[الأمام علي كرم الله وجهه]

إذا أراد اللـه بقـوم سـوءا، أعطـاهم الجدل، ومنعهم العمل.
[الإمام الأوزاعي رحمه الله]

الحب إحدى كلمتين، هما ميراث الإنسـانية، وهـدية التـاريخ، والطرفـان اللـذان يلتقيان عندهما السماء بالأرض.
[الأديب مصطفى الرافعي]



إعـداد: التحـريـر

ثمرات الطاعات

قال الله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنـات والقـانتين والقـانتـات والصـادقين والصادقات والصـابرين والصـابـرات والخاشعين والخاشعـات والمتصـدقين والمتصـدقـات والصـائمين والصـائمات والحافظين فـروجهم والحافظـات والـذاكـرين اللـه كثيرا والـذاكـرات أعـد اللـه لهم مغفـرة واجـرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥].

دخـول الجنـة

قـال رسـول اللـه ﷺ: «إن الشيطـان قعـد لابن آدم بـاطرقـه، فقعـد له بطريق الإسـلام فقال: تسلم وتـذر دينك ودين آبـائك وآبـاء آبائك؟ فعصـاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجـر وتـدع ارضك وسماءك، وانما مثل المهاجر كمثل الفـرس في الطـول. فعصاه فهـاجر، ثم قعـد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهـو جهـد النفس والمال، فتقـاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟ فعصـاه فجـاهد، فمن فعل ذلك كـان حقـا على اللـه أن يـدخلـه الجنـة، ومن قتل كـان حقـا على اللـه أن يدخلـه الجنـة، وإن غرق كان حقـا على الله أن يـدخلـه الجنـة، وإن وقصته دابته، كـان حقا على اللـه أن يـدخلـه الجنـة».

ثلاث وثلاث وثلاث

قيل ثلاثة تضر بأربابها: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر، وتكلف ما لا يطاق اتكالا على القوة. وثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس.
وثلاثة من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

قالوا في الدنيا

قيل لبكر بن عبد الله المزني: صف لنا الدنيا. فقال: ما مضى منها فحلم، وما بقي فأماني.
وقيل لعبد الله بن ثعلبة: صف لنا الدنيا. قال: أمسك مذموم فيك، ويومك غير محمود لك، وغدك غير مأمون عليك.
وقال علي بن أبي طالب؛ كرم الله وجهه: خذ من الدنيا ما أتاك، وتول عما تولى عنك، فإن لم تفعل فأجمل في الطلب. واعلم أن الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك. فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

دعاء

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة.
اللهم أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

من خرافات العامة

شاع في عصر الفاطميين والمماليك في مصر، استخدام ما يسمى بـ(طاسة الرعبة)، وهي من الأواني ذات المفعول السحري في معتقدات العامة. كانت تصنع من النحاس ويكتب عليها الكثير من الأدعية، واحيانا شرح لاستخدامها لإبطال السحر أو الشفاء من لسعة حية، أو لحماية الأطفال.
وربما كان بدء استخدامها في بعض الحالات العصبية، أو ما ينتج عن حدث مفزع لشخص ما. وقد انتقلت طاسة الرعبة مع الفتح الفاطمي والملوكي إلى بلاد الشام. وكانت الطاسة تملأ بالماء، وتترك في الهواء ليلا، وفي الصباح يشربها المصاب، وقد يتكرر هذا ثلاثة أيام، أو سبعة، أو أربعين ليلة، تبعا لحالة المريض. كما كانت تستخدم لشفاء الأمراض المستعصية، كالقولون، والكبد، والتيفوئيد، ولسعة العقرب، وعضة الكلب. هذا في مصر، أما في بلاد الشام، فكانت تملأ وتشرب حالا. وما زال استخدامها قائما في بعض الأحياء الشعبية بمصر والشام .. وهذا من أعمال الشعوذة التي تجوز على الكثير من الناس، كقراءة العزائم على بعض المأكولات أو المشروبات، واستعمال المباخر، وما إلى ذلك. وأحيانا قد يكون لهذا العمل أثر في نفس المريض عن طريق الايحاء فقط. ولكنها في واقعها، ليس لها أي أثر طبي، وليس لها أساس شرعي.

حكم وأمثال

العاقل من لم تطغ عاطفته على تفكيره.
الغرور آفة لا تقتل إلا صاحبها.
إذا أردت أن تحفظ سرك فاحفظه أنت أولا.

ثلاث أياد

الأيادي ثلاث: يد بيضاء، وهي الابتداء.. ويد خضراء، وهي المكافأة.. ويد سوداء، وهي المن.

معنى الهلال

قال الزجاج: (ومعنى الهلال واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي: إذا بكى حين يولد، أو صاح. وإنما قيل له هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره. وأهل القوم بالحج والعمرة أي: رفعوا أصواتهم بالتلبية).

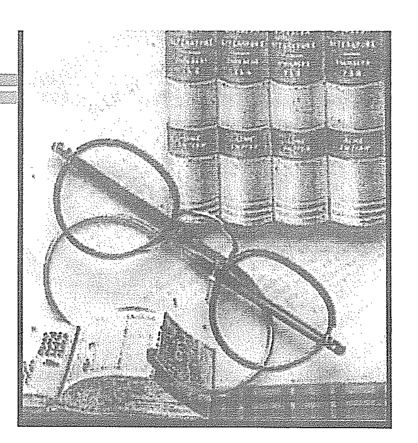
آفة الحسد

جاء في العقد الفريد نسبة إلى بعض الحكماء: ما أمحق للإيمان، ولا أهتك للستر من الحسد. وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله. باغ على عباده، عات على ربه. يعتد نعم الله نقما. ومزيده غيرا. وعدل قضائه حيفا. للناس حال وله حال. لا يهدأ ليله، ولا ينام جشعه، ولا ينفعه عيشه، محتقر لنعم الله عليه، متسخط ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله. إن سالمته وترك. أي أصابك بمكروه، وإن واصلته قطعك، وإن صرمته سبقك، أي سبقك إلى الصرم، وهو القطع.
ويقول الشاعر:

إياك والحسد الذي هو آفة
فتوقه وتوق غيرة من حسد
إن الحسود إذا أراك مودة
بالقول فهو لك العدو المجتهد

من أدعية الأوّلين

كان آخر دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك).
وكان آخر دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني في غرة، ولا تجعلني مع الغافلين).
ومن دعاء عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اللهم وسع عليّ في الدنيا، وزهدني فيها، ولا تزوها عني، وترغبني فيها).
ومن دعاء الجاحظ: (أسألك اللهم طول العمر في الأمن والعافية، والحلم، والعلم، والحزم، والأخلاق الحسنة، والأفعال المرضية، واليسر والتيسير، والنماء والتثمير، وطيب الذكر، وحسن الاحدوثه، والمحبة في الخاصة والعامة، وهب لي ثبات الحجة والتأييد عند المنازعة والمخاصمة، وبارك لي في الموت، إنك على كل شيء قدير).



إعـــداد: التحـــريـــر

ثمـــرات المطـــابع

إسلاميات

○ الشيخ / خالد صالح المسفر

○ الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ

أراد المؤلف من كتابه أن يحوي أكبر قدر ممكن من المعلومات المفيدة للمسلم، تعينه في دينه ودنياه، فخصص الفصل الأول لأحكام تجويد القرآن الكريم وآداب التلاوة، والفصل الثاني في الأركان الخمسة للإسلام؛ مع شيء من سيرة النبي ﷺ وأحكام العبادات بشيء من التفصيل، وتم تخصيص الفصل الثالث بالزواج والطلاق وآثارهما، وعرّج على حكمة تعدد زوجات النبي ﷺ.. والكتاب بالرغم من صغر حجمه إلا أنه حوى علوما مهمة ومعلومات يحتاج المكلف للقيام بأداء العبادات على أكمل وجه إن شاء الله.

القومية مرض العصر أم خلاصه؟

○ مجموعة من الباحثين

○ جمع وتحرير: فالح عبد الجبار

○ نشر: دار الساقي – لندن

ما زال موضوع القومية من أكثر الأطروحات السياسية والاجتماعية ضبابية ومدعاة للاختلاف والجدل الفكري، بالرغم من كل الكتابات والدراسات التي تناولتها، وكتاب (دار الساقي) بلندن لم يضع أجوبة شافية لكثير من المسائل المتعلقة بالفكر القومي وبالقومية بالرغم من الجهد الذي بذله أصحاب البحوث، ويقول جامعه ومحرره: (الأنكى من ذلك أن النزعة القومية العربية لا تبدو في انحسار وحسب، بل إن نزعة قومية محلية تشتد في محلها، أو تبدو أكثر فعلا، نزعة عراقية أو سورية، أو مصرية، الواقع أن هذه النزعة الأخيرة كانت دائمة الفعل ولعلها الصورة الأصدق للنزوع القومي، إلا أنها لم تحظ بالاعتراف بعد، وما تزال تعمد بأسماء قدحية: نظرة قطرية، محلية، ضيقة إلخ)..

الوجيز في أصول التشريع الإسلامي

○ د. محمد حسن هيتو

○ نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٠م

طبعة الكتاب هذه جديدة ومصححة ومنقحة، ذيّل فيها المؤلف المباحث بمراجعها حرصا منه على أمانة النقل وتوثيق النصوص وربط طالب العلم بالمراجع القديمة، وزاد في التعليقات بعض الفوائد المهمة ضمن نطاق المبتديء في فن علم (أصول الفقه) وهو موضوع الكتاب الذي وضع في الأصل لطلاب العلوم الشرعية، فراعى فيه الإيجاز والاختصار مع تحقيق الفائدة، وعدم الإخلال بالموضوع جملة، ذلك لأن الكاتب يرى (علم أصول الفقه من أشرف علوم الشرع مكانا، وأكبرها أثرا، وأعمقها غورا، وأدقها مسلكا، وبقدر تفاوت العلماء في التمرس به وإتقانه تتفاوت بين الناس أقدارهم، وتتباين في الشريعة منازلهم)..

والسائر في طريق العلم، المتعمق في فن الاصول خاصة – يدرك كما ادرك الكاتب – (الهوة الواسعة التي تفصل بين المسلمين اليوم وبين حقيقة التشريع والاستنباط والاجتهاد، ويعلم ان مرد معظم التخبط الذي يقع فيه المسلم المعاصر – الذي حيل بينه وبين علومه الشرعية بالمخططات المدروسة الهدامة – إنما هو نتاج جهله بقواعد الاستنباط والاجتهاد، وهي قواعد هذا الفن العظيم)..

وأوجز المؤلف خطته في كتابه بالتالي:

– ذكر أصول المسائل الأصولية، دون الخوض في تفاصيلها الدقيقة، لأنه إنما وضع الكتاب للمبتديء، والخوض في التفاصيل ربما ابتعد به عن الهدف المنشود..

– سرى فيه على رأي الجمهور في الأعم الأغلب، دون التعرض لآراء المخالفين لعدم فائدتها للمبتديء أيضا، إلا أنه أشار إلى وجود الخلاف بقوله: الأصح، أو الصحيح، أو الجمهور على كذا، مما يفهم معه أن ثمة من يخالف، وقد يذكر الخلاف لضرورة الوقوف عليه لما له من الأهمية.. وربما اختار – في بعض الحالات – بعض الأقوال وأشار إلى ذلك بما يبين أنه من اختياره وترجيحه..

– ابتعد عن الاستطراد في سرد الأدلة على المذهب المختار، بل ذكر أهم الأدلة التي يستدل بها على المسألة، وربما أهمل – أحيانا – الدليل لوضوح المسألة واستغنائها عنه..

– حاول ما أمكن – وبما يتناسب مع غرض الكتاب في الإيجاز وحاجة المبتديء – أن يستقصي المسائل الأصولية التي تعرض لها الأصوليون في كتبهم المختلفة، ليكون الكتاب على إيجازه جامعا لكل مسائل الفن ومباحثه..

وجعل الكتاب في سبعة كتب، وتحت كل كتاب أبواب، ولكل باب فصول، وكتب الكتاب كما وردت: (الكتاب) و(السنة) و(الإجماع) و(القياس) و(الأدلة المختلف فيها) و(التعادل والترجيح) و(الاجتهاد والتقليد).

الإسلام في العصور الوسطى

○ غوستاف غرونيباوم

○ ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد

○ نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

يعتبر غوستاف فون غيرنيباوم، مؤلف الكتاب أحد كبار المستشرقين من الذين برعوا في دراسة الإسلام وتاريخه، وهو يرى في هذا الكتاب ان العرب أعطوا العالم الإسلامي قرآنه ولغته وعقيدته، وانهم استوعبوا حضارات البلاد التي دخلوها، وأخرجوها للناس في ثوبها العربي الاسلامي..

ولئن سمى المؤلف كتابه (الإسلام في العصور الوسطى) إلا أنه بدأ معه من نقطة البداية، فتتبع نشأته وترسّمه قرآناً وسنة، ودرس أصوله ومذاهبه وفرقه بأسلوب موضوعي منهجي عبّر فيه عن تقديره العميق لحضارة المسلمين وإبداعاتهم فيها.

الإمام الشافعي

○ مجموعة من الباحثين

○ نشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الكتاب يحوي جزءا من البحوث العلمية التي قدمت في منتصف شهر آب (أغسطس) ١٩٩٠، إلى ندوة الاحتفاء بذكرى مرور اثني عشر قرنا على وفاة الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، أحد أبرز فقهاء المسلمين، ومذهبه أحد أبرز أربعة مذاهب فقهية مازالت مستمرة حتى يومنا هذا، وقد شارك في الندوة التي أقامتها (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو) بالتعاون مع (الجامعة الإسلامية العالمية في كوالالمبور بماليزيا) حشد كبير من العلماء والمفكرين المسلمين، العرب والأجانب، قدموا مجموعة من البحوث المهمة باللغتين العربية والانكليزية، ونظرا لغزارة المادة المدروسة عمدت المنظمة الاسلامية إلى إصدار البحوث العربية في هذا الجزء الأول على أمل إصدار البحوث الأخرى في جزء ثان لاحقا إن شاء الله..

ويقع الكتاب في أربعة محاور ومجموعة من الملاحق: الإمام الشافعي: حياته ودراسته. (الإمام الشافعي واضع علم أصول الفقه). (مذهب الإمام الشافعي بين المذاهب الإسلامية). (أثر مذهب الشافعي في العالم الإسلامي وخارجه). والملاحق: تضم التقرير النهائي وتوصيات الندوة العالمية، وقائمة بأسماء المشاركين..

وأهم التوصيات:

- الدعوة إلى الاهتمام بالتراث الفقهي بوجه عام، وإنشاء مركز مختص بدراسة هذا التراث وبخاصة تراث الإمام الشافعي..
- الدعوة لوضع معجم خاص بالأصول والقواعد الفقهية للإمام الشافعي، وكذلك وضع معجم لفقه الشافعي..
- دعوة منظمة إيسيسكو إلى إعادة طبع كتاب (الأم) بعد تحقيقه تحقيقا علميا من قبل لجنة مختصة..
- دعوة منظمة إيسيسكو إلى الاهتمام بسائر أئمة المذاهب الفقهية السائدة، وأن تنظم - بالتعاون مع الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان، ندوة عالمية للاحتفاء بذكرى الإمام أبي حنيفة وفقهه..

ويرى الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري (المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أن التوصيات تهدف إلى (تجسيد التضامن الإسلامي ووحدة العقيدة التي تربط الأمة الإسلامية من أقصى المغرب في أفريقيا إلى أقصى المشرق في آسيا، مما يعطي الدليل الواضح والبرهان الناصع على أن الأمة الإسلامية وحدة متماسكة مهما تباعدت الديار وتناءت الأقطار).

غزة - أريحا سلام أمريكي

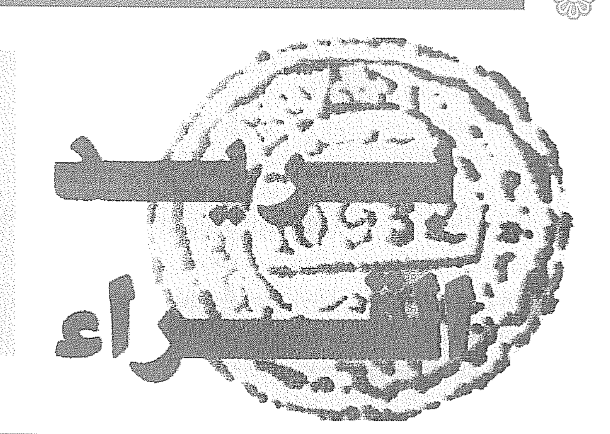
○ د. ادوارد سعيد

○ نشر: دار المستقبل العربي - القاهرة

د. ادوارد قد نشرها في (الحياة) اللبنانية بالعربية، وبالانكليزية في (الأهرام ويكلي) المصرية بين أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ وآب (أغسطس) ١٩٩٤، وله مقدمتان واحدة للمؤلف والأخرى تقديم لمحمد حسنين هيكل..

وتدور الفكرة المحورية للكتاب، كما قررها المؤلف في مقدمته، ان الاتفاقيات التي تم إبرامها بين منظمة التحرير الفلسطينية ودولة (إسرائيل) ليست إلا محصلة استسلام غير ضروري وغير حتمي، مكّن إسرائيل من تحقيق كافة أغراضها التكتيكية والاستراتيجية على حساب كافة المبادىء المعلنة للنضال العربي والكفاح الفلسطيني، ويؤكد المؤلف إيمانه بعدم إمكانية حل الصراع العربي - الإسرائيلي عموما، والفلسطيني - الصهيوني خصوصا حلا عسكريا محضا، وانما بمصالحة الشعوب، إلا أن التصالح لا يتم قسرا، كما انه لن يتحقق ابدا بين مجتمعات وثقافات تتفاوت قوتها بشدة، ويسيطر بعضها على بعض بالقوة، فالسلام الحقيقي لا يمكن ان يتحقق إلا عبر مصالحة بين ندين، وبين شريكين يستطيع كل منهما باستقلاليته وقوة اهدافه وتماسكه فهم الآخر ومشاركته بشكل متكافىء..

ويقول المؤلف في تناوله لاتفاقية غزة - أريحا إن إعلان مبادىء (أوسلو) جاء بالمزيد من التنازلات، فقد تنازلت القيادة الفلسطينية، ولأول مرة في التاريخ الفلسطيني الحديث، لا عن حق تقرير المصير فقط، بل عن القدس واللاجئين، حيث أرجأت هذه الأمور مجتمعة إلى مفاوضات المرحلة النهائية غير محددة الشروط، كذلك تم قبول تقسيم الشعب الفلسطيني إلى سكان للاراضي المحتلة يتم التعامل معهم في اطار عملية السلام، والى آخرين يمثلون ٥٥٪ من الفلسطينيين تتجاهلهم عملية السلام هذه.



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

موازنات مؤلمة

يحدث التاريخ – وهو شاهد أمين – أن امبراطور الروم (توفيل) قد أغار على حدود الدولة الإسلامية، وهجم على مدينة (زبطرة) مسقط رأس الخليفة العباسي (المعتصم بالله)، ومثل بمن وقع في يده من المسلمين وكان ذلك عام ٢٢٣ ه الموافق ٨٣٧م، ولكن هجوم الروم لم يستمر طويلا فقد صرخت امرأة مسلمة: (وامعتصماه!!) وجنود الروم يجرنها مكبلة، فترامت الأنباء الى المعتصم، وكأنه سمع استغاثة المرأةعبر الأميال، فنهض إلى سلاحه يدفع الخطر، ويغسل العار، وصمم على أن يفتح (عمورية) مسقط رأس الامبراطور، ومضى بجيشه الهادر – غير عابيء بأوهام المنجمين وانقض على بلاد الروم الظالمين، فسقطت حصونهم وقلاعهم ومدنهم تحت ضربات الجيش الإسلامي الكبير انتقاما من غادر أثيم.

وقد شاهد تلك المعركة الحاسمة الشاعر العربي (أبو تمام) فصورها بصدق وإعجاب في قصيدته الرائعة التى يستهلها بقوله:

السيف أصدق إنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

واليوم يعتدي على المسلمين في(البوسنة والهرسك) فيستغيثون، لعل استغاثتهم تصل الى أسماع من يستجيبون كسائر الاعضاء في الجسد الواحد. وقد أوحت تلك الموازنة بهذه الأبيات:

بهذي القوة الكبرى لعرب
سما الإسلام في شرق وغرب
ولم يخش الأباة من الجدود
أباطرة، بسلم أو بحرب
فمعتصم، ومنتقم لدين
له التاريخ في فخر وعجب
(فمعتصماه) يسمعها ببعد
فينهض بالجيوش لكي يلبي
يدك حصون من جرؤت يداه
يعاقبه بإذلال، وضرب
يشرد في البلاد بغير مأوى
ويقتله الخسيس بغير ذنب
كأن الغاب قد عادت رؤاها
ضعيف الناس شاة عند ذئب
به العدوان قد أضحى سبيلا
لكي يحيا قراصنة بسلب
(ببسنة) مسلم يعلو نداه
يدوي الصوت في شرق وغرب
لعل أخاه في الإسلام يأتي
ليدفع عن أخيه ظلام كرب
فأين «إذا اشتكى عضو تداعت
له الأعضاء بالحمى» لحب؟!
وأين تعاون برا وتقوى
وأين النجدة الكبرى بقلب؟!

عبد الغني أحمد ناجي
– الفيوم – دار المعلمات – ج.م.ع □

واجب العلماء

إن أخطر ما يضر بالعقيدة. ويأتي على الفضائل سكوت العلماء ولين الأمراء. وأخطر منه فتاوى المضلين. وتهاون الحاكمين في الحدود بما أمر به الله عز وجل.

ولهذا انتشرت الاباحية. وكثر الفساد في البر والبحر. وضعف الوازع الديني. وانحطت الأخلاق وماتت الغيرة وانعدمت الرقابة على الصعيدين. الأسرة والمجتمع. ولم يقم كل منهما بواجبه. ولا يظهر الباطل إلا في غفلة وسكوت العلماء. ان الأمة التي تتخلى عن دينها. وتتبع هواها. أمة فاشلة لا تقوم لها قائمة. منحلّة لا يستقيم لها حال يدب الوهن في نفوسها. وتتقطع أوصالها. وينفرط عقدها وتفتح للعدو بابها وتعيش كالسائمة تأكل كما تأكل الأنعام والنار مثوى لها.

وإن من الأمراض التي انتابت أفراد هذه الأمة التهاون. ظاهرة خبيثة إذا ما وجدت في أمة قلما تفلح. أو في جماعة قلما تنجح. هذا المرض هو الاستهانة في دين الله فليس لأمة بعد دينها مقوم. ولا مصيبة تصيبها أكبر من مصابها فيه. ولا فساد أعظم من فسادها في عقيدتها.

واجبات العالم نحو مجتمعه

إن كرامة العالم مرهونة بأن يبحث ويفحص ويتقصى ويصدر الحكم بعيدا عن الهوى والغرض، ولا يخشى في الله لومة لائم. وذلك بعد أن يلم بسائر الأطراف. ويتميز الخبيث من الطيب فلا يقصر في واجبه ولا يتعجل في حكم ولا يتهيب في أن يقوم هذا خطأ وهذا صواب، فعلى العالم أن يكون شجاعا في الحق. قويا فيه ولا يخشى من أحد إلا الله تبارك وتعالى فهذه أمانة عرضها الله عز وجل على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان. وهي التكاليف الشرعية التي تقتضي علما بها وإدراكا لكلياتها وجزئياتها حتى يقوم المكلف بتنفيذها طبقا لما أراده المكلف وهو الله عز وجل. وسميت أمانة لأن من قصّر فيها فعليه اللوم والغرم. ومن أحسن في أدائها فله الكرامة والغنم فهي أمانة الله تعالى.

دخل عمر بن عبيد على المنصور فقرأ: ﴿والفجر وليالي عشر﴾ إلى قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر:١-١٥] ثم قال: إتق الله يا أمير المؤمنين، فإن ببابك نارا تأججا ولا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ.

وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت. فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك. أما والله ولو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم إلا العدل لتقرب به إليك من لا يريده. اتق الله يا أمير المؤمنين فإن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى شهواتهم. فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وأن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا.

وهذا عمر بن زهير وكان واليا على العراق. استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي واستشارهم فيما وكل إليه من أمور الناس. وفيها الحق والباطل. فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية. وقال الحسن رضي الله عنه: يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله. فإن الله يمنعك من يزيد. وإن يزيد لا يمنعك من الله. وسيزيلك الله عن سريرك فتخرج من سعة القصر إلى ضيق القبر ثم لا ينجيك إلا عملك.

فما أعظم مسئولية العلماء أمام الله. وما أكثر الواجبات والامانات التي للأفراد والمجتمعات في أعناقهم. فلا يستخفون بواجبهم ولا يستهينون بكرامتهم.

فواجب العلماء نحو ربهم أن لا يعملوا حسابا إلا لرضاء الله وغضبه.

عن مالك بن أنس قال: قال لي أستاذي (ربيعة): يا مالك من السفلة؟ قلت: من أكل بدينه فقال. من سفلة السفلة؟ قلت: من أصلح دنيا غيره بفساد دينه. فصدقني.

وعندما وقعت الحرب بين مصر والحبشة وتوالت الهزائم على مصر في عهد الخديوي إسماعيل وقد ضاق صدر الخديوي بذلك. فقال لشريف باشا رئيس وزرائه: ماذا تصنع لدفع الملمة؟ فقال شريف باشا: ان الله عودني إذا ضاق بي شيء من ذلك أن ألجأ إلى صحيح البخاري يقرؤه علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عني. فكلم شيخ الأزهر (العرنوسي) في ذلك فجمع له من (صلحاء العلماء) جمعا أخذوا يتلون في صحيح البخاري أمام القبلة القديمة في الأزهر الشريف. ولكن الهزائم مع ذلك ظلت مستمرة. فذهب الخديوي ومعه شريف باشا إلى العلماء. وقال لهم في غضب: إما أن هذا الذي تقرؤونه ليس صحيح البخاري، أو أنكم لستم العلماء الصلحاء، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئا. فابتدره شيخ من آخر الصف بقوله: منك يا إسماعيل؛ فإنا روينا عن النبي ﷺ: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم».

فانصرف الخديوي وشريف باشا ولم يتكلما وأخذ العلماء يلومون القائل فبينما هم كذلك عاد شريف وسأل عن الشيخ فأخذه وذهب به إلى الخديوي وقد ودعه العلماء وداعا لا يأملون عودته، ولما دخل شريف به إلى الخديوي أجلسه على كرسي أمامه. وقال له: أعد يا أستاذ ما قلته. فأعاد له ورد الحديث، فقال له: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا البلاء؟ قال له: أليست المحاكم المختلطة قد افتتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخمر مباحا؟ أليس.. أليس.. وعدد منكرات كانت تجري، ثم قال: فكيف تنتظر النصر من السماء؟ ففكر الخديوي وأطرق طويلا ثم قال له: صدقت. صدقت.. وأمر فرتب له من بيت المال ثلاثين جنيها وعاد الشيخ بعد هذا إلى الأزهر معززا مكرما.

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك اضعف الايمان».

ولابد لنا من وقفة

إن الأمة التي تجهر بالأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أمة أبناؤها يتسابقون إلى الخيرات وحكامها يحكمون الرعية. ويقسمون بالسوية. وينفذون الشريعة ويغلقون ذرائع الفتنة. إذا دعى داعي الجهاد تقدموا الصفوف. وإذا دعى داعي البذل كانوا أول الباذلين. وهو أول ما عنى به رسول الله ﷺ في السلوك والناس لاشك يضعون آمالهم في علمائهم ويرقبون صلاح الحال على أيديهم وينتظرون منهم أن يقولوا كلمة الحق ولو على أنفسهم ويرقبون فيهم أن ينصحوا للحكام كما ينصحون للمحكومين. ومن أجل هذا يبالغون في احترام العلماء ويفرطون في حبهم وبقدر ما لهم في نفوسهم من منزلة. وما يعلقونه من آمال على أياديهم، وحسبنا الله وحده■

محمد عبد الرحمن السحرتي – ميت غمر – ج.م.ع□

مخاطر الاستشراق على الفكر الإسلامي

منذ مئات الأعوام، دأب الغربيون على دراسة الفكر العربي والإسلامي، والاطلاع على التراث الحضاري للأمة الإسلامية للخروج بنتائج وحقائق تدعم وجهة النظر الغربية، إزاء ما تضمنته المبادىء والمفاهيم الإسلامية، وتنوعت الحركة الاستشراقية بين قلب للحقائق وتزييف للنظريات من الكثرة الغالبة، وبين تنقيب عن الجوهر والمضمون، وإبراز القيم السامية من قلة قليلة لم يجرفها التعصب الأعمى عن ذكر الحقائق والمسلّمات، وهذا يعني أن جل الدراسات الغربية عن الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي جاءت عارية من الصدق والموضوعية، حيث تفوقت النزعات الهدامة الآثمة على الروح العلمية الحقة عند الذين شغلوا أنفسهم للتصدي بالبحث والدراسة لما أبدعته الحضارة الإسلامية، فراحوا يقلبون الحقائق المؤكدة في محاولة مستميتة لعكسها بما يخدم الأغراض الخبيثة للفكر الغربي.

ويبدو أن هؤلاء المستشرقين قد مَرّنوا تماما على تلفيق الأكاذيب وإلصاق التهم بالفكر الإسلامي لإظهاره بمظهر الجمود والتخلف وعدم مسايرة العصر وتصويره للعامة في صورة دموية متوحشة لإغلاق الطريق أمام من يحاول التفكير في سبر غوره ودراسة مناهجه. ومما لا شك فيه أن الحركة الاستشراقية قد أخذت على عاتقها مهمة الإساءة للإسلام والمسلمين عن طريق الدراسات والأبحاث التي تشوه المبادىء التي قام عليها الدين الإسلامي الحنيف، وتركز على النقاط الجوهرية التي يختلف فيها عن الديانات الأخرى للتشكيك في قيمه ومثله العليا، مع خروج كامل عن روح النزاهة العلمية الحاكمة لأساليب الدراسة والبحث واستبدالها بحقد مستمد من شعور دفين بالدونية والنقص يحفز أصحابه على نفث سموم الكراهية والبغضاء في شتى الكتابات والآراء.

وخلاصة القول إن الحركة الاستشراقية يجب أن تخضع لرقابة دقيقة من جانب العلماء المسلمين للرد على الافتراءات والمزاعم الكاذبة، وتفنيد الآراء المغرضة لتخليص الفكر الإسلامي من الأباطيل التي دسها عليها أنصار المستشرقين وتلاميذهم الذين يدعون إلى أخذ العلوم الإسلامية عن طريقهم!! ويلزم مراجعة المقررات الدراسية للدول الإسلامية، وإعادة تنقيحها وتصويبها، وإلغاء الجوانب التي جاءت متأثرة بالفكر الاستشراقي الغربي حتى تعود للفكر الإسلامي قوته وجدارته.

محمد عبيد محمد – محافظة قنا – ج.م.ع□

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارئ ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الجهاد العلمي

ظاهرة الصمود الشيشاني في وجه العدوان الروسي الصارخ ليست الأولى في تاريخنا الإسلامي القديم والحديث، ولن تكون الأخيرة، ودروس مثل هذا الصمود كثيرة، وكثيرة جدا، ولكن الذي لفت نظري تقرير حي أرسله (جاك كيلي) من العاصمة الشيشانية (جروزني) ونشرته جريدة الشرق الأوسط اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ٢٢/١/٩٥، يصف فيه الواقع وبالأسماء تعايش الشيشانيين مع أزمتهم، وترتيب أمورهم على أساس المقاومة البعيدة المدى، لاسيما في الميدان المدني، فقد جاء في تقريره:

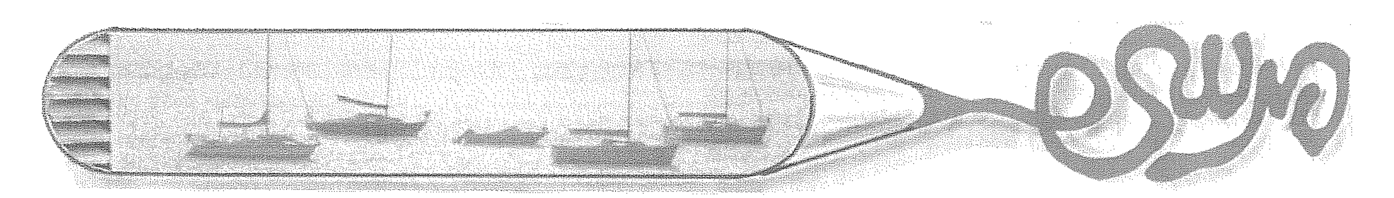
بدأ الآلاف من سكان العاصمة الشيشانية جروزني ينتقلون إلى المجاري والأقبية تحت الأرض هربا من القتال العنيف الدائر في المدينة، وتقول (زيتا سوتينا) البالغة من العمر ٤٩ سنة: (لقد أصبحت هذه الأماكن ملاذا لنا)، زيتا تعيش الآن مع أطفالها الثلاثة ووالدتها وخالتيها على عمق أربعة أمتار تحت الأرض في قبو لا يزيد طوله على ثلاثة أمتار وعرضه على مترين ونصف المتر، بينما يقول أليشكان خوتيف (أحد المسؤولين الروس في جمهورية الأنجوش المجاورة): (إن مجتمعا سريا بدأ يظهر الآن تحت الأرض)، إذ تعيش أعداد كبيرة من الناس في تلك الأماكن التي لا يزيد حجم الواحد منها على حجم الغرفة العادية، أما مصدر الإضاءة التي يستخدمونها فهي الشموع، في حين يستخدمون نيران الحطب للتدفئة، ولقد بدأ الناس يتفننون في ديكور تلك الأماكن والأقبية ويعلقون على جدرانها بعض الرسوم والتقاويم والصور العائلية، بينما تسمع أصوات الآباء والأمهات وهم يحثون أطفالهم على الدراسة.. إهـ.

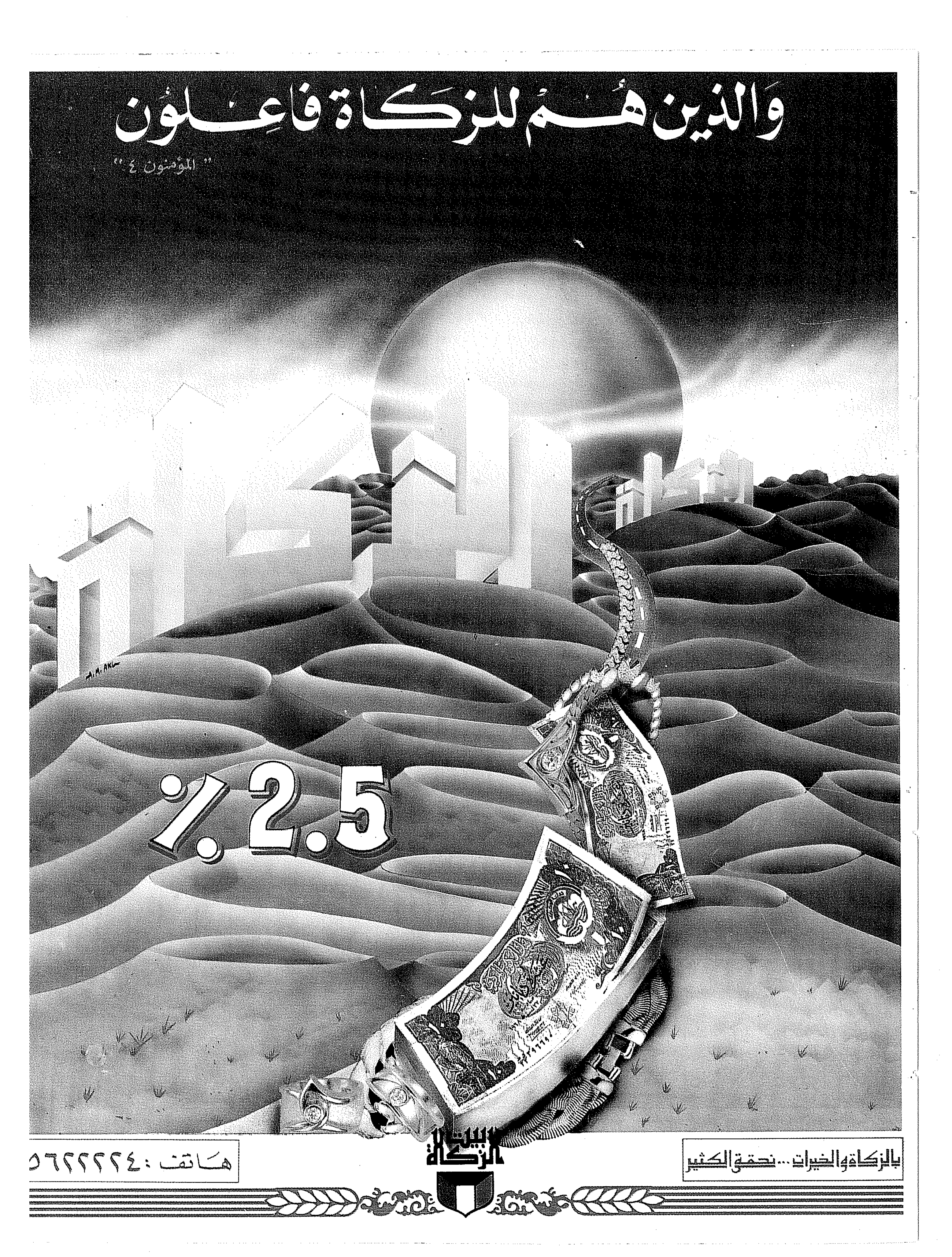
وما لفت نظري هو العبارة الأخيرة: (وهم يحثّون أطفالهم على الدراسة)، كم هو عظيم متابعة المسلمين في الشيشان – بالرغم من كل الضغط والقهر والدمار – تحصيلهم العلمي بما يتيسر، ولو ضمن الحد الأدنى، كيف لا؛ وأول كلمة في كتاب الله العظيم ﴿اقرأ﴾، والعلم اليوم هو السلاح الأوفى، والإنسان المتعلم هو الثروة الحقيقية، ولا هوية ثقافية أو دينية أو قومية إلا والعلم على رأس أولوياتها ومن أهم أسسها..

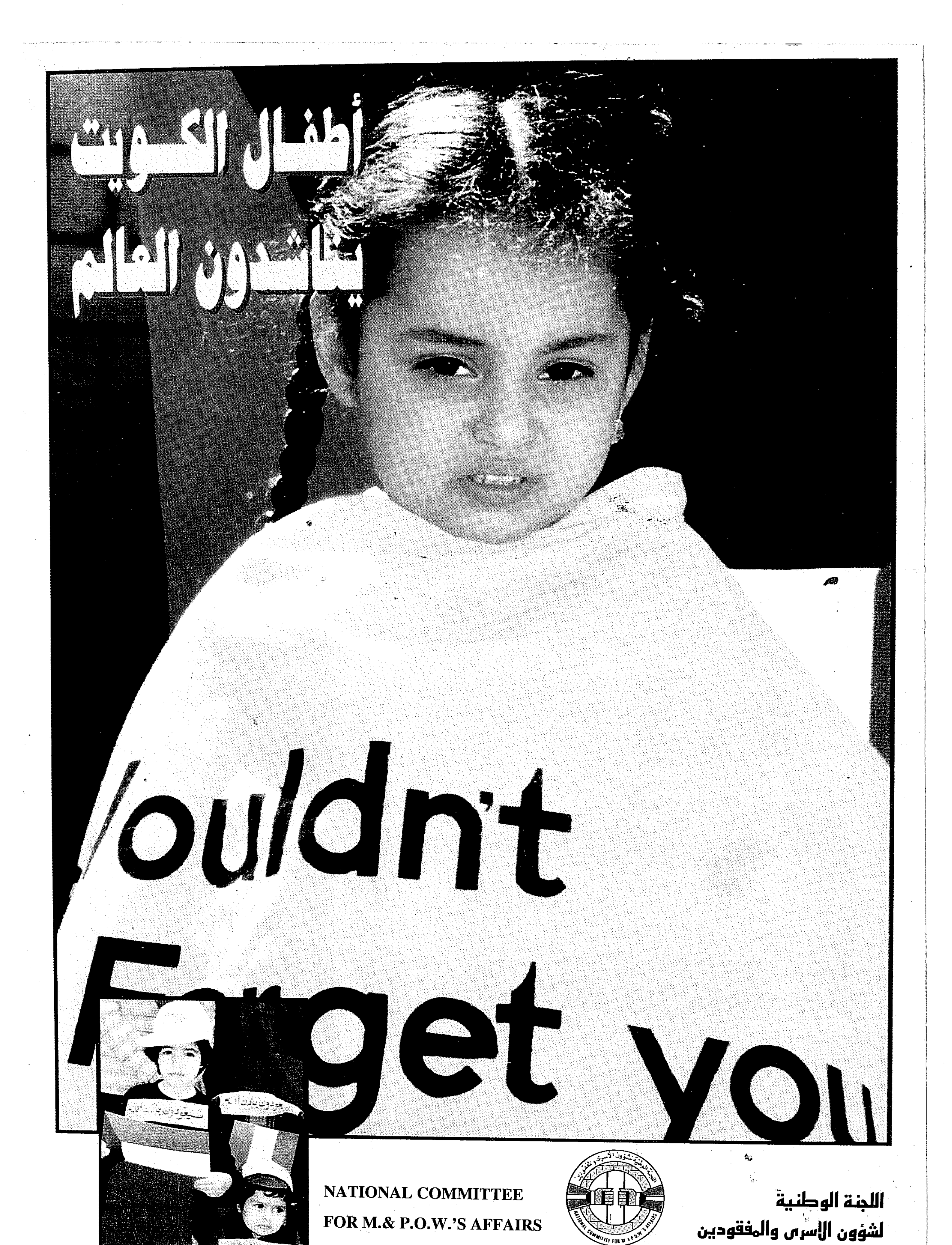
وصورة هذا الجهاد العلمي الميداني تتكرر في الشيشان كما عرَفَتْها الانتفاضة بفلسطين؛ وهي تواجه الطاغوت الإسرائيلي؛ فالمدرسة تنتقل إلى البيت والملجأ، وتكون حيث يكون طالب العلم.. وفي كشمير تحت الحصار والاحتلال الهندي، ومنع التجول.. وكما في البوسنة والهرسك وهي تواجه بكل الرصيد الإيماني واليقين الرباني والجهاد المشهود طغيانَ الصرب وتمرّدهم.. وفي جنوب لبنان تحت نيران القصف الإسرائيلي شبه اليومي..

الأمة التي تطلب العلم أمة تستحق الحياة، والأمة التي يقرأ أبناؤها على ضوء الشموع تحت عمق أربعة أمتار ستخرج إلى سطح الأرض وهي أكثر إرادة وقوّة مما يظن الأعداء، إن شاء الله، أوليس في الأثر: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم»□

بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان




وَالذين هُمْ للزكاة فاعِلون
"المؤمنون ٤"
2.5٪
بيت الزكاة
هـاتف : ٥٦٢٢٢٢٤
بالزكاة والخيرات ... نحقق الكثير


أطفال الكويت
يناشدون العالم
ouldn't
get you
NATIONAL COMMITTEE
FOR M.& P.O.W.'S AFFAIRS
اللجنة الوطنية
لشؤون الأسرى والمفقودين